

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الأدب



وجوه البياض في نعوت القراء

بحث

مقدم لنيل درجة الدكتوراه

في الأدب

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

حسن محمد باجودة

إعداد الطالبة

صالحة محمد علي خفاجي

المجلد الأول

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده القرآن تبياناً لكل شئ،
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، وأصلى على من أرسله الله
بالحدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
كانت النفس تتوق الى موضوع يقربها من كتاب الله تلاوة
وفهما ، وقد كان ماتؤمل فقد عشت بمحبة كتاب الله أعواماً
وانها لنعم المحبة كانت ومع موضوع أحسبه جديداً فى مجال
الدراسة الجامعية ، وهو "أجوه البيان فى نعوت القرآن"
الذى كان غرسة من غراس مشرقى على الرسالة الدكتور حسن
محمد باجودة جزاه الله خير الجزاء .

وبعد اختيار الموضوع كان من الطبيعى أن أقف على
الأعمال السابقة فى هذا المجال فلم يكن أمامى سوى كتابين
رائدين فى هذا المجال هما كتاب "أسماء القرآن فى القرآن"
لمؤلفه محمد جميل أحمد غازى ، وكتاب "الهدى والبيان فى
أسماء القرآن" لمؤلفه صالح بن إبراهيم البليهى .

ولقد وجدت فى كتب السنن والتفسير والمعاجم والبلاغة
المورد الثرى والمعين الذى لا ينضب ومن ذلك : صحيح البخارى
ومسلم وسنن ابن ماجه والترمذى وتفسير الطبرى والقرطبى
والبحر المحيط لأبى حيان وتفسير الرازى وابن كثير وتفسير
أبى السعود وروح المعانى للآلوسى وتفسير الزمخشرى الكشاف
ونظم الدرر للبقاعى والمحزر الوجيز لابن عطية وتفسير
التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور .

وكذلك معاجمنا العربية نحو : لسان العرب ومقاييس

اللغة والقاموس المحيط .

وعدت الى كتب البلاغة أمثال دلائل الإعجاز لعبد القاهر
الجرجاني وكتاب الطراز للعلوى وكتاب شرح عقود الجمان
للسيوطي .

- أما منهجى فى الرسالة فهو يقوم على الآتى :
- * تتبع معانى هذا النعت فى القرآن .
 - * النعت مراداً به القرآن واحصاء هذه النعوت .
 - * التمثيل بآيات لهذا النعت .
 - * الوقوف عند نص قرآنى لهذا النعت ثم دراسته من
جانبين :

- الأول : الدلالة اللغوية للإفظاظ .
 - الثانى : تأملات بيانية للنص .
- ولم أخالف هذا المنهج فى دراسة النعوت الا نادراً .
وقد جاء البحث فى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

التمهيد

تحدثت فيه عن :

(أ) إعجاز القرآن وأقوال العلماء فيه .

(ب) مواقف طوائف الكافرين من القرآن :

- ١ - موقف المشركين من القرآن .
 - ٢ - موقف كافر أهل الكتاب من القرآن .
 - ٣ - موقف المنافقين من القرآن .
- ثم تلا التمهيد خمسة فصول هى :

الفصل الأول

آيات التحدى وحروف أوائل السور

وتحدثت فيه عن :

آيات التحدى المباشر :

(١) التحدى بالقرآن جميعه .

(٢) التحدى بعشر سور .

(٣) التحدى بسورة مثله .

(٤) التحدى بسورة من مثله .

(٥) القرآن هو المعجزة الخالدة .

آيات التحدى غير المباشر :

(١) مطالبة المشركين بانزال القرآن جملة واحدة .

(٢) مطالبة المشركين أن يؤتى المصطفى صلى الله عليه وسلم

من الآيات مثل ما أوتى موسى .

(٣) تعنت الكافرين ومطالبتهم بتحقيق ستة مطالب مادية .

(٤) مطالبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم الاتيان بكتاب

غير القرآن أو ابدال آية مكان آية .

(٥) مطالبة المشركين أن ينزل على الرسول ملك من السماء

يكون معه نذيرا .

(٦) تكذيب المشركين للقرآن مع كونه بلسانهم وقولهم

{قلوبنا فى أكنة} .

حروف أوائل السور والتحدى :

موقف العلماء منها وأشهر ما قيل فى تفسيرها .

الفصل الثانى

نوعت القرآن الكريم للقرآن

- (أ) معنى النعت .
- (ب) أسماء القرآن الكريم .
- ١ - قرآن
 - ٢ - فرقان
 - ٣ - كتاب
 - ٤ - ذكر
 - ٥ - تنزيل
 - ٦ - وحى
- (ج) نوعت القرآن بالقرآن .
- ١ - كلام الله
 - ٢ - روح
 - ٣ - حق
 - ٤ - صدق
 - ٥ - لا ريب فيه
 - ٦ - فصل
 - ٧ - مهيمن
 - ٨ - قيم
 - ٩ - حكيم
 - ١٠ - بلاغ
 - ١١ - برهان
 - ١٢ - بينات

- ١٣- مبارك
- ١٤- كريم
- ١٥- أحسن القصص
- ١٦- أحسن الحديث
- ١٧- صحف مطهرة
- ١٨- على
- ١٩- عظيم
- ٢٠- عزيز
- ٢١- عجب
- ٢٢- محفوظ
- ٢٣- محكم ومتشابه
- ٢٤- مثانى
- ٢٥- عربى

الفصل الثالث

النعوت القرآنية المتملة بالرسول

صلى الله عليه وسلم

- (١) القرآن موحى به الى النبى صلى الله عليه وسلم .
- (٢) الرسول وتلقيه القرآن .
- (٣) القرآن ميسر بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٤) القرآن متلو من الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٥) القرآن مرتل من الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٦) تثبيت القرآن فى صدره وتبيينه له .

- (٧) تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم .
- (٨) الرسول وقرآن الفجر والتهجد به .
- (٩) الرسول يتلو آيات الله على المؤمنين ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .
- (١٠) الرسول وتبليغ القرآن والجهاد به .
- (١١) القرآن فضل من الله على رسوله وشرف له .
- (١٢) القرآن ثقیل .

الفصل الرابع

الذعوت القرآنية المتملة بالمؤمنين

- (١) اصطفاء المؤمنين بالكتاب .
- (٢) ايمان المؤمنين بالقرآن .
- (٣) القرآن ميسر للذكر .
- (٤) القرآن نور للمؤمنين .
- (٥) القرآن هدى للمؤمنين .
- (٦) القرآن متلو من المؤمنين .
- (٧) المؤمنون والاستماع للقرآن والانصات له .
- (٨) تقشعر جلود المؤمنين لسماع القرآن .
- (٩) المؤمنون يخرون سجدا لتلاوته .
- (١٠) القرآن محفوظ فى صدور المؤمنين .
- (١١) القرآن مثبت للمؤمنين .
- (١٢) زيادة ايمان المؤمنين بالقرآن .

- (١٣) القرآن موعظة للمؤمنين .
- (١٤) القرآن بشير للمؤمنين .
- (١٥) القرآن نذير للمؤمنين .
- (١٦) القرآن خير للمؤمنين .
- (١٧) القرآن رحمة للمؤمنين .
- (١٨) القرآن شفاء للمؤمنين .
- (١٩) القرآن شرف للمؤمنين .
- (٢٠) زوجات النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن .
- (٢١) تحذير المؤمنين من هجر القرآن الكريم .

الفصل الخامس

الزعمات القرآنية المتملة بمؤمنى أهل الكتاب

- (١) أخذ الميثاق على أهل الكتاب أن يؤمنوا بالقرآن .
- (٢) من أهل الكتاب وبخاصة الراسخون فى العلم مؤمنون بالقرآن ويعلمون أنه وحى .
- (٣) القرآن مصدق لما مع أهل الكتاب .
- (٤) مؤمنو أهل الكتاب يفرحون بنزول القرآن .
- (٥) يتلون القرآن حق تلاوته .
- (٦) تفيض أعينهم لسماع القرآن .
- (٧) سجد أولى العلم من مؤمنى أهل الكتاب لتلاوة القرآن عليهم .
- (٨) مجادلة أهل الكتاب بالتى هى احسن .
- (٩) ثواب مؤمنى أهل الكتاب لايمانهم بالقرآن .

ثم جاءت الخاتمة وقد ضمنتها تلخيما للبحث وذيلتها بالنتائج التى أسفر عنها ، فان كنت فيه على شيء من التوفيق والسداد وهذا ماأؤمله فيفضل الله تعالى كان هذا التوفيق والسداد ، والا فحسبى أننى عشت فى رحاب كتاب الله تالية له ، منقبة فى معانى آياته أتفنن فى روضات دمثات(١) . وفى الختام أتقدم بجزيل شكرى لكل الأيدى التى امتدت الى بالمساعدة فى هذا العمل ، وأخص بالشكر الجزيل أستاذى المشرف على الرسالة الدكتور حسن محمد باجودة . كما أخص بالشكر اللجنة الموقرة على ما بذلته من جهد لتقييم هذا العمل وتقويمه ، والله الهادى الى سواء السبيل .

(١) دمثات من الدمس أى السهل وقد وردت فى وصف ابن مسعود

رضى الله عنه لبعض القرآن .

انظر : تاج العروس ، مادة (دمس) .

أ - إعجاز القرآن الكريم وأقوال العلماء فيه

ب - مواقف طوائف الكافرين من القرآن

* موقف المشركين من القرآن:

١ - إعراضهم عن آيات الله.

٢ - عدم سماع الكافرين للقرآن لأن قلوبهم في أكنة

وفي آذانهم وقر.

٣ - مجادلة الكافرين في آيات الله بالباطل وافتراءؤهم

على الله الكذب وكتمانهم الحق.

٤ - موقف الكفار من الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥ - الكافرون بمثابة الموتى أصحاب القبور.

٦ - كفرهم بالقرآن الكريم.

٧ - عقاب الكافرين بآيات الله.

اعجاز القرآن الكريم وأقوال العلماء فيه

المعجزة :

فى اللغة : اسم فاعل من الاعجاز ، والاعجاز مصدر للفعل اعجز يقال عجز فلان عن الأمر وأعجزه اذا حاوله فلم يستطعه .
وفى الاصطلاح :

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة ، اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات القاهرة التى تدل على نبوتهم وأنهم مرسلون من الله (١)
العزیز القدير .

وقد كان لكل أمة من الأمم الماضية ثقافات علمية وتخصصات فكرية تلائم أحوال وأجواء العصر الذى يبعث فيه النبى المرسل من الله الى هذه الأمة أو تلك ، فكان من رحمة الله بالناس وحكمته الجارية أن يمد كل رسول ونبى بآيات ومعجزات تقوم بها الحجة على قومه ، ويظهر بها عجزهم رغم عنادهم وامرارهم على التكذيب ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيا عن بينة .

وعلى سبيل المثال فإن الله آتى صالحا معجزة الناقة حيث كان قومه ينحتون من الجبال بيوتا ، فأخرج الله الناقة من الجبل الذى كانوا يقدرون على تشكيله مساكن وبيوتا ، وكذلك أعطى الله موسى العما التى ابتلعت سحر السحرة وكان

(١) الاتقان للسيوطى ٣/٤ .

علما يتفاخر به الناس ومشتهرا بين أولئك القوم الذين كان يستخفهم فرعون ويستعبدهم .

وبلغ علم الطب فى قوم عيسى عليه السلام مبلغا عظيما ، فأعطاه الله ابراء المرضى واحياء الموتى ، فكان أمرا خارقا وتحديا صارخا أذعن له الناس فى زمن عيسى عليه السلام وغير ذلك من الامثلة .

وحيث كانت الامة التى بعث فيها نبينا صلى الله عليه وسلم ذات خصائص مميزة ، ومواهب متنوعة تنوعت الآيات والمعجزات التى أمده الله بها لإقامة الحجة وإظهار المحجة البيضاء ، فهى معجزات خالدة مستمرة الى أن يأذن الله بانقراض الدنيا ، لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانبى بعده ، فناسب أن تكون معجزاته ذات بعد زمنى يستوعب الدهر كله حتى قيام الساعة ، وكان القرآن الكريم هو أقوى هذا النوع من المعجزات وأخلدها وأبقاها على مدار الزمن .

وقد كان الأمر الشائع لدى الامة العربية التى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم القدرة البيانية والفصاحة المتناهية ، والبلاغة ، بذلك كان التفاخر والمجد والاشتهار والذكر الحسن ، فجعل الله معجزة رسوله صلى الله عليه وسلم الخالدة كلاما أنزل من عنده ، وأوحاه الى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعله روح العالم الذى لاحياة له الا به . {وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا (١) وانك لتهدى الى صراط مستقيم} .



وقال تعالى : {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على
(١)
مكث} .

(٢)
{قرآنا عربيا غير ذى عوج} .

نزل هذا القرآن بلسان العرب الذى به يتخاطبون نشرا
وشعرا بأسلوب بلغ فى البلاغة ذروتها ، وفى الفصاحة أعلاها ،
وفى العذوبة والسلاسة أقمأها ، وتحداهم أن يأتوا بمثله أو
بشئ من مثله ، فلم يقدرُوا وأعلنوا عجزهم وانهزامهم على
مدار التاريخ ، وسيظل هذا القرآن معجزا وحجة حتى قيام
الساعة .

وقد قامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا أرباب
الفصاحة ، ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة فى معجزة عيسى
بالاطباء ، وفى معجزة موسى بالسحرة ، فان الله تعالى انما
جعل معجزات الانبياء بالوجه الشهير أبرع مايكون فى زمان
النبي الذى أراد سبحانه اظهاره ، كما سبق بيانه .
(٣)

التحدى والمعارضة :

تدرج القرآن الكريم مع العرب فى التحدى ، فقد تحداهم
أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا وولوا الادبار مع ما عرف عنهم
من طول الباع فى هذا المجال .

قال تعالى :

(٤)
{فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين} .

(١) سورة الاسراء : ١٠٦

(٢) سورة الزمر : ٢٨

(٣) تفسير المحرر الوجيز ٧٣/١ .

(٤) سورة الطور : ٣٤

ثم دعاهم بعد ذلك الى أن يأتوا بعشر سور مثله ، قال تعالى :

{أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله
مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل
(١)
بعلم الله ، وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون} .

ثم تنزل معهم فى أن يأتوا بسورة مثله ، ثم بسورة من
مثله ، وأباح لهم فى كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن
استطاعوا . فقال تعالى :

{أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
(٢)
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين} .
وقال تعالى أيضا :

{وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان
كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت
(٣)
للكافرين} .

ولعلنا نلاحظ أن القرآن تنزل معهم فى هذه المرتبة من
طلب المماثل الى طلب شيء مما يماثل ، فحسبهم أن يأتوا
بشيء فيه جنس المماثلة ومطلقها ، وبما يكون مثلاً على
التقريب لا التحديد ، وهذا أقصى ما يمكن من التنزل ، ولذا
كان آخر صيغ التحدى نزولاً فلم يجيء التحدى بلفظ من مثله الا

(١) سورة هود : ١٣، ١٤
(٢) سورة يونس : ٣٨
(٣) سورة البقرة : ٢٣، ٢٤

فى سورة البقرة المدنية ، وسائر المراتب بلفظ (مثله) فى
السور التى نزلت قبل ذلك .^(١)

ثم رماهم والعالم أجمع بالعجز فقال تعالى :
{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا} .^(٢)

على أنه قد رام بعضهم معارضته ، فأبدى من ضعف عقله
ماكان مستترا ومن عى لسانه ماكان مموّنا ، فأتى بما لايعجز
عنه الضعيف الاخرق ، والجاهل الاحمق ، فقال :

"والطاحنات طحننا ، والعاجنات عجننا ، فالخابزات خبزنا
والشاردات شردنا ، واللاقمات لقمنا" .^(٣)
يريد بذلك مسيلمة الكذاب .

وقد تعددت الآراء فى وجوه اعجاز القرآن ، ومن ذلك
الاعجاز بالصرفة ، وسنتناول هذا المذهب الباطل والرد على
أصحابه .

مذهب أهل الصرفة :

يرى أهل هذا المذهب أن الله تعالى صرف الهمم عن
المعارضة ، وان كانت مقدورا عليها ، وغير معجزة عنها ، الا
أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجارى العادات صار
كسائر المعجزات .^(٤)

(١) النبأ العظيم ، د . محمد دراز ص ٨٤ .
(٢) سورة الاسراء : ٨٨
(٣) تفسير الطبرى ٦/١ .
(٤) بيان اعجاز القرآن للخطابى ص ٢٢ .

ويرد عليهم الخطأ بأن الآية تشهد بخلافه وهى قوله

تعالى :

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
(١)
ظهيرا} .

فأشار القرآن الكريم الى أمر طريقه التكلف والاجتهاد
وسبيله التأهب والاحتشاد ، والمعنى فى الصرفه التى وصفوها
(٢)
لايلائم هذه المفة ، فدل على أن المراد غيرها .

وقد أضاف الامام عبد القاهر فى هذا المعنى بأن معنى
آية الاسراء هذه انما يرمى به فى وجه من لم يستطع هذا
النظم فى الذى مضى ولن يستطيعه فى الذى هو آت ، وأنه
لايقال لمن كان يستطيعه فيما مضى ، ثم صار لايتطيعه ،
والقول بذلك خروج بالكلام عن معانيه ، وانما يقال فيمن كان
يقدر على الشئ ثم عاد لايقدر عليه :

"أعطيت أن أحول بينكم وبين كلام تستطيعونه وأمنعكم

اياه " .

وماشاكل ذلك .

(٣)

وبهذا يتبين بطلان القول بالصرفه على هذا الوجه .

ومن الذين أبطلوا قول القائلين بالصرفه الامام أبو
بكر الباقلانى ، وقد أورد قولهم ان من قدر على نظم كلمتين
بديعتين لم يعجز عن نظم مثلها ، واذا قدر على ذلك قدر على
ضم الثانية الى الاولى ، وكذلك الثالثة حتى يتكامل قدر
الآية والسورة .

(١) سورة الاسراء : ٨٨

(٢) بيان اعجاز القرآن ص ٢٣ .

(٣) الرسالة الشافية ص ١٤٩ .

ويدحض الامام الباقلانى هذه الشبهة فيرد عليهم :

انه لو صح ذلك لمح لكل من أمكنه نظم ربع بيت ، أو مصراع من بيت أن ينظم القصائد ويقول الاشعار ، وصح لكل ناطق قد يتفق فى كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ، ومعلوم أن ذلك غير ممكن .

وأن الأمر فى الاعجاز لو كان راجعا للصرفة لما كان لنزوله بهذا النظم البليغ حاجة ، وكان أمرا لا يحتاج اليه فدل ذلك على فساد قولهم بالصرفة .

واذا كان شأنهم أنهم صرفوا فما عذر سابقهم من البلغاء من أهل الجاهلية فى عدم مجيئهم بما يعدل بلاغة القرآن ، فهم لم يتحدوا ولم تلزمهم حجة ، وهذا أيضا مما يبطل قولهم بالصرفة من هذا الوجه .

ثم يقف الباقلانى عند معنى آخر منه وهو أن ذوى البلاغة اذا سمعوا كلاما مطمعا لم يخف عليهم ، ولم يشتهه لديهم ولم يطمعوا فى المجيء بمثله ، فان قال قائل قد يحدث ذلك .

يجيب الباقلانى عن ذلك بأن ليس الكلام على ما يقدره مقدر فى نفسه ، ويحسبه ظان فى أمره والمرجوع فى هذا الى جملة الفصحاء دون الآحاد ، ثم يأخذ على عاتقه - فيما بعد - بيان وجه امتناعه عن الفصيح البليغ وتميزه فى ذلك عن سائر أجناس الخطاب ليعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين الغلط ، وان هذا التقدير من جنس من

(١)
حكى الله تعالى قوله :

{انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر
ثم نظر ، ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال
(١)
ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر} .
فهم يعبرون عن دعواهم أنهم يمكنهم أن يقولوا مثله ،
وأن ذلك من قول البشر لأن ماكان من قولهم فليس يقع فيه
التفاضل الى الحد الذى يتجاوز اماكن معارضته .
ويشير الباقلانى أيضا لما يبطل ماذكروه من القول
بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة ، وانما منع منها
(الصرفة) لم يكن الكلام معجزا ، وانما يكون المنع هو
(٢)
المعجز ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه .

من وجوه اعجاز القرآن عند العلماء :

ذكر العلماء من وجوه اعجازه :

أولا : الاعجاز البيانى .

لو استعرضنا أقوال العلماء فى اعجاز القرآن ، فاننا
نجد هذا الوجه هو المشار اليه والمكتفى به ، أو أنه أحد
وجوه الاعجاز .

فبدءا بالزمانى الذى يرى أن وجوه اعجاز القرآن سبعة
وهى :

ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى
للكافة والصرفة ، والاخبار المادقة عن الامور المستقبلية ،

(١) سورة المدثر : ١٨-٢٥

(٢) اعجاز القرآن ص ٢٠ .

ونقص العادة ، وقياسه بكل معجزة ، والبلاغة ، وهى ثلاث طبقات منها ماهو فى أعلى طبقة ، ومنها ماهو فى أدنى طبقة فما كان فى أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن ، وماكان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس .^(١)

وهذا الامام الخطابى يرى أن أجناس الكلام مختلفة ، فمنها البليغ الرصين والجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل .

وتحدث عن أقسام الكلام المحمود :

فالقسم الاول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثانى أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه ، فجازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الاقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواع شعبه ، فانتظم لها بامتزاج هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعدوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين ، لأن العدوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة فى الكلام تعالجان نوعا من الوعورة ، فكان اجتماع الامرين فى نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن ، يسرها الله بلطيف قدرته من امره ليكون آية بيئة لنبيه ، ودلالة له على صحة مادعا اليه من أمر دينه .^(٢)

ويليه القاضى أبو بكر الباقلانى :

وهو يرى أن وجوه اعجاز القرآن ثلاثة :

(١) الاخبار عن الغيوب ، الانباء عن قصص الاولين وسير المتقدمين ، وثالثها براعة النظم والتأليف الى الحد

(١) النكت فى اعجاز القرآن ص ٧٥ .

(٢) بيان اعجاز القرآن ص ٢٦ .

(١)

الذى يعلم عجز الخلق عنه .

وهو يرجعه الى عشرة معان :

المعنى الاول :

"ان نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز فى تصرفه عن أساليب كلامهم المعتاد" .

المعنى الثانى :

"أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع ، والمعانى اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة ، والتشابه فى البراعة ، على هذا الطول وعلى هذا القدر" .
(٢)

المعنى الثالث :

ان عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لايتفاوت ولايتباين على مايتصرف اليه من الوجوه التى يتصرف فيها ، ويشتمل عليها ، وانما القرآن على حد واحد ، فى حسن النظم وبديع التأليف والرمف لايتفاوت فيه ، ولاانحطاط عن المنزلة العليا ، ولااسفاف فيه الى الرتبة الدنيا ، كذلك "قد تأملنا مايتصرف اليه من وجوه الخطاب ، من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الاعجاز فى جميعها على حد واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بينا ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولامتفاوت ، بل

(١) اعجاز القرآن ص ٣٣-٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥،٣٦ .

هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة . فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر لأن الذى يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير ، عند التكرار وعند تباين الوجوه ، واختلاف
(١)
الاسباب التى يتضمن " .

المعنى الرابع :

وهو أن كلام الفمحاء يتفاوت تفاوتاً بينا فى الفصل والوصل ، والعلو والنزول ، والتقريب والتباعد ، وغير ذلك مما ينقسم اليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع . وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء الى شيء ، والتحول من باب الى باب ، والقرآن على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر فى الأفراد الى حد الاتحاد ، وهذا أمر عجيب ، تبين به الفصاحة ، وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد
(٢)
العادة ، ويتجاوز العرف .

المعنى الخامس :

"وهو أن نظم القرآن وقع موقعا فى البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن كما يخرج عن عادة كلام الانس . فهم يعجزون عن
(٣)
الاتيان بمثله كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا " .

المعنى السادس :

"أن الذى ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التى توجد فى كلامهم موجود فى القرآن ،

(١) اعجاز القرآن ص ٣٦-٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨ .

وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم فى الفصاحة والابداع والبلاغة " .

المعنى السابع :

"أن المعانى التى تضمنها فى أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات فى أصل الدين ، والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضا فى اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع " .

المعنى الثامن :

"أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ، بأن تذكر منه الكلمة فى تضاعيف كلام ، أو تقذف مابين شعر فتأخذها الأسماع وتتشوف اليها النفوس ، ويرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ماتقرن به كالدرة التى ترى فى سلك من خرز ، وكالياقوتة فى واسطة العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها فى تضاعيف كلام كثير ، وهى غرة جميعه وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصمه برونقه وجماله ، واعتراضه فى حسنه ومائه " .

المعنى التاسع :

"أن الحروف التى بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التى افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة ، وجملة ما ذكر من هذه الحروف فى أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفا ، ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التى ينظمون بها كلامهم " .^(١)

(١) اعجاز القرآن ص ٤٢، ٤٣ .

المعنى العاشر :

"أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحى المستكره ،
والغريب المستنكر ، وعن المنعة المتكلفة ، وجعله قريبا
الى الافهام ، يبادر معناه لفظه الى القلب ويسابق المغزى
منه عبارته الى النفس . وهو مع ذلك ممتنع الطلب ، عسير
المتناول ، غير مطمع مع قربه من نفسه ، ولاموهم مع دنوه فى
موقعه أن يقدر عليه ، أو يظفر به " .^(١)

وهكذا نرى الباقلانى فى كشفه عن نظم القرآن المتضمن
للاعجاز أتى على الكثير مما ينفرد به المعنى القرآنى .

(٢) الاخبار عن الغيوب :

ومن وجوه اعجاز القرآن ما تضمنه من الاخبار عن الغيوب
وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم اليه ، فمن ذلك
ما وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيظهر دينه على
الاديان بقوله عز وجل :

{هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون} .^(٢)

فهذه سورة الكوثر على وجازتها تضمنت الاخبار عن
مغيبيين :

أحدهما : الاخبار عن الكوثر وعظمته وسعته وذلك يدل
على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل ، والثانى
الاخبار عن الوليد بن المغيرة وقد كان عند نزول الآية ذا
مال وولد على ما يقتضيه قوله الحق :

(١) اعجاز القرآن ص ٤٦، ٤٤ .

(٢) سورة الصف : ٩

{ذرني ومن خلقت وصيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنيين
(١)
شهودا ومهدت له تمهيدا} .

(٢)
ثم اهلك الله سبحانه ماله وولده وانقطع نسله .
وقد عده الرمانى من وجوه اعجاز القرآن عنده .

(٣) الاخبار عن الامور المتقدمة من قصص السابقين
وانباء سيرهم :

فقد كان معلوما من حاله صلى الله عليه وسلم انه كان
اميا لا يكتب ولا يحسن ان يقرأ ، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من
عظيمات الامور ومهمات السير من حين خلق آدم عليه السلام ،
الى حين مبعثه فذكر قمة آدم عليه السلام وابتداء خلقه ،
وما صار امره اليه من الخروج من الجنة ، ثم جملا من امر
ولده واحواله وتوبته ، ثم ذكر قمة نوح عليه السلام وما كان
بينه وبين قومه ، وما انتهى اليه امرهم .
الى ذكر سائر الانبياء المذكورين فى القرآن والملوك
والفراعنة الذين كانوا فى ايام الانبياء ، صلوات الله
(٣)
عليهم .

الوجه الذى كان به التحدى من وجوه اعجاز القرآن :

كان وما زال الوجه البيانى من وجوه اعجاز القرآن
الكريم هو الوجه الذى يستشرف العلماء منه على الاعجاز ،
ويرون انه الوجه الاوحد الذى كان به التحدى من وجوه اعجاز
القرآن الكثيرة ، وذلك استنادا الى معانى آيات التحدى

(١) سورة المدثر : ١١-١٤

(٢) تفسير القرطبى ٧٤/١ .

(٣) اعجاز القرآن ص ٣٤ .

التي تخص نظمه المتفرد فكانت الدراسات القرآنية للوجه
البياني عند كثير من العلماء الاجلاء الاقذاذ تكاد تنحصر في
دراسة نظم القرآن ، وسنقف على جهود بعض العلماء في هذا
المجال - النظم القرآنى :

ونرى الخطابى حين يتحدث عن اعجاز القرآن البلاغى وعن
تعذر اتيان البشر بمثله يقول مشيرا لاسباب ذلك التعذر :
"وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لأمور : منها أن
علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي
ظروف المعانى والحوامل لها ، ولاتدرك أفهامهم جميع معانى
الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ، ولاتكمل معرفتهم لاستيفاء
جميع وجوه النظم التي بها يكون اثلافها وارتباط بعضها
ببعض ، فيتوصلوا باختيار الافضل عن الاحسن من وجوها الى أن
يأتوا بكلام مثله ، وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة :
لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، واذا تأملت
القرآن وجدت هذه الامور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى
لاترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من الفاظه ،
ولاترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه . وأما
المعانى فلاخفاء على ذى عقل أنها هي التي تشهد لها العقول
بالتقدم فى أبوابها ، والترقى الى أعلى درجات الفضل من
نوعتها وصفاتها" (١)

ثم ان دراسة ظاهرة النظم فى الأسلوب القرآنى نراها
تنضج وتثمر عند الشيخ عبد القاهر الجرجانى فيبسط فيها
القول فى كتابه (دلائل الاعجاز) .

(١) بيان اعجاز القرآن ص ٢٦، ٢٧ .

فيقف عبد الظاهر عند "الكلم المفردة" وينفى أن تكون قد اختتمت فى أنفسها بهيئات وصفات يسمعا السامعون عليها اذا كانت متلوه فى القرآن ، لا يجدون لها تلك الهيئات والمفاتيح خارج القرآن .

"ثم لا يجوز أن تكون فى "معانى الكلم المفردة" التى هى لها بوضع اللغة ، لانه يؤدى الى أن يكون قد تجدد فى معنى "الحمد" و"الرب" ومعنى "العالمين" و"الملك" و"اليوم" و"الدين" وهكذا ، وصف لم يكن قبل نزول القرآن وهذا مالمو كان ههنا شىء أبعد من المحال وأشنع لكان اياه " .

وكذلك لا يمكن أن يكون الوصف الذى تحدوا اليه هو أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذى تراه فى القرآن لانه ليس بأكثر من التعويل على مراعاة الوزن ولا يجوز أن يكون الاعجاز بأن لم يلتق فى حروفه ما يثقل على اللسان (١) .

ثم يوضح عبد القاهر مرجع الاعجاز وهو ليس سوى "النظم" وليس النظم الا توخى معانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم . ولا يظن ظان أن النظم يقتضى اخراج مافى القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو معجز ، بل ان ذلك يقتضى دخول الاستعارة ونظائرها لانها من مقتضيات "النظم" وعنه يحدث وبه يكون ، لانه لا يتصور أن يدخل شىء منها فى الكلم ، وهى أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو .

ثم يضرب لنا مثلا يوضح ذلك فيقول :
"فلا يتصور أن يكون ههنا "فعل" أو "اسم" قد دخلته

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٩٥-٢٩٧ .

الاستعارة من دون أن يكون قد الف مع غيره ، أفلا ترى أنه ان قدر فى "اشتعل" من قوله تعالى {واشتعل الرأس شيبا} أن لا يكون "الرأس" فاعلا له ، ويكون "شيبا" منصوبا عنه على التمييز ، لم يتصور أن يكون مستعارا وهكذا السبيل فى نظائر "الاستعارة" .^(١)

ثم يجىء الزمخشري ويستمد فهمه لنظرية النظم التى أرسى قواعدها الامام عبد القاهر والذى تعتبر جهوده ثمرة لسابقه من العلماء ويتضح ذلك فى تفسير الزمخشري المسمى بالكشاف .

هل التحدى شامل للجن ؟

من العلماء الذين تمدوا لهذه القضية القاضى أبو بكر الباقلانى فهو يرى أن الجن متحدون بالقرآن لافرق بينهم وبين الانس بدليل قوله تعالى :

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} .^(٢)

وأیضا فان الباقلانى يضيف الى استدلاله بالقرآن على عجز الجن بأن ماروى لنا من شعر الجن وماحكى من كلامهم والقدر الذى نقلوه من ذلك هو فى الفصاحة لايتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقمر عنها .^(٣)

لكن الزركشى لايرى أن التحدى شامل للجن لانهم ليسوا من اهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على اساليبه ، وانما

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٠٠، ٣٠١ .

(٢) سورة الاسراء : ٨٨

(٣) اعجاز القرآن ص ٣٨، ٣٩ .

ذكروا فى قوله تعالى :

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا} .

"تعظيما لاعجازه لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة
ماليس للأفراد ، فإذا فرض اجتماع جميع الانس والجن وظاهر
بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز" (١) .
والحق مع الباقلانى فى أن التحدى شامل للجن استنادا
للادلة التى ذكرها ، فالآية صريحة فى تحديهم ولم تفرق بينهم
وبين الانس فى توجيه التحدى اليهم جميعا ، فليس مع من
أخرجهم من اطار التحدى دليل فلايجوز العدول عن صراحة
القرآن .

أما كون الجن ليسوا من أهل اللسان العربى فهذا
استناد ضعيف ، لأنه جاء النص فى القرآن الكريم على فهم
الجن للقرآن الكريم وحديثهم عنه اكبارا له واعجابا به فى
مثل سورة الاحقاف وسورة الجن ، قال تعالى :

{واذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن
فلما حضروه قالوا : انصتوا فلما قضى ولوا الى
قومهم منذرين} (٢) .

وقوله تعالى :

{قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا
سمعنا قرآنا عجبا} (٣) .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١١١/٢ .
(٢) سورة الاحقاف : ٢٩
(٣) سورة الجن : ١

ولأنهم يختلفون فى قدراتهم عن الانس حيث يتمكنون من
التحدث بأكثر من لسان وقد ثبت فى الأحاديث مايدل على
تحدثهم مع الانس كما فى قصة أبى هريرة مع ذلك الشيطان ،
فقد وكل الى أبى هريرة حفظ زكاة رمضان فاتاه آت فجعل يحثو
من الطعام فأخذه وقال : لأرفعنك الى رسول الله فقال انى
محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة قال فخليت عنه . وتكرر
ذلك ثلاث مرات فرصده أبو هريرة فى الثالثة وتوعده بأخذه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعنى أعلمك كلمات
ينفعك الله بها قلت ماهى قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ
آية الكرسي {الله لا اله الا هو الحى القيوم} حتى تختتم الآية
فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تمسح .
وكانوا أحرم شئ على الخير فقال النبى صلى الله عليه
وسلم : "أما أنه قد صدق وهو كذوب تعلم من تخاطب مذ ثلاث
(١)
ليال ياأبا هريرة ؟ قال لا . قال : ذاك شيطان .

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، باب اذا وكل رجلا فترك
الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز وان أقرضه الى
أجل مسمى جاز .
٤٨٦/٤ ، ٤٨٧ .

مواقف طوائف الكافرين من القرآن

موقف المشركين من القرآن :

اعراضهم عن آيات الله :

أوضحت الآيات القرآنية اعراض هذه الفئة الكافرة بالله

تعالى فقال تعالى :

{وماتاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
(١)
معرضين} .

وقوله تعالى :

{وماتاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
(٢)
معرضين} .

بل ان الكافرين ليصد بعضهم بعضا عن سماع القرآن
وتدبر معانيه ، وهو اعظم جرما واشد اثما من اعراضهم . قال
تعالى :

{وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا
(٣)
فيه لعلكم تغلبون} .

ثم وصف الحق تعالى هذا الاعراض بقوله تعالى :

{ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم
(٤)
يلعبون} . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا
هل هذا الا بشر مثلكم أفقتون السحر وأنتم

(١) سورة الانعام : ٤
(٢) سورة يس : ٤٦
(٣) سورة فصلت : ٢٦

تبصرون . قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو
(١)
السميع العليم } .

وقوله تعالى :

{ قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم
تنكصون . مستكبرين به سامرا تهجرون . أفلم
(٢)
يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين }
(٣)
{ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون } .

ثم نعى الحق عليهم هذا الاعراض فقال تعالى :
{ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض
ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم
(٤)
معرضون } .

(٥)
{ قبلى حديث بعده يؤمنون } .

ثم الحكم عليهم لتوليهم واعراضهم بقوله تعالى :
(٦)
{ فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين } .

وقوله تعالى :

(٧)
{ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } .

ثم جاء الوعيد للكافرين وجزاءهم على اعراضهم فى قوله

تعالى :

{ ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره
(٨)
يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد

(١)	سورة الانبياء : ٤٠، ٣٤
(٢)	سورة المؤمنون : ٦٦-٦٨
(٣)	سورة الانشقاق : ٢١
(٤)	سورة المؤمنون : ٧١
(٥)	سورة المرسلات : ٥
(٦)	سورة آل عمران : ٦٣
(٧)	سورة آل عمران : ٨٢
(٨)	سورة طه : ١٢٤

كنت بميرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن
(١)
بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

وقوله تعالى :

{وما يأتيتهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه
معرضين فقد كذبوا فسأيتهم أنباء ما كانوا به
(٢)
يستهنئون} .

وقوله تعالى :

{ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أنا
(٣)
من المجرمين منتقمون} .

وسنقف عند الآيات الكريمة من سورة الانبياء متأملين

لمعانيها :

{ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم
يلعبون} لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا
هل هذا إلا بشر مثلكم أفئتون السحر وأنتم
تبصرون قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو
(٤)
السميع العليم} .

الدلالة اللغوية للألفاظ :

يلعبون :

لعب : اللام والعين والباء كلمتان منهما يتفرع كلمات
احدهما اللعب . والتلعب : الكثير اللعب . والملعب :

(١) سورة طه : ١٢٥-١٢٧

(٢) سورة الشعراء : ٦٠٥

(٣) سورة السجدة : ٢٢

(٤) سورة الانبياء : ٣، ٢

مكان اللعب . واللعبة : اللون من اللعب ... والكلمة الأخرى
اللعباب : مايسيل من قم الصبي ولعباب النحل العسل .. وقيل
(١)
ان أصل الباب هو الذهاب على غير استقامة .

(٢)

والى هذا أشار الراغب .

ولعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا .

(٣)

قال تعالى : {وذُر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا} .

لاهية :

لهو : اللام والهاء والحرف المعتل أصلان صحيحان :
أحدهما يدل على شغل عن شيء بشيء ، والآخر على نبذ شيء من
الباب ، فالأول اللهو ، وهو كل شيء شغلك عن شيء ، فقد
ألهاك . ولهوت من اللهو . ولهيت عن الشيء ، اذا تركته
لغيره . والقياس واحد وان تغير اللفظ أدنى تغير ، وقد
يكنى باللهو عن غيره ، قال تعالى : {لو أردنا أن نتخذ
لهوا} قال الحسن وقتادة : أراد باللهو المرأة . وقال قوم
(٤)
أراد به الولد .

وأما الأصل الآخر فاللهوة ، وهو مايطرحه الطاحن فى
ثقبَةِ الرحى بيده ، والجمع لهُى ، وبذلك سمى العطاء لهُوة
فقليل : هو كثير اللهى . فأما اللّهاة فهى أقصى القم ،
كأنها شبهت بثقبَةِ الرحى ، وسميت لّهاة لما يُلقى فيها من
(٥)
الطعام .

وعند الراغب : اللهو مايشغل الانسان عما يعنيه ويهمّه
يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اشتغلت عنه باللهو ، قال تعالى

(١) المقاييس لابن فارس ، مادة (لعب) .

(٢) المفردات للراغب ص ٤٥٠ .

(٣) سورة الأنعام : ٧٠

(٤) سورة الأنبياء : ١٧

(٥) المقاييس (لهو) .

{وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو} .^(١)
وقوله تعالى : {لاهيمة قلوبهم} أى ساهية مشتغلة بما
لايعنيها .^(٢)
^(٣)

الفرق بين اللهو واللعب :

وهو أنه للهو الا للعب وقد يكون لعب ليس للهو لأن
اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره ولايقال لذلك
لهو وإنما اللهو لعب لايعقب نفعا وسمى لهوا لأنه يشغل عما
يعنى ، ومنه قوله تعالى : {الهاكم التكاثر} .^(٤)
^(٥)

تأملات بيانية فى الآيات السابقة :

فى هذه الآيات الكريمات يقرر الحق تعالى اعراض
الكافرين عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بأنه تعالى يجدد
لهم الذكر وقتا فوقتا ، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة
بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلمهم
يتعظون ، فما يزيدهم استماع الآى والصور ومافيها من فنون
المواعظ والبصائر التى هى أحق الحق وأجد الجد الا لعبا
وتلهيا واستسارا .^(٦)

وهذا ذم لهم وزجر لغيرهم عن مثله لأن الانتفاع بما
يسمع لا يكون الا بما يرجع الى القلب من تدبر وتفكر ، واذا
كانوا عند استماعه لاعبين حملوا على مجرد الاستماع الذى قد
تشارك البهيمة فيه الانسان ، ثم أكد تعالى ذمهم بقوله

-
- (١) سورة الانعام : ٣٢
(٢) سورة الانبياء : ٣
(٣) المفردات ص ٤٥٥ .
(٤) الفروق ص ٢١٠ .
(٥) سورة التكاثر : ١
(٦) الكشاف ٥٦٢/٢ .

تعالى : { لاهية قلوبهم } واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل ،
وانما ذكر اللعب مقدما على اللهو كما فى قوله تعالى :
{ انما الحياة الدنيا لعب ولهو } ^(١) تنبيها على أن اشتغالهم
باللعب الذى معناه السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذى
معناه الذهول والغفلة ، فانهم أقدموا على اللعب للهوهم
^(٢) وذهولهم عن الحق .

^(٣) وقوله تعالى : { وأسروا النجوى الذين ظلموا } والنجوى
اسم من التناجى لا تكون الا خفية وانما معنى قوله وأسروا
مبالغة فى اخفائها ، أو جعلوها بحيث لا يفتن أحد لتناجيتهم
ولا يعلم أنهم متناجون . وأبدل { الذين ظلموا } من واو وأسروا
اشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به .
فوضع المظهر موضع المضمّر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم .
وانما أسروا هذا الحديث وبالفوا فى اخفائه لأنه كان
شبه تشاور فيما بينهم ، والتحاور فى طلب الطريق الى هدم
أمره وعادة المتشاورين فى خطب أن يجتهدوا فى طى سرهم
ما أمكن ، ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ماتدعوناه حقا
^(٤) فأخبرونا بما أسرنا .

وما حكاه القرآن عنهم من قولهم : { هل هذا الا بشر
مثلكم أفئتئون السحر وأنتم تبصرون } وهو طعن فى نبوته صلى
الله عليه وسلم بأمرين :

(أحدهما) أنه بشر مثلهم ، (والثانى) أن الذى أتى به

(١) سورة محمد : ٣٦
(٢) تفسير الرازى ١٤١/٢٢ .
(٣) سورة الانبياء : ٣
(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ٥٦٢/٢ .

سحر ، وكلا الطعنين فاسد .

(أما الأول) فلأن النبوة تقف صحتها على المعجزات والدلائل لأعلى الصور ، إذ لو بعث الملك اليهم لما علم كونه نبيا لمورته ، وانما كان يعلم بالعلم فاذا ظهر ذلك على من هو بشر فيجب أن يكون نبيا ، بل الأولى أن يكون المبعوث الى البشر بشرا لأن المرء الى القبول من أشكاله أقرب ، وهو به آنس .

(وأما الثانى) وهو أن ماأتى به الرسول عليه الصلاة والسلام سحر وانهم يرون كونه سحرا فجهل أيضا ، لأن كل ماأتى به الرسول من القرآن وغيره ظاهر الحال لاثمويه فيه ولاتلبيس فقد كان عليه الصلاة والسلام يتحداهم بالقرآن حالا بعد حال مدة من الزمان وهم أرباب الفماحة والبلاغة ، وكانوا فى نهاية الحرص على ابطال أمره وأقوى الامور فى ابطال أمره معارضة القرآن ، فلو قدروا على المعارضة لامتنع أن لاياتوا بها لأن الفعل عند توافر الدواعى وارتفاع المصارف واجب الوقوع ، فلما لم يأتوا بها دل ذلك على أنه فى نفسه معجزة وانهم عرفوا حاله ، فكيف يجوز أن يقال انه سحر والحال هذه وكل ذلك يدل على أنهم كانوا عالمين بمدقه ، الا أنهم كانوا يموهون على ضعفائهم بمثل هذا القول وان كانوا فيه مكابرين .

ثم اعقب طعنهم بقوله تعالى : {قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم} فهو كالجواب لما قالوه فكانه قال انكم وان اخفيتم قولكم وطعنكم فان ربى عالم بذلك وانه من وراء عقوبته ، فتوعدوا بذلك لكى لايعودوا الى

(١)

مثله .

وفى التعبير بالقول دون السر لقوله {وأسروا النجوى} لأن القول عام يشمل السر والجر ، فكأن فى العلم به العلم بالسر وزيادة فكان أكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول (يعلم السر) ، كما أن قوله تعالى {يعلم السر} أكد من أن يقول يعلم سرهم ، فان قيل لم ترك الأكيد فى سورة الفرقان (٢) فى قوله : {قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض} أجيب ليس بواجب أن يجىء بالأكيد فى قوله فى كل موضع ولكن يجىء بالتوكيد مرة وبالاكيد مرة أخرى ، ثم الفرق أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى ، فكأنه أراد أن يقول ان ربه يعلم ما أسروه ، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثمة قصد وصف ذاته بأن قال : {أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض} فهو كقوله {علام الغيوب} ، {عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال (٣) ذرة} (٤) (٥) .

عدم سماع الكافرين للقرآن لأن

قلوبهم فى أكنة وفى آذانهم وقر

بالنظر الى الآيات الكريمات التالية نستطيع أن نتبين مجموعة من الحواجز التى تحول دون حاسة السمع وبين قيامها بدورها خير قيام ، فهناك الاعراض والتولى والاستكبار ، وهناك الحجاب المستور الذى يجعله الله سبحانه وتعالى بين قارئ القرآن الكريم وبين الكافرين ، وهناك صمم الآذان

- (١) تفسير الرازى ١٤٢/٢٢ .
 (٢) سورة الفرقان : ٦
 (٣) سورة المائدة : ١٠٩
 (٤) سورة سبأ : ٣
 (٥) تفسير الكشاف ٥٦٢/٢ .

ووقر السمع ، وهناك القلوب التى عليها أكنة وفوقها أغطية
فلاتسمع لصوت الحق أن يتسلل ، فضلا عن أن يتحول سماعا
واعيا .

قال تعالى :

(١) {واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعا
كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم} .
(١)

(٢) {واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن
يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك فى القرآن
وحده ولوا على أدبارهم نفورا . ونحن أعلم بما يسمعون
به إذ يستمعون اليك وإذا هم نجوى إذ يقول الظالمون ان
تتبعون الا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال
فقلوا فلا يستطيعون سبيلا} .
(٢)

(٣) {انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا
مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من
يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} .
(٣)

(٤) {والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك
ينادون من مكان بعيد} .
(٤)

(٥) {ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن
يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا
أساطير الأولين} .
(٥)

(١)	سورة لقمان : ٧
(٢)	سورة الاسراء : ٤٥-٤٨
(٣)	سورة النمل : ٨٠-٨١
(٤)	سورة فصلت : ٤٤
(٥)	سورة الانعام : ٢٥

(٦) {وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا
(١)
وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون} .

وأخيرا جاء اعترافهم وندمهم حين لاينفع الندم ولات
ساعة مندم ، يقول تعالى يصف شأنهم حين معاينتهم تلك
النهاية المخزية وذلك العذاب الاليم :

{قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازل
الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال كبير. وقالوا لو
(٢)
كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير} .

وسنقف عند قوله تعالى من سورة الانعام :
{ومنها من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن
يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا
أساطير الاولين} .

الدلالة اللغوية للفاظ :

أكنة :

(كن) الكاف والنون أصل واحد يدل على ستر أو صون .
يقال كُننت الشيء فى كِنِّه ، اذا جعلته فيه وصنته . وأكننت
الشيء : أخفيتَه . وعند الراغب : خص كُننت بما يستتر ببيت أو
(٣)
شوب أو غير ذلك من الأجسام . قال تعالى : {كأنهن بيض
(٤)
مكنون} . وأكننت بما يستتر فى النفس قال تعالى : {أو
(٥)
أكننتم فى أنفسكم} .
(٦)

-
- (١) سورة فصلت : ٥
(٢) سورة الملك : ١٠، ٩
(٣) المقاييس (كن) .
(٤) المفردات ص ٤٤٢ .
(٥) سورة الصافات : ٤٩
(٦) سورة البقرة : ٢٣٥

وفى اللسان قال أبو زيد : كُنْتَهُ وأَكْنَنْتَهُ بمعنى فى الكُن وفى النفس جميعا ، تقول كُنَنْتَ العلم وأَكْنَنْتَهُ ، فهو مَكْنُونٌ ومَكْنٌ ومَكْنٌ .

(١)
وَكُنَنْتَ الجارية وأَكْنَنْتَهَا فهى مَكْنُونَةٌ ومَكْنَةٌ .

يفقهوه :

(فقه) الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح ، يدل على ادراك الشئ والعلم به . تقول : فَقِهْتُ الحديثَ أَفْقَهَهُ . وكل علم بشئ فهو فِقْهٌ . ثم اختص بذلك علم الشريعة ، فقليل لكل عالم بالحلال والحرام : فقيهه وافقَهْتِكَ الشئ إذا بينته لك .
(٢)
وعند الراغب : الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم ، قال تعالى : {فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} (٤) . يقال فقه الرجل فُقَاهَةً إذا صار فقيها ، وَفَقَهُ أَيْ فَهِمَ فُقَاهًا وَفَقِيَهُ أَيْ فَهِمَهُ ، وَتَفَقَّهَ إذا طلبه فتخصص به . قال تعالى : {ليتفقهوا فى الدين} .
(٥)

وفى اللسان : الفقه : العلم بالشئ ، والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا والعود على المنديل ، قال ابن الاثير : واشتقاقه من الشَّقِّ والفتح وقد جعله العُرفُ خاصا بعلم الشريعة ، شَرَّفَهَا الله تعالى ، تخصيصا بعلم الفروع
(٦)
منها .

-
- (١) لسان العرب لابن منظور (كنن) .
(٢) المقاييس (فقه) .
(٣) المفردات ص ٣٨٤ .
(٤) سورة النساء : ٧٨
(٥) سورة التوبة : ١٢٢
(٦) مادة (فقه) .

وَقَر :

الواو والقاف والراء : أصل يدل على ثقل فى الشيء .
 منه الْوَقْرُ : الثَّقل فى الأذن . يقال منه : وَقَرَتْ أذنه تَوَقَّرَ
 (١)
 وَقُرَا . قال . وَقَرَتْ أذنه فهى موقورة .
 وقيل الْوَقْرُ : أن يذهب السمع كله ، والثقل أخف من ذلك
 وَقَرَتْ أذنه بالكسر تَوَقَّرَ وَقَرَّ أى مَمَّتْ وَوَقَرَتْ وَقُرَا . قال
 (٢)
 الجوهري : قياس مصدره التحريك إلا أنه جاء بالتسكين .

أساطير :

(سطر) السين والطاء والراء أصل مطرد يدل على اصطفاف
 الشيء كالكتاب والشجر ، وكل شيء اصطف . فأما الأساطير
 فكانها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك اسماً لها ، مخصوصاً
 بها . يقال سطر فلان علينا تسطيراً ، إذا جاء بالباطل
 (٣)
 وواحد الأساطير اسطار واسطورة .

(٤)

وقال تعالى : {أساطير الأولين} معناه سطره الأولون .
 (٥)
 وسطر يسطر إذا كتب ، قال تعالى : {ن والقلم وما يسطرون} .
 (٦)

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة
 أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية
 لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين
 كفروا ان هذا الا أساطير الأولين} .

-
- (١) المقاييس (وَقَر) .
 (٢) المقاييس (وَقَر) .
 (٣) المقاييس (سطر) .
 (٤) سورة الأنعام : ٢٥
 (٥) المقاييس (سطر) .
 (٦) سورة القلم : ١

أهمية القلب بين سائر الجوارح :

جاء فى تفسير الامام القرطبى رحمه الله فى هذا
(١)
الشان :

والقلب للإنسان وغيره وخالص كل شئ وأشرفه قلبه
فالقلب موضع الفكر وهو فى الأصل مصدر قلبت الشئ أقلبه
قلبا اذا رددته على بداءته .

ثم نقل هذا اللفظ فسمى به هذا العضو الذى هو أشرف
الحيوان ، لسرعة الخواطر اليه ، ولترددتها عليه .
ثم لما نقلت العرب هذا المصدر لهذا العضو الشريف
التزمت فيه تفخيم قافه تفريقا بينه وبين أصله .

ومما يدل على أهمية هذا العضو قوله صلى الله عليه
وسلم : "ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
(٢)
فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب" .

على أن الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتأثر بها
وان كان رئيسها وملكها للارتباط بين الظاهر والباطن .

تقديم السمع على البصر :

لعلنا نلاحظ كذلك من عرضنا لآيات الكريمات التى تبين
عدم سماعهم للقرآن الكريم سماع تدبر وفهم اذا تلى عليهم ،
وعدم نظرهم فى آيات الله نظر تفكر وتأمل رغبة فى الاهتداء
أن السمع مقدم على البصر ، وذلك لفضله فالسمع يدرك به من
الجهات الست ، وفى النور والظلمة ولا يدرك بالبصر الا من
(٣)
الجهة المقابلة ، وبواسطة من ضياء وشعاع .

(١) تفسير القرطبى ١٨٨، ١٨٧/١ بتصرف .
(٢) سنن ابن ماجه ١٣١٨، ١٣١٩ كتاب الفتن ، باب الوقوف
عند الشبهات .
(٣) تفسير القرطبى ١٨٩/١ .

فى هذه الآيات الكريمات يذكر لنا الحق تعالى ما يوجب اليأس من ايمان بعض الكافرين لوجود الموانع الصادة عنه ، فمهما توالى الآيات والنذر لاتجدى معهم شيئا اذ الحجب كثيفة والغطية سميكة ، فاختراقها عسير والوصول اليها فى حكم المستحيل .

قاله تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بأن من أولئك الكافرين فريقا يستمع اليك اذا أنت تلوت القرآن الكريم داعيا الى توحيد الله مبشرا ومنذرا ، وحال هؤلاء الكافرين أن الله جعل على قلوبهم أغطية تحول دون فهمه وفهمه ، وفى آذانهم ثقلا أو صمما يحول دون سماعه بقصد التدبر والوصول الى مافيه من الهداية والرشد .

وفى هذا تشبيه للحجب والموانع المعنوية بالحجب والموانع الحسية ، فالقلب الذى لا يفقه الحديث ولا يتدبره كالوعاء الذى وضع عليه الغطاء فلا يدخل فيه شيء ، والآذان التى لاتسمع الكلام سماع فهم وتدبر كالأذان المصابة بالثقل (١) أو بالصمم ، فسمعها وعدمه سواء .

وقوله تعالى : {وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها} فهم مهما يروا من الآيات والحجج مما يدل على صدق الرسول لا يؤمنوا بها ويحملوها على السحر لفرط عنادهم ، واستحكام التقليد فيهم فلا فهم عندهم ولا انصاف ، فهم كما وصفهم الله تعالى : {ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم} . بل لقد بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم اذا جاءوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يحاجونه ويناضرونه فى الحق بالباطل قائلين عن

(١) تفسير المراغى ٩٨/٧ .

(٢) سورة الأنفال : ٢٣

القرآن العظيم أساطير الأولين وعد أحسن الحديث وأصدق من قبيل الأباطيل ، وهو كما نعتة المولى تعالى : {لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه} رتبة من الكفر لا غاية (١)
(٢) وراءها .

فلو عقل هؤلاء قمم القرآن وتدبروا معانيها لكان لهم من ذلك آيات بينات تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعبر ومواعظ ونذر تبين سنن الله فى خلقه مع الاقوام الذين كذبوا الرسل وكانت عاقبة أمرهم الدمار والنكال . (٣)

الكافرون بمثابة الموتى أصحاب القبور .

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق كى يعبدوه جل وعلا وحده لاشريك له . والى ذلك اشار قوله تعالى فى سورة الذاريات :
(٤) {وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون} .

وانما تعرف الكيفية الصحيحة لعبادة الله تعالى عن طريق رسل الله تعالى ابتداء بنوح عليه السلام وانتهاء بخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذى نسخ دينه الذى بعثه الله تعالى به كل دين .

وبهذا يكون المسلم هو الذى يحقق الهدف الذى من أجله خلقه الله تعالى وأوجده فى هذه الحياة الأولى كى ينال الجزاء الأوفى فى الآخرة ، وهو الحى على الحقيقة لأنه يحقق الهدف الذى خلقه الله تعالى من أجله . أما الكافر فانه لا يحقق الهدف الذى خلقه الله تعالى من أجله وهو عبادة الله

(١) سورة فصلت : ٤٢

(٢) تفسير القاسمى ٤٩٢/٦ ، ٤٩٣ .

(٣) تفسير المراغى ٩٩/٧ .

(٤) الآية : ٥٦

تعالى وحده لا شريك له ، لذلك هو كالأنعام بل هو أضل ولذلك هو من الموتى سكان القبور .

وان الآيات الكريمة التي استشهدنا بها تنزل المؤمن منزلة الحي ، وتنزل الكافر منزلة الميت ساكن القبر وان كان يسرح فى أرض الله تعالى الواسعة ويمرح ، لأنه لا يسمع صوت الحق سماع تدبر ولا يستجيب لداعى الايمان ، وقد قال تعالى :

{فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة
(١)
فرت من قسورة} .

ويقول تعالى مخبرا عن الذين عطلوا حواسهم عما خلقت من أجله :

(١) {انما يستجيب الذين يسمعون} والموتى يبعثهم الله ثم
(٢)
اليه يرجعون} .

(٢) {انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من
(٣)
يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} .

(٣) {فانك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من
(٤)
يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} .

(٤) {وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء
(٥)
وما أنت بمسمع من فى القبور} .

-
- (١) سورة المدثر : ٤٩-٥١
(٢) سورة الانعام : ٣٦
(٣) سورة النمل : ٨٠، ٨١
(٤) سورة الروم : ٥٢، ٥٣
(٥) سورة فاطر : ٢٢

(١)

(٥) {لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين} .

تأملات بيانية فى آيتى سورة النمل :

يأمر المولى تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوكل عليه وقلعة المبالة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الابلج الذى لايتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوشوق بمنع الله وبنصرته ، وأن مثله لا يخذل . وفى قوله تعالى : {انك لاتسمع الموتى} تعليل آخر للتوكل على المولى تعالى واليأس الكامل من أولئك الكافرين والاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم .

وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم اذا سمعوا مايتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لاتعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع ، وكانت حالتهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع ، وكذلك تشبيهم بالصمم الذين ينطق بهم فلا يسمعون ، ثم جاء التأكيد لحال الأعمم بقوله تعالى : {اذا ولوا مدبرين} لأنه اذا تباعد عن الداعى بأن يولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته .

وقوله تعالى : {وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم} هداية موصلة الى المطلوب كما فى قوله تعالى : {انك لاتهدى من أحببت} فان الاهتداء منوط بالبصر ، وايراد الجملة الاسمية للمبالغة فى نفى الهداية ، ان تسمع سماعا يجدى السامع نفعا الا من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى

(١) سورة يس : ٧٠

(٢) تفسير الكشاف ١٥٩/٣ .

(٣) سورة القصص : ٥٦

والاثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال ان تهدى الا من يؤمن... الخ لما أن طريق الهداية هو سماع الآيات التنزيلية (فهم مسلمون) تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى : {بلى من أسلم وجهه} ، وهؤلاء الكافرون يعلنون على رؤوس الأشهاد أنهم لن يؤمنوا بهذا القرآن الكريم .

مجادلة الكافرين في آيات الله بالباطل
وافتراؤهم على الله الكذب وكتمانهم الحق

جاء الحديث عن مجادلة الكافرين في القرآن الكريم في ستة مواضع هي :

قوله تعالى :

{حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين} .
(٣)

{ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا} .
(٤)

{ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد} .
(٥)

{الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار} .
(٦)

-
- (١) تفسير أبى السعود ٣٠٠/٦ .
(٢) سورة البقرة : ١١٢
(٣) سورة الأنعام : ٢٥
(٤) سورة الكهف : ٥٦
(٥) سورة غافر : ٤
(٦) سورة غافر : ٣٥

{ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان
أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ
(١)
بالله انه هو السميع البصير} .

{الم تر الى الذين يجادلون فى آيات انى يصرفون .
الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف
(٢)
يعلمون} .

وسنقف متأملين للآية الرابعة من سورة غافر وهى قوله

تعالى :

{الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم
كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار} .

الدلالة اللغوية للكفاظ :

سلطان :

(سلط) السين واللام والطاء أصل واحد ، وهو القوة
والقهر من ذلك السلاطه ، من التسلط وهو القهر ، ولذلك سمى
السلطان سلطانا . والسلطان : الحجة . والسليط من الرجال :
الفصيح اللسان الذَّرب . والسليطة : المرأة الصَّخابة .
(٣)
وفى اللسان : سلطان : الحجة والبرهان ، ولايجمع لأن
مجراه مجرى المصدر وقيل هو من السليط .

وقال الزجاج فى قوله تعالى : {ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين} أى وَحْجَة بَيِّنَة . والسلطان انما سمى

(١) سورة غافر : ٥٦

(٢) سورة غافر : ٧٠، ٦٩

(٣) المقاييس (سلط) .

سلطانا لانه حجة الله فى أرضه .
واشتقاق السلطان من السليط وهو ما يضاء به ، ومن هذا
قيل للزيت : سليط .
وقوله عز وجل : { فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان } .
أى حيثما كنتم شاهدتم حجة الله تعالى وسلطانا يدل
على أنه واحد . وكل سلطان فى القرآن حجة .
وقوله تعالى : { هلك عنى سلطانيه } معناه ذهب عنه حجته
والسلطان : الحجة ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام
بهم الحجة والحقوق .
وسلطان كل شئ : شدته وحدته وسطوته ، قيل من اللسان
(١)
السليط الحديد .

الفرق بين الملك والسلطان :

أن السلطان قوة اليد فى القهر للجمهور الأعظم وللجماعة
اليسيرة أيضا . ألا ترى أنه يقال الخليفة سلطان الدنيا
وملك الدنيا ويقال لأمير البلد سلطان البلد ولا يقال له ملك
البلد ، لأن الملك هو من اتسعت مقدرته على مآذرك ، فالملك
هو القدرة على أشياء كثيرة ، والسلطان القدرة سواء كان
على أشياء كثيرة أو قليلة ، ولهذا يقال له فى داره سلطان
ولا يقال له فى داره ملك ، ولهذا يقال هو مسلط علينا وان لم
يملكنا ، وقيل السلطان المانع المسلط على غيره من أن
يتصرف عن مراده ، ولهذا يقال ليس لك على فلان سلطان فتمنعه
(٢)
من كذا .

(١) اللسان (سلط) .
(٢) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص ١٥٥ .

مقتا :

مقت : الميم والقاف والتاء كلمة واحدة تدل على شناعة
(١)
وقبح ومقته مقتا فهو مقيت وممقوت .

يطبع :

الطاء والباء والعين أصل صحيح ، وهو مثل على نهاية
ينتهى اليها الشئ حتى يختم عندها . ويقال طبعت على الشئ
طابعا . ثم يقال على هذا طبع الانسان وسجيته . ومن ذلك طبع
الله على قلب الكافر ، كانه ختم عليه حتى لا يميل اليه هدى
(٢)
ولانور ، فلا يوفق لخير .

قال ابن الاثير : كانوا يرون أن الطبع هو الرين ، قال
مجاهد : الرين أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الاقفال ،
(٣)
والاقفال أشد من ذلك كله .

الفرق بين الختم والطبع :

أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من
معنى الثبات وال لزوم مالا يفيد الختم ، ولهذا قيل طبع
الدرهم طبعاً وهو الأثر الذى يؤثر فيه فلا يزول عنه ، كذلك
أيضاً قيل طبع الانسان لانه ثابت غير زائل ، وقيل طبع فلان
على هذا الخلق اذا كان لا يزول عنه ، وقال بعضهم الطبع علامة
تدل على كنه الشئ ، قال وقيل طبع الانسان لدلالته على حقيقة
(٤)
مزاجه من الحرارة والبرودة قال وطبع الدرهم علامة جوازه .

-
- (١) المقاييس (مقت) .
(٢) المقاييس (طبع) .
(٣) اللسان (طبع) .
(٤) الفروق اللغوية ص ٥٦ .

الفرق بين الكبر والجبرية والجبروت :

أن الجبرية أبلغ من الكبر وكذلك الجبروت ويدل على هذا فخامة لفظها وفخامة اللفظ تدل على فخامة المعنى فيما يجرى هذا المجرى ، ولهذا قال أهل العربية الملكوت أبلغ من الملك لفخامة لفظه ، وكذلك الطاغوت أبلغ من الطاغى لفخامة لفظه .

وتجبر أبلغ من تكبر ، وقال بعض العلماء تجبر الرجل إذا تعظم بالقهر فهو لذلك أبلغ من تكبر لأن التكبر لا يتضمن معنى القهر ، والجبار القهار والجبار العظيم في قوله تعالى : { ان فيها قوما جبارين } ^(١) ، والجبار المتسلط في قوله تعالى : { وما أنت عليهم بجبار } ^(٢) . وقيل الجبار في صفات الله تعالى بمعنى أنه لا يبالى بالأذى وأصله في النخلة التي فأتت اليد ، وقال ابن عطاء : الجبار في أسماء الله تعالى بمعنى أنه يجبر الكسر . ^(٣)

تأملات بيانية في قوله تعالى :

{الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار} . ^(٤)

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن جدال هؤلاء الكفرة كان بغير حجة أما بناء على التقليد المجرد ، وأما بناء على شبهات خسية . ^(٥)

(١) سورة المائدة : ٢٢

(٢) سورة ق : ٤٥

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٤) سورة غافر : ٣٥

(٥) تفسير الرازي ٦٢/٢٧ .

وفى المجيء بالمضارع فى (يجادلون) لافادة تجدد
مجادلتهم وتكررها وانهم لاينفكون عنها . وهذا مريح فى ذمهم
وكناية عن ذم جدالهم الذى اوجب ضلالهم .
وجملة (كبر مقتا عند الله) خبر (ان) من باب الاخبار
بالانشاء ، وهى انشاء ذم جدالهم المقصود منه كم فم الحق أى
كبر جدالهم مقتا عند الله .
وفعل (كبر) هنا ملحق بأفعال الذم .
والمقت من الله تعالى شدة البغض ، وهو كناية عن شدة
العقاب على ذلك من الله وكونه مقتا عند الله تشنيع له
وتفظيع .
وفى عطف (وعند الذين آمنوا) التنويه بالمؤمنين وأنهم
يكرهون الباطل ، كما قال تعالى : {والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} .
مع الإشارة الى تبجيل مكانتهم بأن ضمت عنديتهم الى
عندية الله تعالى .
وفى اسناد كراهية الجدل فى آيات الله بغير سلطان
للمؤمنين تلقين للمؤمنين بالاعراض عن مجادلة المشركين على
نحو ما فى قوله تعالى :
(١)
(٢)
{واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} .
وفى قوله تعالى : {كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار} أى يعم الضلال جميع أجزاء هذا القلب فلايبقى فيه محل
يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل ، فان قاعدتها
أنها اذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٤٢/٢٤-١٤٤ .

(٢) سورة الفرقان : ٦٣

تكون لعموم الأفراد وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء وهنا دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد وإنما أريد هذا المعنى وإن كان مخالفاً للقاعدة للمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها .^(١)

وفى الفرق بين متكبر وجبار قال مقاتل (متكبر) عن قبول التوحيد ، (جبار) فى غير حق وكمال السعادة فى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ، فعلى قول مقاتل التكبر كالمضاد للتعظيم لأمر الله والجبروت كالمضاد للشفقة^(٢) على خلق الله .

موقف الكفار من الرسول صلى الله عليه وسلم :

ذكر القرآن الكريم فى ثلاثة عشر موضعاً مواقف الكافرين من صاحب الرسالة العظمى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد تباينت هذه المواقف ودلت على أن الكافرين هذا دأبهم وديدنهم فى كل أمة ومع كل رسول ، يشير الى ذلك قوله تعالى {وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها أنا^(٣) بما أرسلتم به كافرون} .

ومواقف هؤلاء الكافرين منها ما كان يدفع اليها التقليد وتتبع خطى الأسلاف كما يشير قوله تعالى :

{وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو^(٤) كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون} .

(١) تفسير الصاوى على الجلالين ٨/٤ .

(٢) تفسير الرازى ٦٣/٢٧ .

(٣) سورة سبأ : ٣٤

(٤) سورة المائدة : ١٠٤

{واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا
الا رجل يريد أن يمدكم عما كان يعبد آباؤكم
وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا
(١)
للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين} .
ومواقف أخرى تقود اليها المكابرة والعناد كما حكى
ذلك القرآن عنهم :

{ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم
(٢)
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} .
وقد دفعهم هذا العناد وهذه المكابرة الى :
ادعائهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم افترى القرآن
قال تعالى :

{أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما
(٣)
ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون} .
{أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى
(٤)
وانا برىء مما تجرمون} .
وادعائهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم شاعر مجنون ،
قال تعالى مخبرا عن ذلك :

{ويقولون اننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون} . بل
(٥)
جاء بالحق وصدق المرسلين} .
ومن مواقفهم ما أشاره حسدهم أن يختص الله برسالة
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

-
- (١) سورة سبأ : ٤٣
(٢) سورة الانعام : ٧
(٣) سورة السجدة : ٣
(٤) سورة هود : ٣٥
(٥) سورة الصافات : ٣٦، ٣٧

{وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله . الله أعلم حيث يجعل رسالته
سيميب الذين أجرموا صفار عند الله وعذاب شديد
(١)
بما كانوا يمكرون} .
وسنقف عند قوله تعالى :

{أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة
الا خلا فيها نذير ، وان يكذبوك فقد كذب الذين من
قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
(٢)
المنير. ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير} .

الدلالة اللغوية للآفاظ :

الزُّبر :

(زبر) الزاء والباء والراء أصلان : أحدهما يدل على
احكام الشئ وتوثيقه ، والآخر يدل على قراءة وكتابة
وما شبه ذلك .

فالاول قولهم زبرت البئر ، اذا طويتها بالحجارة .
ومنه زُبْرَة الحديد وهى القطعة منه ، والجمع زُبَر . ومن
الباب الزبرة : المصدر وسمى بذلك لانه كالبئر المزبورة ، أى
المطوية بالحجارة .

والاصل الآخر : زبرت الكتاب ، اذا كتبتة . ومنه الزُّبور
(٣)
وربما قالوا زبرته ، اذا قرأته .
وفى المفردات : وقد يقال الزبرة من الشعر جمعه زبر

(١) سورة الانعام : ٢٤
(٢) سورة فاطر : ٢٤-٢٦
(٣) المقاييس (زبر) .

واستعير للمجزأ ، قال تعالى : {فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُرًا} أى صاروا فيه أحزابا . وزبرت الكتاب كتبته كتابة عظيمة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور ، وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام ، قال تعالى : {وآتينا داود زبورًا} . وقيل بل الزبور كل كتاب صعب الوقوف عليه من الكتب الالهية ، قال تعالى : {وانه لفى زبر الأولين} . وقال بعضهم : الزبور اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الاحكام الشرعية ، والكتاب لما يتضمن الاحكام والحكم ويدل على ذلك أن زبور داود عليه السلام لا يتضمن شيئا من الاحكام .^(١)

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير ، وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير} . يخاطب الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : {انا أرسلناك بالحق} أى محقين أو ملتبسين بالحق ، أو محقا وملتبسا بالحق بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ، وهذا هو الحال فى ماضى مامن قرن فيما سلف الا كان فيه من يبشر أهل الطاعة بالجنة وينذر أهل المعصية بالنار الزاما للحجة عليهم ، واكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية مع ذكرهما معا آنفا ، لأن النذارة والبشارة لما كان كل واحدة منهما من توابع الأخرى ولوازمها من حيث ان كل

(١) المفردات ص ٢١١ .

من ينذر على المخالفة يبشر على الموافقة جاز الاكتفاء ،
 باحداهما عن الأخرى ، ولأن المقصود الأهم من البعثة هو
 الإنذار ، لأن الناس لتمامديهم فى الغفلة والضلال وانهماكهم
 فى اتباع الشهوات واللذات وتقليد المصريين على المنكرات
 كان احتياجهم الى النذير أهم ، لأن التخلية عن الرذائل
 مقدمة على التحلية بالفضائل .

ثم يسلى الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر
 ابتلاء الرسل بتكذيب أممهم على اختلاف أحوال الرسل ، فمنهم
 الذين أتوا بآيات أى خوارق عادات فقط مثل صالح وهود ولوط
 ومنهم من أتوا بالزبر وهى المواعظ التى يؤمر بكتابتها
 وزبرها لتحفظ وتردد على الألسن كزبور داود ، ومنهم من
 جاءوا بالكتاب المنير يعنى كتاب الشرائع مثل ابراهيم
 وموسى وعيسى ، فذكر الباء مشيراً الى توزيع أصناف المعجزات
 على أصناف الرسل ولايلزم أن يجرى كل فرد منهم بجميعها .

والاستفهام فى قوله تعالى : { فكيف كان نكير } للتقرير
 فانه عليه الصلاة والسلام علم شدة انكار الله تعالى عليهم
 فحسن الاستفهام على هذا الوجه فى مقام التسلية .
 (٣)

والنكير اسم لشدة الانكار ، وهو كناية عن شدة العقاب
 لأن الانكار يستلزم الجزاء على الفعل المنكر بالعقاب .
 وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً ولرعاية الفواصل فى الوقف
 (٤)
 لأن الفواصل يعتبر فيها الوقف .

-
- (١) حاشية زاده على البيضاوى ١٠٨/٤ .
 (٢) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٢/٢٩٨، ٢٩٩ .
 (٣) حاشية زاده على البيضاوى ١٠٩/٤ .
 (٤) تفسير التحرير والتنوير ٢٢/

وهكذا يتبين أن الكافرين كذبوا القرآن الكريم والرسول العظيم ، لأنهم عطلوا عقولهم ولم يتأملوا القرآن الكريم ولم يتدبروه بعكس المسلمين الذين يتلون القرآن الكريم ويتدبرونه ، ويعملون بتعاليمه .

ان القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين خليق أن يؤمن به كل العرب اصحاب الفصاحة وأرباب البيان . وحينما كانت نفوس بعض هؤلاء العرب صافية ولم يغالباوا الفطرة فهموا القرآن الكريم على حقيقته فبادروا الى الايمان ، وحينما كانت نفوس بعض العرب غير صافية ، وحينما كانت فطرهم معوجة وغير مستقيمة كذبوا بالقرآن الكريم وبالرسول العظيم .

وعلى هذا يظهر أن كمون العيب فى هؤلاء المكذبين الكافرين الذين انصرفوا ، فصرف الله قلوبهم عن الهدى والحق .

كفرهم بالقرآن :

تمور الآيات القرآنية التالية جحود هؤلاء الكافرين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من آيات بينات فقال تعالى :

(١) {ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين- فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران (١) تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون} .

(٢) {واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير} .^(١)

(٣) {والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز اليم} .^(٢)

(٤) {وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم ل كنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا وأسرروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون} .^(٣)

الدلالة اللغوية لألفاظ الآيات السابقة من سورة سبأ :

الظالمون :

(ظلم) الظاء واللام والميم أصلان صحيحان ، أحدهما خلاف الضياء والنور ، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً .^(٤)
(٥) وعند الراغب : الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء

-
- (١) سورة لقمان : ٢١
(٢) سورة سبأ : ٥
(٣) سورة سبأ : ٣١-٣٣
(٤) المقاييس (ظلم) .
(٥) المفردات ص ٣١٥، ٣١٦ .

وضع الشيء في غير موضعه المختص به اما بنقصان أو بزيادة ،
واما بعدول عن وقته أو مكانه ، ومن هذا يقال ظلمت السقاء
إذا تناول في غير وقته ، ويسمى ذلك اللبن الظليم .
والظلم يقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا
يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير ، ولذلك قيل لآدم
في تعديه ظالم ، وفي ابليس ظالم ، وان كان بين الظلمين
بون بعيد .

قال بعض الحكماء : الظلم ثلاثة :

- الأول : ظلم بين الانسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر
(١)
والشرك والنفاق ، ولذلك قال تعالى : { ان الشرك لظلم عظيم }
(٢)
واياه قصد بقوله : { ألا لعنة الله على الظالمين } ، وقوله :
(٣)
{ والظالمين أعد لهم عذابا أليما } الى غيرها من الآيات .
والثاني : ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله
(٤)
تعالى : { انما السبيل على الذين يظلمون الناس } ، وقوله :
(٥)
{ ومن قتل مظلوما } .
الثالث : ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله تعالى
(٦)
{ فمنهم ظالم لنفسه } ، وقوله : { فتكونا من الظالمين } أى من
(٧)
الظالمين أنفسهم .

-
- (١) سورة لقمان : ١٣
(٢) سورة هود : ١٨
(٣) سورة الانسان : ٣١
(٤) سورة الشورى : ٤٢
(٥) سورة الاسراء : ٣٣
(٦) سورة فاطر : ٣٢
(٧) سورة الاعراف : ١٩

وكل هذه الثلاثة فى الحقيقة ظلم للنفس ، فان الانسان فى أول ما يهيم بالظلم فقد ظلم نفسه ، فاذا الظالم أبدا مبتدىء فى الظلم ، ولهذا قال تعالى :
 {وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون} ، وقوله : {وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} ، وقوله : {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} فقد قيل هو الشرك بدلالة أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وقال لهم ألم تروا الى قوله تعالى : {ان الشرك لظلم عظيم} ، وقوله : {ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا} فانه يتناول الانواع الثلاثة من الظلم ، فما أحد كان منه ظلم مافى الدنيا الا لو حصل له مافى الأرض ومثله معه لكان يفتدى به .

مددناكم :

(مد) الصاد والبدال معظم بابه يؤول الى اعراض وعدول ويجىء بعد ذلك كلمات تشذ . فالمد : الاعراض : يقال صد يصد وهو ميل الى أحد الجانبين . ثم تقول : مددت فلانا عن الأمر اذا عدلته عنه والصدان : جانبى الوادى الواحد صد ، وهو القياس ، لأن الجانب مائل لامحالة . ويقولون : ان الصد ماستقبل . يقال : هذه الدار على مدد هذه . ويقولون : الصد : القرب . والصداد الطريق الى الماء . والصد : الجبل . وهذه الكلمات التى ذكرت فليست عند صاحب المقاييس أملا لبعدها عن القياس ، وان صحت فهي محمولة على الأصل .

-
- (١) سورة آل عمران : ١١٧
 (٢) سورة الاعراف : ١٦٠
 (٣) سورة الانعام : ٢
 (٤) سورة لقمان : ١٣
 (٥) سورة الزمر : ٤٧
 (٦) المفردات ص ٣١٦ .
 (٧) المقاييس (مد) .

(١) وفى الراغب : المذود والمد قد يكون انصرافا عن الشيء
(٢) وامتناعا نحو : {يصدون عنك صدودا} .

وقد يكون صرفا ومنعنا نحو : {وزين لهم الشيطان
(٣) أعمالهم فصدهم عن السبيل} .

مجرمين :

(جرم) : أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر ورجل جارم
وقوم جرام وثمر جريم والجرامة ردىء التمر المجروم ، وجعل
بناؤه بناء النفاية وأجرم صار ذا جرم نحو أثمر وأتمر
وألبن ، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ولايكاد يقال فى
عامية كلامهم للكيس المحمود ومصدره جَرَمٌ . فمن الاجرام قوله
(٤) عز وجل : {ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون
(٥) ومن جَرَم قال تعالى : {لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم} .
فمن قرأ بالفتح فنحو بَغْيَتَهُ مالا ومن ضم فنحو أبغيته
مالا أى أغشته ، قال تعالى : {ولايجرمنكم شأن قوم على أن
(٦) لاتعدلوا} ، وقوله عز وجل : {فعلى اجرامى} فمن كسر فمصدر ،
ومن فتح فجمع جَرَم .

واستعير من الجَرَم أى القطع جرمت صوف الشاة وتجرَم
الليل .

والجِرْم فى الأصل المجروم نحو نَقَضَ ونَقَضَ للمنقوض
(٨) والمنفوض وجعل اسما للجسم المجروم .

-
- | | |
|-----|--------------------|
| (١) | المفردات ص ٢٧٦ . |
| (٢) | سورة النساء : ٦١ |
| (٣) | سورة النمل : ٢٤ |
| (٤) | سورة المطففين : ٢٩ |
| (٥) | سورة هود : ٨٩ |
| (٦) | سورة المائدة : ٨ |
| (٧) | سورة هود : ٣٥ |
| (٨) | المفردات ص ٩١ . |

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم ل كنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن مددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا (١) وأسروا الندامة لما رأوا العذاب} .

لما بين الحق تعالى فى الآيات السابقة الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحساب ذكر أن المشركين كفروا بالكل قائلين : {لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه} من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل .

وحين وقع اليأس من ايمانهم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه سيراهم على أذل حال ، موقوفين للسؤال متجاذبين أهذاب المراجعة كما يكون حال جماعة أخطأوا فى تدبير أمر ، وجواب لو محذوف أى لقضيت العجب وبدأ بالاتباع لأن المضل أولى بالتوبيخ .

وفى قوله تعالى : {لولا أنتم} اشارة الى أن كفرهم كان لمانع لالعدم المقتضى ، فان الرسول قد جاء ولم يقمر فى تبليغ الرسالة وأداء الأمانة .

ثم ذكر جواب المستكبرين وهم الرؤوس والمتبوعون على

طريقة الاستئناف ، وفى ايلاء الاسم وهو نحن حرف الإنكار اثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عن الهدى بكسب منهم واختيار وأن المانع لم يكن راجحا على المقتضى ، ولما سواها له ، وأكدوا ذلك بقولهم : {بل كنتم مجرمين} أى أنكم أنتم الذين أطعتم داعى الهوى فكنتم كافرين ، ولم يكن منا الا التسويل (١) والتزيين .

{وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا} اضرابا عن اضرابهم ، وابطالا له {بل مكر الليل والنهار} أى بل صدنا مكرم بنا بالليل والنهار ، فحذف المضاف اليه وأقيم مقامه الظرف اتساعا أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين ، أى بل صدنا مكرم فى الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف اليه ، أو مكر عظيم على أنه للتفخيم ، وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الاغواء مكر دائبا لا تفترون عنه ، فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكرم الاغواء فى الليل والنهار على ماسبق من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية ، أى بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار أى مكر دائما .

وقوله تعالى : {اذ تأمرونا} ظرف للمكر ، أى بل مكرم الدائم وقت أمركم لنا .

{ان تكفر بالله ونجعل له أندادا} على أن المراد بمكرهم اما نفس أمرهم بما ذكر ، واما أمورا آخر مقارنة

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ٥٧، ٥٦/٢٢ .

لأمرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك .

{وأسروا الندامة لما رأوا العذاب} أى أضرر الفريقان الندامة على مافعلوا من الضلال والاضلال ، وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعبير أو أظهروها ، فإنه من الاضداد وهو المناسب لحالهم {وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا} والاضهار فى موضع الاضممار للتنويه بدمهم ، والتنبيه على موجب أغلالهم {هل يجزون الا ماكانوا يعملون} أى لايجزون الا جزاء ماكانوا يعملون ، أو الا بما كانوا يعملونه على نزع (١) الجار .

عقاب الكافرين بآيات الله :

صورت الآيات القرآنية الجزاء الاوفى الذى ينتظر الكفار بآيات الله فكان منها مايشير الى العقوبة النازلة بهم ، فقال تعالى :

{يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلاحوف عليهم ولاهم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك (٢) أصحاب النار هم فيها خالدون} .
{ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق (٣) لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين} .

(١) تفسير أبى السعود ١٣٤/٧ ، ١٣٥ .

(٢) سورة الاعراف : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٨ .

{والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى
(١)
العذاب محضرون} .

{ان المجرمين فى ضلال وسعر- يوم يسحبون فى النار
(٢)
على وجوههم ذوقوا مس سقر-} .

{والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار
(٣)
خالدين فيها وبئس الممير} .

ومن الآيات القرآنية ما يشير الى موعد هذا العقاب ،

قال تعالى :

{فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم أنباء
(٤)
ماكانوا به يستهزئون} .

وقال تعالى :

{ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب
(٥)
بآياته انه لايفلح الظالمون} .

{وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ،
(٦)
لكل نبي مستقر وسوف تعلمون} .

{ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض
أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس
الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولايزال الذين كفروا تمصيبهم بما منعوا قارعة أو
تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله
(٧)
لايخلف الميعاد} .

(١)	سورة سبأ : ٣٨
(٢)	سورة القمر : ٤٧، ٤٨
(٣)	سورة التغابن : ١٠
(٤)	سورة الأنعام : ٥
(٥)	سورة الأنعام : ٢١
(٦)	سورة الأنعام : ٦٦، ٦٧
(٧)	سورة الرعد : ٣١

{واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير
الاولين. ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن
(١)
أوزار الذين يفلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون}
{فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى
يوعدون. يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى
نصب يوفضون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم
(٢)
الذى يوعدون} .

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان
المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على
(٣)
وجوههم ذوقوا مس سقر} .

لما وقعت الهزيمة للمشركين فى بدر وصدق وعد الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : {سيهزم الجمع
ويولون الدبر} وهذا من دلائل النبوة البينة ، ذكر الحق
تعالى أن ذلك ليس الموعد الأعظم ، بل الساعة موعدهم للجزاء
وهى أدهى من كل ما يفرض وقوعه فى الدنيا ، فهى أمر هائل
(٤)
لا يهتدى لدوائه وأمر لأن عذابها للكافر غير مفارق ومزائل .
فهى أشد مرارة فى الذوق ، وهى استعارة لصعوبتها على
النفس ، ثم وصف حال المجرمين من الاولين والآخرين بأنهم فى
هلاك ونيران مسعرة ، ثم يأتى خطابهم ذوقوا مس سقر ،
والمراد ألمها على أنه مجاز مرسل عنه بعلاقة السببية ، فان

(١) سورة النحل : ٢٤، ٢٥

(٢) سورة المعارج : ٤٢-٤٤

(٣) سورة القمر : ٤٦-٤٨

(٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للباقى ١٩/١٣١، ١٣٢

(١)

مسما سبب للتألم بها .

وفى قوله تعالى {ذوقوا} استعارة وفيه حكمة وهو أن الذوق من جملة الادراكات ، فان المذوق اذا لاقى اللسان يدرك أيضا حرارته وبرودته وخشونته وملاسته ، كما يدرك سائر أعضائه الحسية ويدرك أيضا طعمه ولا يدركه غير اللسان ، فادراك اللسان أتم . فاذا تأذى من نار تأذى بحرارته ومرارته ان كان الحار أو غيره لا يتأذى الا بحرارته . فاذن الذوق ادراك لمسى أتم من غيره فى الملموسات ، فقال تعالى {ذوقوا} اشارة الى أن ادراكهم بالذوق أتم الادراكات ، فيجتمع فى العذاب شدته وايلامه بطول مدته ودوامه ، ويكون المدرك له لاعتذر له يشغله وانما هو على أتم ما يكون من الادراك فيحمل الألم العظيم . (٢)

وفى قوله تعالى : {ان المجرمين فى ضلال وسعره يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر} . يرى صاحب التحرير والتنوير :

أن اقتران الكلام بحرف (ان) لفائدتين : احدهما الاهتمام بصريحه الاخبارى ، وثانيتهما تأكيد ماتضمنه من التعريض بالمشركين ، لأن الكلام وان كان موجها للنبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يشك فى ذلك ، فان المشركين يبلغهم ويشيع بينهم وهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة فكانوا جديرين بتأكيد الخبر فى جانب التعريض ، فتكون (ان) مستعملة فى غرضها من التوكيد والاهتمام .

(١) روح المعانى ٩٣/٢٧ .
(٢) تفسير الرازى ٧١/٢٩ .

والتعبير عنهم بـ (المجرمين) اظهار في مقام الاضرار
لالمصاق وصف الاجرام بهم .
والسحب : الجر ، وهو في النار اشد من ملازمة المكان ،
لان به يتجدد مماسة نار أخرى فهو اشد تعذيبا .
وجعل السحب على الوجوه اهانة لهم .
(١)
وصيغة الامر (ذوقوا) مستعملة في الاهانة والمجازاة .

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٧/٢١٥، ٢١٦ .

موقف كافرى أهل الكتاب من القرآن

- (١) كافرو أهل الكتاب يكتمون ذكر القرآن الذى يعلمون أنه حق .
- (٢) كافرو أهل الكتاب يحسدون المؤمنين على فضل الله بانزال القرآن .
- (٣) كافرو أهل الكتاب يريدون كتابا من السماء .
- (٤) كافرو أهل الكتاب يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت .
- (٥) كافرو اليهود ينكرون كل الوحى ويكفرون بالقرآن الذى بشروا هم بقرب نزوله على النبى المبعوث قريبا .
- (٦) كثير من بنى اسرائيل فاسقون لم يؤمنوا بما أنزل الله .
- (٧) توبيخ القرآن كافرى أهل الكتاب لكفرهم بآيات الله ومدهم عن السبيل .

القرآن وكافرو أهل الكتاب

كافرو أهل الكتاب يكتُمون ذكر القرآن
الذى يعلمون أنه حق .

جاء النكير الشديد على كافرى أهل الكتاب والوعيد
بسوء المصير لكتمانهم ما جاءهم فى كتبهم المنزلة عليهم من
ذكر للقرآن وللنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى :
{الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
(١)
يعلمون} .
{ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم
(٢)
الله ويلعنهم اللاعنون} .
{ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم
الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم
(٣)
ولهم عذاب أليم} .
{واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم
(٤)
واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون} .
{يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا

(١) سورة البقرة : ١٤٦
(٢) سورة البقرة : ١٥٩
(٣) سورة البقرة : ١٧٤
(٤) سورة آل عمران : ١٨٧

مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد
(١)

جاءكم من الله نور وكتاب مبين} .

{وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله

على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به

موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها

وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم
(٢)

قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون} .

وسنقف عند الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من

سورة البقرة متأملين أولا لدلالات ألفاظها . قال تعالى :

{ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى

من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم

الله ويلعنهم اللاعنون} .

يكتُمون :

(كتم) الكاف والتاء والميم أصل صحيح يدل على اخفاء

(٣)

وستر . من ذلك كتمت الحديث كتما وكتماننا ، قال تعالى :

(٤)

{ولا يكتُمون الله حديثا} . والكتمان ترك اظهار الشيء مع

الحاجة اليه ، وحصول الداعى الى اظهاره ، لانه متى لم يكن

كذلك لا يعد كتماننا ، فلما كان ما أنزل الله من البينات

والهدى من أشد ما يحتاج اليه فى الدين وصف من علمه ولم

(٥)

يظهره بالكتمان .

والكتمان يكون بالغاء الحفظ والتدريس والتعليم ،

(١) سورة المائدة : ١٥

(٢) سورة الانعام : ٩١

(٣) المقاييس (كتم) .

(٤) سورة النساء : ٤٢

(٥) تفسير الرازى ١٦٣/٤ .

ويكون بازالتة من الكتاب أصلا وهو ظاهره ، قال تعالى :
{وتخفون كثيرا} ويكون بالتأويلات البعيدة عن مراد الشارع ،
(١)
(٢)
لأن اخفاء المعنى كتمان له .

من الكتمان كتمان فضل الله ، قال الله تعالى :
{الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
(٣)
من فضله} ، فكتمان الفضل هو كفران النعمة ولذلك قال بعده
(٤)
(٥)
{واعتدنا للكافرين عذابا مهينا} .

يلعنهم :

(لعن) اللام والعين والنون أصل صحيح يدل على ابعاد
واطراد . ولعن الله الشيطان : أبعدته عن الخير والجنة .
(٦)
ورجل لُعْنَةٌ بالسكون : يلعنه الناس ، ولُعْنَةٌ : كثير اللعن .
وفى المفردات : اللعن : الطرد والابعاد على سبيل
السخط وذلك من الله تعالى فى الآخرة عقوبة وفى الدنيا
انقطاع من قبول رحمته وتوقيفه ، ومن الانسان دعاء على غيره
(٧)
قال تعالى : {أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} .
(٨)
وعند الرازى : اللعنة فى اللغة هى الابعاد وفى عرف
(٩)
الشرع الابعاد من الثواب .

تأملات بيانية فى الآية الكريمة :

فى هذه الآية الكريمة وعيد شديد لمن كتم ما جاء به

-
- (١) سورة الانعام : ٩١
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٦٧/٢ .
(٣) سورة النساء : ٣٧
(٤) المفردات ص ٤٢٦ .
(٥) سورة النساء : ١٥١
(٦) المقاييس (لعن) .
(٧) المفردات ص ٤٥١ .
(٨) سورة البقرة : ١٥٩
(٩) تفسير الرازى ١٦٤/٤ .

الرسول من الآيات الواضحة الدالة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما أشار إليه قوله تعالى : { ما أنزلنا من البينات } ، وقوله تعالى : { الهدى } الآيات الهادية الى كنه أمره ووجوب اتباعه والإيمان به ، عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للأصل ، وهى المرادة بالبينات أيضا ، والعطف لتفاير العنوان كما فى قوله عز وجل : { هدى للناس وبينات } ... الخ . (١) (٢)

وفى هذا المعنى يقول الرازى :

أما قوله تعالى : { ما أنزلنا من البينات } فالمراد كل ما أنزله على الأنبياء كتابا وحيا دون أدلة العقول ، { والهدى } يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية ، لأن الهدى عبارة عن الدلائل فيعم الكل ، فان قيل : فقد قال تعالى : { والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب } فعاد الى الوجه الأول أجيب بأن الأول هو التنزيل والثانى ما يقتضيه التنزيل من القوائد .

وهذه الآية تدل على أن ما يتمل بالدين ويحتاج اليه المكلف لا يجوز أن يكتفى ، ومن كتبه فقد عظمت خطيئته ، ومثله قوله تعالى : { واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه } فهذه الآية كلها موجبة لظاهر علوم الدين تنبيها للناس ، وزاجرة عن كتمانها ، وقد روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من كتم علما يعلمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار " . (٣) (٤)

(١) سورة البقرة : ١٨٥

(٢) تفسير أبى السعود ١٨٢/١ .

(٣) تفسير الرازى ١٦٣/٤ .

(٤) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب العلم ، باب من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ١٣٨/٤ .

وفى قوله تعالى : {أولئك} اشارة اليهم باعتبار ماوصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم ومافيه من معنى البعد للايذان بتراعى أمرهم وبعد منزلتهم فى الفساد يبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للمفاتيح لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه تعالى صفة الجلال المفارقة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة .

وقوله تعالى : {ويلعنهم اللاعنون} الذين يتأتى منهم اللعن ، أى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين ، والمراد بيان دوام اللعن واستمراره .
(١)

كافرو أهل الكتاب يحسدون المؤمنين على فضل الله بانزال القرآن .

فى الآيات التالية يبين الحق تعالى ويكشف عن طوايا نفوس كافرى أهل الكتاب الذين يودون لو يرجع المؤمنون كفارا حسدا لهم ولنبيهم صلى الله عليه وسلم ، فهم لا يكتفون بكفرهم ونقضهم للعهد بل يحسدونهم على نعمة الاسلام ويتمنون أن يحرّموا منها .

قال تعالى :

{ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
(٢)
الكافرين} .

(١) تفسير أبى السعود ١٨٢/١ .

(٢) سورة البقرة : ٨٩

{مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين
 أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص
 برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} .^(١)
 {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد
 إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد
 ماتبين لهم الحق ، فاعفوا وامضوا حتى يأتى
 الله بأمره ، ان الله على كل شئ قدير} .^(٢)
 {ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم
 وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون} .^(٣)
 ولنتأمل معانى الآية التاسعة بعد المائة من سورة

البقرة :

يود :

(ود) الواو والـ دال : كلمة تدل على محبة . وددته :
 أحببته . ووددت أن ذاك كان ، اذا تمنيته ، أود فيهما
 جميعاً . وفى المحبة الود ، وفى التمنى الودادة . وهو وديد
 فلان ، أى يحبه .^(٤)
 وفى المفردات : الود محبة الشئ وتمنى كونه ،
 ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على أن التمنى يتضمن معنى
 الود ، لأن التمنى هو تشهى حصول ما توده ، وقوله تعالى :
 {وجعل بينكم مودة ورحمة} فإشارة الى ما أوقع بينهم من
 اللفة المذكورة فى قوله : {لو أنفقت مافى الأرض جميعاً

(١) سورة البقرة : ١٠٥
 (٢) سورة البقرة : ١٠٩
 (٣) سورة آل عمران : ٦٩
 (٤) المقاييس (ود) .
 (٥) سورة الروم : ٢١

(١)

ما ألفت بين قلوبهم } .

وفى المودة التى تقتضى المحبة المجردة فى قوله تعالى

(٢)

{قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى} .

ومودة الله تعالى لعباده هى مراعاته لهم .

(٣)

ومن المودة التى تقتضى معنى التمنى : {ودت طائفة من

(٤)

أهل الكتاب لو يفلونكم} .

والود : مصدر المودة ، والود الحب يكون فى جميع

(٥)

مداخل الخير .

الفرق بين الحب والود :

أن الحب يكون فيما يوجب ميل الطباع والحكمة جميعا ،

والود من جهة ميل الطباع فقط ، ولذلك يقال أحب فلانا وأوده

ويقال أحب الصلاة ولا تقول أود الصلاة ، ويقال أود أن ذاك كان

(٦)

لى إذا تمنيت وداده .

حسدا :

حسد : الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها وربما كان

(٧)

مع ذلك سعى فى إزالتها .

(٨)

قال تعالى : {حسدا من عند أنفسهم} .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

"الاحتاسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آتاه

(١) سورة الانفال : ٦٣

(٢) سورة الشورى : ٢٣

(٣) للراغب ص ٥١٦، ٥١٧ .

(٤) سورة آل عمران : ٦٩

(٥) اللسان (ودد) .

(٦) الفروق اللغوية ص ٩٩ .

(٧) المفردات ص ١١٨ .

(٨) سورة البقرة : ١٠٩

(١)

الليل والنهار ، ورجل آتاه الله قرآنا فهو يتلوه " .

وسئل أحمد بن يحيى عن معنى هذا الحديث فقال : معناه

(٢)

لاحسد لا يضر الا فى اثنتين .

الفرق بين الحسد والغبط :

أن الغبط هو تمنى مثل حال المغبوط من غير ارادة

زوالها عنه ، والحسد تمنى أن تكون حاله لك دونه فلهذا ذم

(٣)

الحسد ، ولم يذم الغبط .

تأملات بيانية فى الآيتين الكريمتين :

{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد

إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد

ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله

بأمره ان الله على كل شئ قدير . وأقيموا الصلاة

وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه

(٤)

عند الله ان الله بما تعملون بصير} .

يحذر تعالى عباده المؤمنين من سلوك طرائق الكفار من

أهل الكتاب ، ويعلم بعداوتهم لهم فى الباطن والظاهر وما هم

مشتغلون عليه من الحسد للمؤمنين ، مع علمهم بفشلهم وفضل

(٥)

نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم يأمر عباده المؤمنين

بالعفو والمفح ، والعفو ترك عقوبة المذنب ، والمفح ترك

التشريب والتأنيب ، وهو أبلغ من العفو اذ قد يعفو الانسان

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ، كتاب التمنى ، باب

تمنى القرآن والعلم ٢٢٠/١٣ .

(٢) اللسان (حسد) .

(٣) الفروق اللغوية ص ١٠٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٠٩ ، ١١٠ .

(٥) ابن كثير ٢٢٠/١ .

ولا يصفح ولعله مأخوذ من تولية صفحة الوجه اعراضا أو تصفحت الورقة اذا تجاوزت عما فيها .^(١)

وفى قوله تعالى : {حتى يأتى الله بأمره} حتى يأتى نصر الله لكم بمعاونته وتأنيده .

وقد يكون المراد بقوله تعالى هو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير من المدينة بعد أن غدروا ونقضوا العهد بموالة المشركين وتكرر ذلك منهم مرات كثيرة .

وفى أمره تعالى لهم بالعفو والصفح اشارة الى أن المؤمنين على قلتهم هم أصحاب القدرة والشوكة ، لأن الصفح لا يكون الا من القادر ، فكأنه تعالى يقول لهم : لاتغرنكم كثرة أهل الكتاب مع باطلهم ، فأنتم على قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق ، وأهل الحق مؤيدون بعناية الله ، ولهم العزة ماثبتوا عليه .

ثم أكد وعده لهم بالنصر بقوله تعالى : {ان الله على كل شيء قدير} .

فهو القادر على أن يهيبكم من القوة ماتتضاءل دونه جميع القوى ويثبتكم بما أنتم عليه من الحق فتتغلبوا على أعدائكم ، {ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز} .^(٢)
^(٣)

(١) روح المعانى ٣٥٧/١ .
(٢) تفسير المراغى ١٩١/١ .
(٣) سورة الحج : ٤٠

كافرو أهل الكتاب يريدون كتابا من السماء .

قال تعالى :

{يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من
السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا
الله جهرة فأخذتهم الماعقة بظلمهم ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك
(١)
وآتيناهم موسى سلطانا مبينا} .

تأملات بيانية فى الآية الكريمة :

لما كانت شبهة كافرى أهل الكتاب طلب انزال كتاب من
السماء من أعظم شبههم التى أضلوا بها من أراد الله ، وذلك
أنهم رأوا أن هذا الكتاب المبين اعظم المعجزات ، وأن العرب
لم يمكنهم الطعن فيه على وجه يمكن قبوله ، فوجهوا
مكايدهم نحوه بهذه الشبهة ونحوها ، كشفها الحق تعالى أتم
كشف وفضحهم بسببها غاية الفضيحة ، وزاد سبحانه وتعالى فى
تبكيتهم بقوله تعالى : {أهل الكتاب} اشارة الى أن العالم
ينبغى له أن يكون أبعد الناس من التمويه فضلا عن الكذب
(٢)
الصريح .

ومجى المضارع هنا : اما لقصد استحضار حالتهم
العجيبة فى هذا السؤال ، حتى كأن السامع يراهم كقوله

(١) سورة النساء : ١٥٣
(٢) نظم الدرر ٤٥٣/٥ ، ٤٥٤ .

(١) تعالى : {ويمنع الفلك} ، وقوله : {بل عجت ويسخرون} (٢) .
 واما للدلالة على تكرار السؤال وتجده مرة بعد الأخرى بأن
 يكونوا ألحوا فى هذا السؤال لقصد الاعنات .
 والمقصود على كلا الاحتمالين التعجيب من هذا السؤال ،
 ولذلك قال تعالى بعده : {فقد سألوا موسى} .

والسائلون هم اليهود ، سألوا معجزة مثل معجزة موسى
 بأن ينزل عليه مثل ما أنزلت الألواح فيها الكلمات العشر على
 موسى ، ولم يريدوا جميع التوراة كما توهمه بعض المفسرين
 فان كتاب التوراة لم ينزل دفعة واحدة (٣) .

ولما كان هذا مما يستعظمه النبى صلى الله عليه وسلم
 أشار الى ذلك مبينا تسليية له صلى الله عليه وسلم أن
 عادتهم التعنت ، وديدهم الكفر ، وأن أوائلهم تعنتوا على
 من يدعون الايمان به الآن ، وأنهم على شريعته وأحب شيء فيه
 ما أراهم من تلك الآيات العظام التى منها استنقأهم من
 العبودية بل من الذبح ، وأن ذلك تكرر منهم مع ما يشاهدونه
 من القوارع والعفو ، فهؤلاء على نهج آبائهم فى التعنت فقد
 سألوا موسى أعظم مما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فطلبوا رؤية الله جل وعلا ، وكلا السؤالين ممنوع لكونه ظلما
 لادائه الى الاستخفاف بما تقدمه من المعجزات وعده غير كاف
 مع أن انزال الكتاب جملة غير مناسب للحكمة التى بنى عليها
 ربط المسببات بالاسباب وبنائها عليها ، لأن من المعلوم أن
 تفريق الأوامر سبب لخفة حملها ، وذلك أدعى لامتناعها وأيسر

(١) سورة هود : ٣٨

(٢) سورة الصافات : ١٢

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٤، ١٣/٦ .

لحفظها وأعون على فهمها ، وأعظم تشبيها للمنزل عليه وأشرح
لمدركه وأقوى لقلبه وأبعث لشوقه .

والرؤية على هذا الوجه الذى طلبوه وهو الاحاطة محال ،
فسؤالهم لذلك استخفاف مع أنه تعنت ، وأعقبه نزول صاعقة
أهلكتهم بسبب ظلمهم بهذا السؤال وغيره .

ثم بعد العفو عنهم وأحيائهم من أمارة هذه الصاعقة
(١)
(اتخذوا العجل) أى تكلفوا أخذه وعنوا أنفسهم باصطناعه .

فهم لم يردعهم ذلك العقاب فاتخذوا العجل الها من بعد
ما جاءتهم البينات الدالة على وحدانية الله ونفى الشريك ،
وعطفت جملة اتخاذهم العجل بحرف (ثم) المفيد فى عطفه الجمل
معنى التراخى الرتبى . فان اتخاذهم العجل الها أعظم جرما
مما حكى قبله ، ومع ذلك عفا الله عنهم وآتى موسى سلطانا
(٢)
مبيناً أى حجة واضحة عليهم فى تمردهم وعنادهم .

وفيه رمز ظاهر الى أنه تعالى يسلط محمدا صلى الله
(٣)
عليه وسلم على كل من يعانده أعظم من هذا التسليط .

كافرو أهل الكتاب يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت .

ذكر الحق تعالى حال كافر أهل الكتاب مستقبها وذاما
لزعيمهم وادعائهم الايمان واثيانهم بما ينافيه من التحاكم
الى غير الله ، فهؤلاء آمنوا بأفواههم وجحدت قلوبهم لأن
الايمان الصحيح يأمر بالكفر بالطاغوت والتحاكم الى كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

(١) نظم الدرر ٤٥٤/٥ - ٤٥٦ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٥/٦ .
(٣) نظم الدرر ٤٥٦/٥ .

{ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم (١)
وهم معرضون} .

{ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى (٢)
من الذين آمنوا سبيلا} .

{ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون (٣)
عنك صدودا} .

ولنتأمل دلالات الألفاظ فى هاتين الآيتين الكريمتين :
زعم :

الزاء والعين والميم أصلان : أحدهما القول من غير صحة ولا يقين ، والآخر التكفل بالشئ .

فالأول الزعم والزعم . وهذا القول على غير صحة . قال (٤)
الله جل ثناؤه : {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا} .

والأصل الآخر : زعم بالشئ ، اذا كفل به .
ومن الباب الزعامة ، وهى السيادة ، لأن السيد يزعم (٥)
بالأمور أى يتكفل بها ، قال تعالى : {قالوا نفقد صواع

(١) سورة آل عمران : ٢٣

(٢) سورة النساء : ٥١

(٣) سورة النساء : ٦٠ ، ٦١

(٤) سورة التغابن : ٧

(٥) المقاييس (زعم) .

(١)

الملك ولمن جاء به حمل بغير وأنا به زعيم} .
وفى اللسان : الزَّعم والزَّعم والزَّعم ، ثلاث لغات :
القول ، زَعَمَ زَعْمًا وزُعِمًا وزِعِمًا أى قال ، وقيل : هو القول
يكون حقا ويكون باطلا .

وقال الليث : سمعت أهل العربية يقولون اذا قيل ذكر
فلان كذا وكذا فانما يقال ذلك لأمر يستيقن أنه حق ، واذا شك
فيه فلم يُدَرَّ لعله كذب أو باطل قيل زعم فلان ، وقيل : الزعم
الظن ، وقيل : الكذب .^(٢)

وجاء فى المفردات : الزَّعم حكاية قول يكون مظنة الكذب
ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذم القائلون به نحو :
{زعم الذين كفروا} ، {كنتم تزعمون} .^(٣)^(٤)

وقيل للضمّان بالقول والرئاسة زعامة ف قيل للمتكفل
والرئيس زعيم للاعتقاد فى قوليهما انهما مظنة للكذب ، قال
تعالى : {وأنا به زعيم} ، {أيهم بذلك زعيم} اما من^(٥)^(٦)
الزعامة أى الكفالة ، أو من الزعم بالقول .^(٧)

الطاغوت :

(طغى) الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ،
وهو مجاوزة الحد فى العميان ، يقال هو طاغ . وطغى السيل^(٨)
اذا جاء بماء كثير ، قال تعالى : {انا لما طغى الماء}
والمعنى والله أعلم خروجه عن المقدار .

-
- (١) سورة يوسف : ٧٢
(٢) لابن منظور (زعم) .
(٣) سورة الثّغابن : ٧
(٤) سورة الانعام : ٢٢
(٥) سورة يوسف : ٧٢
(٦) سورة القلم : ٤٠
(٧) للراغب ص ٢١٣ .
(٨) سورة الحاقة : ١١

قال الخليل : الطغيان والطغوان لغة والفعل منه طغيت وطفّوت .

والطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ويستعمل فى الواحد والجمع ، قال تعالى : { فمن يكفر بالطاغوت } ^(١) ، { والذين اجتنبوا الطاغوت } ^(٢) . وسمى الساحر والكاهن والمارد من الجن والمارف عن طريق الخير طاغوتا ووزنه فيما قيل فَعَلُوت نحو جبروت وملكوت وقيل أصله طَفُوت ولكن قلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة ، ثم قلب الواو ألفا لتحركه وانفتاح ما قبله ^(٣) .

وقال أبو اسحاق : كل معبود من دون الله عز وجل جبت وطاغوت . وقيل : الجبت والطاغوت الكهنة والشياطين ، وقيل فى بعض التفسير : الجبت والطاغوت حَيَّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان ، قال الأزهري : وهذا غير خارج عما قال أهل اللغة لأنهم اذا اتبعوا أمرهما فقد أطاعوهما من دون الله .

وقال الشعبى وعطاء ومجاهد : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان والكاهن وكل رأس فى الضلال ^(٤) .

تأملات بيانية فى الآيتين الكريمتين :

يوجه الحق تعالى الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ماأمروا به من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ووصفهم بادعاء

(١) سورة البقرة : ٢٥٦

(٢) سورة الزمر : ١٧

(٣) المفردات ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٤) اللسان (طفى) .

الايمان بالقرآن وبما أنزل من قبله أى التوراة لتأكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقبحا ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ماصدر عنهم .

وفى قوله تعالى : {يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت} استئناف سيق لبيان محل التعجيب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، والطاغوت رأس المنافقين كعب بن الأشرف اليهودى سمى به لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبی صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان .

والاقتضار حينئذ فى معرض التعجيب والاستقبحا على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه أيضا للتنبيه على أن ارادته مما يقضى منه العجب ، ولاينبغى أن يدخل تحت الوقوع فكيف به نفسه .^(١)

وهم قد أمروا أن يكفروا بالطاغوت فى كل ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وماقبله ومتى تحاكموا اليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله ، ويريد الشيطان بتحاكمهم اليه أن يضلهم ضلالا بعيدا بحيث لايمكنهم منه الرجوع الى الهدى . ولما ذكر رغبتهم فى التحاكم الى الطاغوت ذكر نفرتهم عن التحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم اذا قيل لهم اقبلوا رافعين أنفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم وهو ما أنزل الله الذى عنده كل شيء ، والى الرسول الذى تجب

(١) تفسير أبى السعود ١٩٤/٢ ، ١٩٥ .

طاعته لأجل مرسله سبحانه وتعالى مع أنه صلى الله عليه وسلم
أكمل الرسل الذين هم أكمل الخلق رسالة . ولكنه تعالى أظهر
الوصف الذى دل على كذبهم فيما زعموه من الايمان فقال تعالى
{ رأيت المنافقين يصدون } أى يعرضون ثم أكد هذا الصدود
بقوله { صدودا } أى هو فى أعلى طبقات الصدود .
(١)

كافرو اليهود ينكرون كل الوحي ويكفرون بالقرآن الذى
بشروا هم بقرب نزوله على النبى المبعوث قريبا .

قال تعالى :

{ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
(٢)
الكافرين} .

تذكر الآية حال كافرى اليهود الذين كانوا يتطلعون الى
بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهم قد بشروا بمجيئه ،
قال تعالى : {ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
كأنهم لا يعلمون} . ولكن ولما بعث الرسول صلى الله عليه
(٢)
وسلم تبدل وتغير الأمر فاذا هم ينكرون كل وحي .

قال تعالى :

{وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله
على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به
موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها

(١) تفسير نظم الدرر ٣١٣/٥ ، ٣١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٨٩

وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم
(١)
قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون } .

تأملات بيانية فى الآية الكريمة :

قوله تعالى : {وماقدروا الله حق قدره} انما هو تنزل
مع اليهود والا فالخلاق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم
يعرفوه حق معرفته .

وهنا معنيان الأول : أن معنى وماقدروا الله حق قدره
أى ما عرفوه المعرفة التى تليق به وهذه لا يصل اليها أحد
أبدا .

وهذا منتف فى حق كل مخلوق فلا خصوصية لليهود .
الثانى : أن معنى وماقدروا الله حق قدره أنهم لم
يعظموه ولم يعرفوه على حسب ماأمروا به ، وهذا لم يقع من
اليهود وانما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا .
(٢)

وفى معنى وماقدروا الله حق قدره يقول الزمخشري :
"وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللفظ بهم
حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته
وأجل نعمته {وما أرسلناك الا رحمة للعالمين} أو ما عرفوه حق
معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه
(٣)
حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة " .

(١) سورة الانعام : ٩١
(٢) تفسير الماوى على الجلالين ٢٧/٢ .
(٣) الكشاف ٣٤/٢ .

وقد استفاض الامام البقاعى فى معنى الآية الكريمة واستجلى كثيرا من معانيها . فلنتأمل ذلك :

يقال قدر الشئ اذا سبره وحزره وأراد أن يعلم مقداره ، ثم قيل لمن عرف شيئا وهو يقدر قدره ، واذا لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره ، فالكافرون سواء أكان المراد بهم كفار قريش أو كفار اليهود حينما أنكروا انزال الله الوحي على بشر نساوا ماله تعالى من صفات الكمال لأن من نسب ملكا تام الملك الى أنه لم يثبت أوامره فى رعيته بما يرضيه ليفعلوه وما يسخطه ليجتنبوه ، فقد نسبته الى نقص عظيم ، فكيف اذا كانت تلك النسبة كذبا ! وهذا وان كان ماقاله الا بعض العالمين بل بعض أهل الكتاب الذين هم بعض العالمين ، أسند الى الكل ، لأنهم لم يردوا على قائله ولم يعاجلوه بالاخذ تفضيلا للشأن وتهويلا للأمر ، وبياننا لأنه يجب على كل من سمع بآية من آيات الله أن يسعى اليها ويتعرف أمرها ، فاذا تحقق منه فمن طعن فيها أخذ على يده بما تمل اليه قدرته . وفى ذلك أتم اشارة الى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عماد الأمور كلها من فرط فيه هلك وأهلك .^(١)

ثم أمر الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء السفهاء الذين تجرؤا على هذه المقالة غير ناظرين فى عاقبتها وما يلزم منها توبيخا لهم وتوقيفا على موضع جهلهم من أنزل الكتاب أى الجامع للأحكام والمواعظ وخيرى الدنيا والآخرة الذى جاء به موسى عليه السلام والذى تزعمون التمسك بشرعه حال كون ذلك الكتاب ذا نور وهدى للناس كلهم ، أما

(١) تفسير نظم الدرر ١٨٤/٧، ١٨٥ .

فى ذلك الزمان فبالثقيد به ، وأما عند انزال الانجيل
فبالأخذ بما أرشد اليه من اتباعه ، وكذا عند انزال القرآن
فقد بان أنه هدى فى كل زمان تارة بالدعاء الى مافيه وتارة
بالدعاء الى غيره ، ثم بين أنهم أخفوا منه ما هو نص وصريح
فى الدعاء الى غيره اتباعا منهم للهوى ولزوما للعمى فقد
جعلوه أوراقا مفرقة ليتمكنوا بها من ابداء ما أرادوا
واخفاء ما أرادوا بقصد تبديل الدين .

وفى قراءة ابن كثير وأبى عمرو بالغيبة وهو التفات
مؤذن بشدة الغضب مشير الى أن ما قالوه حقيق بأن يستحى من
ذكره فكيف بفعله !

ثم التفت اليهم للزيادة فى تبكيثهم اعلاما بأنهم
مساوون لبقية الانسان فى أصل الفطرة بل العرب أذكى منهم
وأصح أفهاما ، فلولا ما اتاهم به موسى عليه السلام مفاقوهم
بفهم ولا زادوا عليهم فى علم هم ولا آباؤهم الاقدمون الذين
كانوا أعلم منهم .

ولما كانوا قد وصلوا فى هذه المقالة الى حد من الجهل
عظيم قال تعالى لرسوله قل فى الجواب عن هذا السؤال غير
منتظر لجوابهم فهم أجلف الناس وأعتاهم (الله) الذى أنزل
ذلك الكتاب ثم دعهم فى قولهم وفعلهم المثبتين على الجهل
المبنيين على أنهم فى ظلام الضلال كالخائف فى الماء يعملون
مالا يعلمون يلعبون يفعلون مالا يجر لهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا
(١)
مع تضييع الزمان .

(١) . تفسير نظم الدرر ١٨٥/٧-١٨٧ .

كثير من بنى اسرائيل فاسقون
لم يؤمنوا بما أنزل الله .

قال الله تعالى :
 {ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس
 ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى
 العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله
 والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن
 كثيرا منهم فاسقون} (١)

الدلالات اللغوية :

يتولون :
 ولى : الولاء والتوالى أن يحصل شيئان فصاعداً حصولا ليس
 بينهما ماليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان
 ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة
 والاعتقاد .
 والولاية النصر^١ والولاية تولى الأمر ، وقيل الولاية
 والولاية نحو الدلالة والدلالة ، وحقيقته تولى الأمر .
 والولى^٢ والمولى يستعملان فى ذلك كل واحد منهما يقال
 فى معنى الفاعل أى الموالى ، وفى معنى المفعول أى الموالى
 يقال للمؤمن هو ولى الله عز وجل ولم يرد موله ، وقد يقال
 الله تعالى ولى المؤمنين ومولاهم ، فمن الاول قال الله
 تعالى : {الله ولى الذين آمنوا} ، وقوله تعالى : {ذلك بأن
 الله مولى الذين آمنوا} (٣)

(١) سورة المائدة : ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧

(٣) سورة محمد : ١١

ونفى الله تعالى الولاية بين المؤمنين والكافرين فى غير آية فقال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود...} الى قوله : {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} .
 (١)
 وقوله : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء} وجعل بين الكافرين والشیاطين موالاة فى الدنيا ونفى بينهم الموالاة فى الآخرة ، قال تعالى فى الموالاة بينهم فى الدنيا (٢)
 {والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض} .
 فكما جعل بينهم وبين الشيطان موالاة جعل للشيطان فى الدنيا عليهم سلطانا فقال تعالى : {إنما سلطانه على الذين يتولونه} ونفى الموالاة بينهم فى الآخرة فقال فى موالاة الكفار بعضهم بعضا {يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا} .
 (٣)
 (٤)
 (٥)
 (٦)

الفرق بين النصير والولى :

أن الولاية قد تكون باخلاص المودة ، والنصرة قد تكون بالمعونة والتقوية وقد لاتمكن النصره مع حصول الولاية .

الفرق بين الولاية والنصرة :

أن الولاية النصره لمحبة المنصور لالرياء والسمعة لأنها تضاد العداوة ، والنصرة على وجهين .
 (٧)

سخط :

سخط : السَّخَطُ والسُّخْطُ الغضب الشديد المقترض للعقوبة قال تعالى : {إذا هم يَسْخَطُونَ} وهو من الله تعالى انزال
 (٨)

-
- | | |
|-----|------------------------|
| (١) | سورة المائدة : ٥١ |
| (٢) | سورة الممتحنة : ١ |
| (٣) | سورة التوبة : ٦٧ |
| (٤) | سورة النحل : ١٠٠ |
| (٥) | المفردات ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ . |
| (٦) | سورة الدخان : ٤١ |
| (٧) | الفروق اللغوية ص ١٥٦ . |
| (٨) | سورة التوبة : ٥٨ |

(١) قال تعالى : {ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله} .
(٢)

تأملات بيانية فى الآيات الكريمة :

لما أخبر الحق تعالى عن اقرار كافرى اليهود على المناكر ، دل على ذلك بأمر ظاهر منهم لازم ثابت دائم مقوض لبنيان دينهم فقال موجهها الخطاب لاصدق الناس فراسة وأوفرهم علما وأثبتهم توسما وفهما بأن كثيرا من أهل الكتاب يوادون ويمافون الذين كفروا ويناصرونهم .

ولما كان الانسان لا ينحاز الى حزب الشيطان الا بمنازعة الفطرة الاولى السليمة ، أشار الى ذلك بالتفعل فقال (يتولون) أى يتبعون بغاية جهدهم المشركين مجتهدين فى ذلك مواظبين عليه ، وليس أحد منهم ينهاهم عن ذلك ولا يقبحه عليهم ، مع شهادتهم عليهم بالضلال هم وأسلافهم الى أن جاء هذا النبى الذى كانوا له فى غاية الانتظار وبه فى نهاية الاستبشار ، وكانوا يدعون الايمان به ثم خالفوه ، فمنهم من استمر على المخالفة ظاهرا وباطنا ، ومنهم من ادعى أنه تابع واستمر على المخالفة باطنا ، فكانت موالاته للمشركين دليلا على كذب دعواه ومظهرة لما أضمره من المخالفة وأخفاه . ولما كان ذلك منهم ميلا مع الهوى بغير دليل أصلا كان بثس ما قدمته لهم أنفسهم التى من شأنها الميل مع الهوى أن وقع سخطه عليهم ، ولما كان من وقع السخط عليه يمكن أن يزول عنه اتبعه مبينا أن مجرد وقوعه جدير بكل هلاك فقال تعالى : {وفى العذاب هم خالدون} الكامل من الأدنى فى

(١) المفردات ص ٢٢٧ .

(٢) سورة محمد : ٢٨

(١)

الدنيا والاكبر فى الآخرة .

ولو كان هؤلاء المنافقون يؤمنون بالله الذى له الاحاطة بكل شئ وبالنبى الذى له الصلة التامة بالله وما أنزل اليه من عند الله من قرآن وغيره ايمانا خالصا من غير نفاق فاتخذوا المشركين مجتهدين فى ذلك أوداء وأصفياء لأن مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد ، فمن كان منهم باقيا على يهوديته ظاهرا وباطنا فإل فى (النبى) تحتل وجهين اما أن تكون للعهد والمقصود النبى المعهود عندهم فى التوراة والانجيل الذى يخفون أمره ويوهمون العرب أنه ليس محمدا عليه الصلاة والسلام ، واما أل للجنس ويكون المقصود الايمان بهذه الحقيقة وهى النبوة بما فى ذلك نبوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن كان منهم قد أظهر الايمان فالمراد بالنبى فى اظهار زيغته وميله وحيفه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه نهى عن موالة المشركين ، بل عن متاركتهم ولم يرض الا بمقارعتهم ومعاركتهم .

ولما أفادت الشرطية عدم ايمانهم فى قوله تعالى : {ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ماتخذوهم أولياء} استثنى منها منبها بوضع الفسق موضع عدم الايمان على أنه الحامل عليه فقال تعالى : {ولكن كثيرا منهم فاسقون} أى متمكنون فى خلق المروق من دوائر الطاعات .

(١) تفسير نظم الدرر ٢٦٦/٦ ، ٢٦٧ .

(٢) تفسير نظم الدرر ٢٦٧/٦ ، ٢٦٨ .

توبيخ القرآن كافر أهل الكتاب لكفرهم
بآيات الله ومدهم عن السبيل .

قال تعالى :

{قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله
 شهيد على ما تعملون. قل يا أهل الكتاب لم تمدون عن
 سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما
 (١)
 الله بغافل عما تعملون} .

الفرق بين العلم والشهادة :

"أن الشهادة أخص من العلم وذلك أنها علم بوجود
 الأشياء لا من قبل غيرها ، والشاهد نقيض الغائب في المعنى
 ولهذا سمى ما يدرك بالحواس ويعلم ضرورة شاهداً وسمى ما يعلم
 بشيء غيره وهو الدلالة غائباً كالحياة والقدرة ، وسمى
 القديم شاهداً لكل نجوى لأنه يعلم جميع الموجودات بذاته
 فالشهادة علم يتناول الموجود ، والعلم يتناول الموجود
 والمعدوم " .

الفرق بين الشاهد والحاضر :

أن الشاهد للشئ يقتضى أنه عالم به ولهذا قيل
 الشهادة على الحقوق لأنها لاتصح الا مع العلم بها وذلك أن
 أصل الشهادة الرؤية ، وقد شاهدت الشئ رأيته ، وقال بعضهم
 الشهادة في الأصل ادراك الشئ من جهة سمع أو رؤية فالشهادة
 تقتضى العلم بالمشهود والحضور لا يقتضى العلم بالمحضور
 فيقال حضره الموت ولا يقال شهد الموت إذ لا يصح وصف الموت

(١)
بالعلم . وأما الاحضار فانه يدل على سخط وغضب ، والشاهد
قوله تعالى : {ثم هو يوم القيامة من المحضرين} .
(٢)

الفرق بين المنع والصد :

أن الصد هو المنع عن قصد الشيء خاصة ، ولهذا قال
الله تعالى : {وهم يصدون عن المسجد الحرام} أى يمنعون
الناس عن قصده والمنع يكون فى ذلك وغيره فيقال منع الحائط
عن الميل ولا يقال صده عن الميل ، لأن الحائط لا قصد له ،
ويقولون صدنى عن لقائك يريد عن قصد لقائك .
(٣)

الفرق بين العوج والعوج :

العوج : عدم الاستقامة ، والعوج بكسر العين : ما كان
فى الأمور والحجج غير الأجرام ، والعوج بفتح العين ، ما كان
فى الأجرام كالجدار والعصا ونحو ذلك ، والأرض خاصة من
الأجرام يقال فيها : عوج بكسر العين ، ومنه قول الله تعالى
{لاترى فيها عوجا ولا أمثا} .
(٤)

(٥)
قال بعض اللغويين هما لغتان بمعنى واحد .
(٦)

تأملات بيانية فى الآية الكريمة :

خوطف بهذه الآية الكريمة اليهود والنصارى وإنما
خوطفوا بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يمدقه
من القرآن العظيم مبالغة فى تقبيح حالهم فى كفرهم بها ،
والاستفهام للتوبيخ والانكار لكفرهم بآيات الله القرآنية

-
- (١) الفروق اللغوية ص ٧٧، ٧٦ .
 - (٢) سورة القصص : ٦١
 - (٣) سورة الأنفال : ٣٤
 - (٤) الفروق اللغوية ص ٩٢ .
 - (٥) سورة طه : ١٠٧
 - (٦) تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ١٧٨/٣ .

وكفرهم بما فى التوراة والانجيل من شواهد نبوته عليه السلام .

وقوله تعالى : {والله شهيد على ماتعملون} حال مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الإنكار وإظهار اسم الجلالة فى موقع الأضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وميفة المبالغة فى شهيد للتشديد فى الوعيد والحال أنه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع أعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولاريب فى أن ذلك يسد جميع أنحاء ماتأتونه ويقطع أسبابه .

ثم تلا توبيخهم بالضللال توبيخهم بالاضلال والتكرير للمبالغة فى حمله عليه الصلاة والسلام على تقيعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الأمر السابق لا يذان باستقلالهم ، كما أن قطع قوله تعالى {لم تصدقون} عن قوله تعالى {لم تكفرون} للشعار بأن كل واحد من كفرهم ومدهم شناعة مستقلة فى استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعى الايمان بما هو ممدق لما معهم يستدعى ترغيب الناس فيه فمدهم عنه فى أقصى مراتب القباحة ولكون مدهم فى بعض الأمور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام .

فهؤلاء يصدون عن دين الله الحق المومل الى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الاسلام وقدم الجار والمجرور للاهتمام به ، فقد كان هؤلاء الكفرة يفتنون المؤمنين ويحتالون لمدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه الصلاة والسلام ليست فى كتابهم

ولاتقدمت البشارة به عندهم ، وهم بهذا يطلبون لسبيل الله
التي هي أقوم السبل اعوجاجا بأن يلبسوا على الناس ويوهموا
أن فيه ميلا عن الحق بنفى النسخ وتغيير صفة الرسول صلى
الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك .^(١)

وفى معنى قوله تعالى : { شهداء } وجوه : الأول : أن
اليهود والنصارى شهداء أن فى التوراة أن دين الله الذى
لا يقبل غيره هو الاسلام .

الثانى : أنهم شهداء على ظهور المعجزات على نبوته
صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثالث : وأنتم شهداء أنه لا يجوز المد عن سبيل
الله .

الرابع : وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون
بأقوالكم ويعولون على شهادتكم فى عظام الأمور وهم الاحبار
والمعنى : أن من كان كذلك فكيف يليق به الاصرار على الباطل
والكذب والضلal والاضلال .

ثم جاء قوله تعالى : { وما الله بغافل عما تعملون }
مرادا به التهديد وانما ختم الآية الاولى بقوله تعالى :
{ والله شهيد } وهذه الآية بقوله : { وما الله بغافل عما
تعملون } وذلك لأنهم كانوا يظهرون الكفر بنبوّة محمد صلى
الله عليه وسلم وما كانوا يظهرون القاء الشبه فى قلوب
المؤمنين بل كانوا يحتالون فى ذلك بوجوه الحيل فلاجرم ،
قال تعالى فيما أظهروه : { والله شهيد } وفيما أضمروه

(١) تفسير أبى السعود ٢/٦٢، ٦٣ .

{وما الله بغافل عما تعملون} وإنما كرر في الآيتين قوله :
{قل يا أهل الكتاب} لأن المقصود التوبيخ على أطف الوجوه ،
وتكرير هذا الخطاب اللطيف أقرب الى التلطف في صرفهم عن
طريقتهم في الضلال والاضلال وأدل على النصح لهم في الدين
(١)
والاشفاق .

(١) تفسير الرازي ١٥٨/٨ .

كراهيتهم للحق المنزل .

قال تعالى :

{واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون .أولاً يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون . واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف (١) الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون} .

تأملات بيانية فى الآيات :

تبين هذه الآيات الكريمات حال المنافقين عند نزول سورة من القرآن العظيم ، ونلاحظ زيادة (ما) عقب (إذا) وزيادتها لتأكيد معنى الشرط لأن هذا الخبر لغرابته كان خليقاً بالتأكيد ، ولأن المنافقين ينكرون مدوره منهم ، فكان خطاب بعضهم لبعض على سبيل التهكم بالمؤمنين وبالقرآن لأن بعض آيات القرآن مصرحة بأن القرآن يزيد المؤمنين إيماناً ، قال تعالى :

{إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (٢) وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً} .

(١) سورة التوبة : ١٢٤-١٢٧

(٢) سورة الأنفال : ٢

ولعل المسلمين كانوا اذا سمعوا القرآن قالوا : قد
ازددنا ايمانا ، كقول معاذ بن جبل للأسود بن هلال : اجلس
(١)
بنا نؤمن ساعة يعنى بذلك مذاكرة القرآن وأمور الدين .
ولما كان الاستفهام فى قولهم (أيكم) للاستهزاء كان
متضمنا معنى انكار أن يكون نزول سور القرآن يزيد سامعيها
ايمانا توهمنا منهم بأن ما لايزيدهم ايمانا لايزيد غيرهم
ايمانا .

والفاء فى قوله : {فأما الذين آمنوا} للتفريع على
حكاية استفهامهم بحمله على ظاهر حاله وصرفه عن مقصدهم ،
على طريقة الأسلوب الحكيم ، وهو : تلقى المخاطب بغير
(٢)
ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكته ، وهى هنا ابطال
ماقصده المنافقون من نفى أن تكون السورة تزيد أحدا ايمانا
فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه ، فأثبت أن
للسورة زيادة فى ايمان بعض الناس وأكثر من الزيادة
وهو حصول البشر لهم .

(١) تفسير التحرير والتنوير ٦٥،٦٤/١١ .
(٢) الأسلوب الحكيم : مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب وذلك
بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد
كقول القبعثرى وقد قال له الحجاج متوعدا لأحملنك على
الأدهم مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، أراد
الحجاج أن يقيده فتلقاه القبعثرى بغير ما يترقبه من
فهمه التوعد بالطف وجه مشيرا الى أن من كان مثله فى
السلطة والسعة انما يناسبه أن يجود بأن يحمل على
الأدهم والأشهب من الخيل لأن يقيده فقال له الحجاج انه
الحديد ، فقال لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا .
ومنه اجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنه
الأولى أو الأهم كقوله تعالى : {يسألونك عن الأهلة قل
هى مواقيت للناس والحج} سألوا عن الهلال لم يبدو
دقيقا ثم يتزايد حتى يستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدأ
فأى فائدة تحت ذلك ؟ فأجيبوا بأن الحكمة من ذلك هى
معرفة المواقيت والحلول والآجال .
شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى
ص ٢٩ .

وارتقى فى الجواب عن مقصدهم من الانكار بأن السورة ليست منقيا عنها زيادة فى ايمان بعض الناس فقط ، بل الأمر أشد ان هى زائدة فى كفرهم ، فالقسم الاول المؤمنون زادتهم ايماننا واكسبتهم بشرى فحصل من السورة لهم نفعان عظيمان ، والقسم الثانى الذين فى قلوبهم مرض زادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون .

وقوبل قوله {وهم يستبشرون} فى جانب المؤمنين بقوله :
(١)
{وماتوا وهم كافرون} فى جانب المنافقين تحسينا بالازدواج ، بحيث كانت للسورة فائدتان للمؤمنين ومصيبتان على المنافقين ، فجعل موتهم على الكفر المتسبب على زيادة السورة فى كفرهم بمنزلة مصيبة أخرى غير الاولى وان كانت فى الحقيقة زيادة فى المصيبة الاولى .

وبين تعالى أن أشرف ما فيهم مسكن الآفة فقلوبهم مريضة مما منعهم الايمان واثبت لهم الكفر فلم يؤمنوا ، وسمى الشك فى الدين مرضا لانه فساد فى الروح يحتاج الى علاج كفساد البدن فى الاحتياج ومرض القلب أعزل ، وعلاجه أعسر وأشكل ودواءه أعز وأطباؤه أقل . فالمؤمنون يخبرون عن زيادة ايمانهم وهؤلاء يخبرون عن عدمه فى وجدانهم ، فهذا موجب

(١) المزاجية ويقال الازدواج ، وأصله اقتران الشيئين أن يؤتى فى كل واحد من الشرط والجزاء بأمرين مزدوجين كقول البحثرى :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعها

زاوج بين الاحتراب "التحارب" وبين تذكر القربى ، فى الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما .
شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى

ص ١١١ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١١/٦٥، ٦٦ .

شكهم وتماديهم فى غيهم وافكهم ، ولو أنهم رجعوا الى حاكم العقل لازال شكهم وعرفهم صدق المؤمنين بالفرق بين حالتهم فان ظهور الثمرات مزيل للشبهات ، والآية من الاحتباك : اثبات الايمان أولا دليل على حذف ضده ثانيا ، واثبات المرض (١) ثانيا دليل على حذف الصحة أولا .

ثم ان هؤلاء المنافقين يخالطون من حوادث الزمان ونوازل الحدشان بما يظطرونهم الى بيان اخلاقهم باظهار سرائرهم فى نفاقهم فيفضحون بذلك ، وذلك موجب للتوبة للعلم بأن من علم سرائرهم عالم بكل شئ قادر على كل مقدور ، فهو جدير بأن تمتثل أوامره وتخشى زواجره .

ولما كان عدم توبتهم مع فتنتهم على هذا الوجه مستبعدا ، أشار اليه بأداة التراخى فقال تعالى : {ثم لايتوبون} أى لايجددون توبة ولايذكرون أدنى تذكر ، فلولا أنه حصلت لهم زيادة فى الرجس لأوشك تكرار الفتنة أن يوهى رجسهم الى أن يزيله ، ولكن كلما أوهى شيئا خلق مثله أو أكثر بسبب الزيادات المترتبة على وجود نجوم القرآن .

فلاآية دامة لهم على عدم التوبة باصابة الممائب لعدم (٢) تذكر أنه سبحانه ماأصابهم بها الا بذنوبهم {ويعفو عن كثير} . (٣)

(١) من أنواع البديع الاحتباك ، وهو نوع عزيز ، وهو أن يحذف من الأول ماأثبت نظيره فى الثانى ، وفى الثانى ماأثبت نظيره فى الأول ، مثال ذلك : قوله تعالى : {خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا} تقديره : صالحا بسىء وآخر سيئا بصالح .

شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ص ١٣٣ .

(٢) تفسير نظم الدرر ٥١/٩-٥٤ .

(٣) سورة المائدة : ١٥

ولما ذكر الحق تعالى ما يحدث منهم من القول استهزاء
اتبعه تأكيداً لزيادة كفرهم وتوضيحاً لتمويره ما يحدث من
فعلهم استهزاء من الايمان والتغامز بالعيون فقال تعالى :
{واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد}
وأكد بالنافي (ما) ، ولما كان الغرض نفس الانزال لاتعيين
المنزل ، بنى للمفعول قوله (أنزلت) ، فحال هؤلاء المنافقين
عند نزول سورة من القرآن العظيم التغامز سخرية واستهزاء
قائلين هل يراكم أحد من المؤمنين اذا انصرفتم مؤكدين
للعوم بقولهم (من أحد) فانه يشق علينا سماع مثل هذا ،
ويشق علينا أن يطلع المؤمنون على هذا السر منا .
ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجننا ، أشار
الى شدة قبحه بأداة التراخي فقال تعالى : {ثم انصرفوا} .
ولما كانوا مستحقين لكل سوء ، أخبر عنهم فى أسلوب
الدعاء بقوله تعالى : {صرف الله قلوبهم} أى عن الايمان ،
ثم علل ذلك بقوله : {بأنهم قوم} وان كانوا ذوى قوة على
ما يحاولونه فهم {لايفقهون} فقلوبهم مجبولة على عدم الفهم
لما بها من الغلظة ، وختام الآية هنا ب (لايفقهون) أنسب لأن
المقام - وهو النظر فى زيادة الايمان بالنسبة اليهم -
يقتضى فكراً وتأملًا وان كان بالنظر الى المؤمنين فى غاية
(١)
الوضوح .

منافقو أهل الكتاب ولحن القول .

قال الله تعالى :

{أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
(١)
يعلمون} .

{يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
(٢)
انظرونا واسمعوا للكافرين عذاب أليم} .

{من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون
سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا
بالسننهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا
وأطعنا واسمع وانظرونا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن
(٣)
لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا} .

{يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما
(٤)
ذكروا به} .

{يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتهم
هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله
(٥)
فتنته فلن تملك له من الله شيئا} .

{ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم
(٦)
في لحن القول والله يعلم أعمالكم} .

وسنتناول بالدراسة الآية السادسة والأربعين من سورة

النساء .

(١)	سورة البقرة :	٧٥
(٢)	سورة البقرة :	١٠٤
(٣)	سورة النساء :	٤٦
(٤)	سورة المائدة :	١٣
(٥)	سورة المائدة :	٤١
(٦)	سورة محمد :	٣٠

الدلالة اللغوية للآفاظ :يحرّفون :

تحرّيف الشئ، إمالتة كتحرّيف القلم ، وتحرّيف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين .
(١)
قال الله تعالى : {يحرّفون الكلم عن مواضعه} ، وقوله
(٢)
{يحرّفون الكلم من بعد مواضعه} .
(٣)

والتحرّيف فى القرآن والكلمة : تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهى قريبة الشبه كما كانت اليهود تغيير معانى التوراة بالاشباه فوصفهم الله بفعلهم ، فقال تعالى :
(٤)
{وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون} .
(٥)

تأمّلات بيانية فى قوله تعالى :

{من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظروا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا} .
(٦)
لما ذكر الحق تعالى فيما سبق هذه الآية الكريمة قوله تعالى : {ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون

-
- | | |
|-----|-------------------|
| (١) | المفردات ص ١١٤ . |
| (٢) | سورة المائدة : ١٣ |
| (٣) | سورة المائدة : ٤١ |
| (٤) | اللسان (حرف) . |
| (٥) | سورة البقرة : ٧٥ |
| (٦) | سورة النساء : ٢٦ |

{الضلالة} ، بقى ذلك مجملا من وجهين ، فكأنه قيل : ومن هم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ؟ فأجيب وقيل : من الذين هادوا ، ثم قيل وكيف يشتركون الضلالة ؟ فأجيب وقيل : يحرفون الكلم .

قوله تعالى : {يحرفون الكلم} وفى كيفية التحريف وجوه :

أحدها : أن اليهود كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم اسم "ربعة" عن موضعه فى التوراة بوضعهم "آدم طويل" مكانه ، ونحو تحريفهم "الرجم" بوضعهم "الحد" بدله ونظيره قوله تعالى : {قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله} (١) .

الثانى : أن المراد بالتحريف : القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية .

الثالث : أنهم كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به ، فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه .

وقد ذكر الحق تعالى أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وفى سورة المائدة يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، والفرق بين التعبيرين أن المراد بالتحريف فى قوله عن مواضعه أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب . وأما الآية المذكورة فى سورة المائدة فهى دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين ، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة ، وكانوا يخرجون اللفظ

أيضا من الكتاب ، فقوله يحرفون الكلم اشارة الى التأويل
(١)
الباطل وقوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه عن الكتاب .
وفى قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم {سمعنا وعصينا}

وجهان :

الاول : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أمرهم
بشيء قالوا فى الظاهر : سمعنا ، وقالوا فى أنفسهم :
وعصينا .

والثانى : أنهم كانوا يظهرون قولهم : سمعنا وعصينا ،
اظهارا للمخالفة واستحقارا للأمر .

{واسمع غير مسمع} وهى كلمة تحتل وجهين المدح
والتعظيم ، أو الاهانة والشتم .

أما على معنى المدح فهو أن يكون المراد اسمع غير
مسمع مكروها ، وأما على معنى الذم فذاك من وجوه :

الاول : أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
اسمع ، ويقولون فى أنفسهم : لاسمعت فقوله {غير مسمع} معناه
غير سامع فان السامع مسمع ، والمسمع سامع .

الثانى : غير مسمع ، أى غير مقبول منك ، ولاتجاب الى
ماتدعو اليه فكأنك ماأسمعت شيئا .

الثالث : اسمع غير مسمع كلاما ترضاه ، ومتى كان كذلك
فان الانسان لايسمعه لنبو سمعه عنه .

وقوله تعالى : {وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين}
وفى تفسيرها وجوه منها :

(١) تفسير الرازى ١٠/١١٧، ١١٨ .

الأول : أن هذه كلمة كانت تجرى بينهم على جهة الهزاء والسخرية ، فلذلك نهى المسلمون أن يتلفظوا بها في حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

الثاني : قوله { راعنا } معناه أرعنا سمعك ، أي اصرف سمعك إلى كلامنا وانصت لحديثنا وتفهم ، وهذا مما لا يخاطب به الأنبياء عليهم السلام بل يخاطبون بالاجلال والتعظيم .

الثالث : كانوا يقولون راعنا ويوهمونه في ظاهر الأمر أنهم يريدون أرعنا سمعك ، وكانوا يريدون سبه بالرعونة في لغتهم .

وفي معنى قوله تعالى : { ليا بالسنتهم } وجوه :

الأول : قال الفراء كانوا يقولون : راعنا ويريدون به الشتم ، فذاك هو اللى ، وكذلك قولهم { غير مسمع } وأرادوا به لاسمعت فهذا هو اللى .

الثاني : أنهم كانوا يملون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير على سبيل النفاق .

الثالث : لعلمهم كانوا يفتلون أشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام على سبيل السخرية .

ثم بين الله سبحانه وتعالى أنهم إنما يقدمون على الأمور الذميمة لطعنهم في الدين ، لأنهم كانوا يقولون لأصحابهم : إنما نشتمه ولا يعرف ، ولو كان نبيا لعرف ذلك ، فأظهر الله تعالى ذلك فعرفه خبث ضمائرهم ، فانقلب ما فعلوه طعنا في نبوته دلالة قاطعة على نبوته ، لأن الأخبار عن الغيب معجز .

ثم بين المولى تعالى الحق والصواب الذى كان ينبغى لهم أن يقولوه وهو قوله : {ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم} لعلمهم بمدقه عليه الصلاة والسلام ولاظهاره الدلائل والبيّنات مرات بعد مرات ، وهذا هو العدل والصواب ، ولكنهم استحقوا اللعنة بسبب كفرهم فلا يؤمن منهم الا قليلون .^(١)

موقف المنافقين من نزول سورة بالايمان والجهاد :

قال تعالى :

{واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين . رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم }^(٢) .^(٣)

وقوله تعالى :

{ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم ، طاعة وقول معروف فاذا عزم

(١) تفسير الرازى ١١٩/١٠ .
(٢) سورة التوبة : ٨٦
(٣) سورة التوبة : ٨٧-٨٩

(١)

الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم } .

وقوله تعالى :

{ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم } .
(٢)

تأملات بيانية فى الآيات السابقة من سورة التوبة :

يبين المولى تعالى فى هذه الآيات الكريمات تخلف أهل الفضل من الأموال والسعة والثروة من المنافقين حين نزول آيات فيها أمر بالإيمان والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دون عذر فى ترك الجهاد ، وخص أهل الفضل والسعة لأن الذم لهم ألزم ولاسيما بعد سماع القرآن هذا مع ما تضمن استئذانهم من رذائل ودنايا الهمم فهم يطلبون تركهم ولو على حالة سيئة بما يوافق جبلاتهم ، وهذا ما تفيدته لفظة "ذر" التى تدور مادتها على مايكره دون دعنا .

ووقع الطبع المانع على قلوبهم فرضوا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون فى عداد المخدرات مما هو عار فى الدنيا ونار فى العقبى .

ولما أبهم فاعل الطبع ، نفى دقيق العلم فهم بسبب هذا الطبع لافقه لهم يعرفون به مافى الجهاد من العز والسعادة فى الدارين ، ومافى التخلف من الشقاء والعار فلذلك لا يجاهدون ، فلاشئ أضر من هذه الأموال والأولاد التى أبعدت عن

(١) سورة محمد : ٢١، ٢٠

(٢) سورة محمد : ٢٦، ٢٥

(١)

الممادح والزمّت المذام والقوادح .

والمراد بالسورة كل سورة ذكر فيها الايمان والجهاد ، وقد يراد بالسورة بعضها مجازا من باب اطلاق الجزء على الكل والتنوين للتفخيم أى سورة جليلة الشأن ، ثم الالتفات فى قوله تعالى : {استأذنك} من الخطاب الى الغيبة .^(٢)

ثم مدح المتقين لمسابقتهم الى الجهاد وذكر ما أعد لهم فقال معلما بالغنى عنهم بمن هو الخير المحض تبكيتا لهم وتقريعا (لكن الرسول) الذى بعثه الله لرد العباد عن الفساد الى السداد ومعه المؤمنون ايماننا عظيما مصاحبين له ذاتا وحالا فى جميع ما أرسلناه اليهم به باذلين أموالهم وأنفسهم فى مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولما كان السياق لبخلهم بالنفس والمال ، ولسلب النفع من أموالهم وأولادهم اقتصر فى مدح أوليائه على الجهاد بالنفس والمال ولم يذكر السبيل ، فأولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون .

وفى قوله تعالى : {لهم الخيرات} أى لهم لغيرهم وفيه تعريض بذوى الأموال من المنافقين ، لأن الخير يطلق على المال وتحليلته (بأل) تدل على استغراقه لجميع منافع الدارين ، والتعبير بآداة البعد اشارة الى علو مقام أوليائه وبعد مناله الا بفضل منه تعالى ، وكذا التعريض بهم بقوله : {وأولئك هم} أى خاصة المفلحون أى الفائزون بجميع مرادهم لغيرهم ، ثم بين الافلاح الاعظم بقوله تعالى : {أعد

(١) تفسير نظم الدرر ٥٧٠/٨ .

(٢) تفسير روح المعانى ١٥٦/١٠ .

الله { الذى له صفات الكمال أى الآن لينعمهم بها بعد موتهم وانتقالهم من هذه الدار التى هى معدن الاكدار جنات دائمة الجريان قريبة الانهار .

ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال بقوله : {خالدين فيها} ثم رغب فيها بقوله تعالى : {ذلك} أى الامر العالى^(١) الرتبة (الفوز العظيم) لاغيره .

فضح القرآن المنافقين وكشف حقيقتهم :

قال تعالى :

{يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون . ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين} .^(٢)

الدلالة اللغوية للألفاظ :

نخوض :

خوض : الخَوْضُ هو الشروع فى الماء والمرور فيه ، ويستعار فى الأمور وأكثر ماورد فى القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه نحو قوله تعالى : {ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون} ، {واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا

(١) تفسير نظم الدرر ٥٧١، ٥٧٠/٨ .

(٢) سورة التوبة : ٦٤-٦٦

(٣) سورة الانعام : ٩١

(١)

فى حديث غيره { .

ويقال أخضت دابتى فى الماء ، وتخاضوا فى الحديث

(٢)

تفاضوا .

نلعب :

لعب : أصل الكلمة اللعاب وهو البزاق السائل وقد لعبَ

يَلْعَبُ لَعْبًا سأل لعبه ، وَلَعِبَ فلان اذا كان فعله غير قاصد به

مقصدا صحيحا يَلْعَبُ لَعِبًا ، قال تعالى : {وما هذه الحياة

(٣)

الدنيا الا لهو ولعب} ، وقوله : {وذُر الذين اتخذوا دينهم

(٤)

لعبا ولهوا} .

واللَّعْبَةُ للمرة الواحدة واللَّعْبَةُ الحالة التى عليها

اللاعب ، ورجل تَلْعَابَةٌ ذو تَلْعَبٍ ، واللَّعْبَةُ ما يَلْعَبُ به ،

(٥)

والمَلْعَبُ موضع اللعب .

وقيل اللعب عمل للذة لا يراعى فيه داعى الحكمة كعمل

(٦)

الصبى لانه لا يعرف الحكيم ولا الحكمة وانما يعمل للذة .

تأملات بيانية فى الآيات الكريمة .

فى هذه الآيات الكريمة يبين الحق تعالى حذر المنافقين

من نزول سورة فى شأنهم تنبئهم بما فى قلوبهم من الأسرار

الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر

والنفاق ، ومعنى تنبئتها اياهم بما فى قلوبهم مع أنه

معلوم لهم وانما المحذور عندهم اطلاق المؤمنين على أسرارهم

(١) سورة الانعام : ٦٨

(٢) المفردات ص ١٦١ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٤

(٤) سورة الانعام : ٧٠

(٥) المفردات ص ٤٥٠ .

(٦) الفروق اللغوية ص ٢١٠ .

واذاعة ماكانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها أو المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنمى عليهم قبائحهم ، وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين أى يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين .

قال أبو مسلم كان اظهر الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك جاء قوله تعالى : { قل استهزئوا } وهو أمر تهديد فان الله مخرج ما تحذرونه من انزال السورة ومن مثالبكم ومخازيكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم ، كما جاء في قوله تعالى (١) { ام حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم } . ولئن سألتهم عن اتیانهم بتلك القبائح المتضمنة للاستهزاء بما ذكر ليقولن في الاعتذار انه لم يكن من القلب حتى يكون نفاقا وكفرا وانما ندخل هذا الكلام لترويح النفس (٣) .

والقصر للتعيين : أى ما تحدثنا الا في خوض ولعب دون ما ظننته بنا من الطعن والاذى .

ولما كان اعتذارهم مبهما رد عليهم ذلك اذ أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم جواب الموقن بحالهم

(١) تفسير أبى السعود ٧٩/٤ .

(٢) سورة محمد : ٢٩

(٣) تفسير القاسمى ٢٥٣/٨ .

بعد أن أعلمه بما سيعتذرون به فقال لهم : {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون} ، والاستفهام انكارى توبيخى . وتقديم المعمول به وهو (أبالله) على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين لأنهم لما أتوا فى اعتذارهم بصيغة قصر تعيين جئ فى الرد عليهم بصيغة قصر تعيين لابطال مغالطتهم فى الجواب فأعلمهم بأن لعبهم الذى اعترفوا به ماكان الا استهزاء بالله وآياته ورسوله لاغير أولئك ، فقصر الاستهزاء على تعلقه بمن ذكر اقتضى أن الاستهزاء واقع لامحالة لأن القمر قيد فى الخبر الفعلى فيقتضى وقوع الفعل .

فلما كشف الله أمر استهزائهم أردفه باظهار قلة جدوى اعتذارهم اذ قد تلبسوا بما هو أشنع وأكبر مما اعتذروا عنه وهو التباسهم بالكفر بعد اظهار الايمان ، فان الله لما أظهر نفاقهم كان مايصدر عنهم من الاستهزاء أهون فجملته "لا تعتذروا" ارتقاء فى توبيخهم فهى متضمنة توكيدا لمضمون جملة {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون} مع زيادة ارتقاء فى التوبيخ وارتقاء فى مثالبهم بأنهم تلبسوا بما هو أشد وهو الكفر ، فلذلك قطعت الجملة عن التى قبلها شأنها شأن الجمل الواقعة فى مقام التوبيخ .

(١)

والنهى مستعمل فى التسوية وعدم الجدوى .

وجملة {قد كفرتم بعد ايمانكم} فى موضع العلة من جملة {لا تعتذروا} تعليلا للنهى المستعمل فى التسوية وعدم الجدوى .

وقوله تعالى : {قد كفرتم بعد ايمانكم} يدل على وقوع

الكفر فى الماضى أى قبل الاستهزاء ، وذلك أنه قد عرف كفرهم من قبل . والمراد بايمانهم : اظهار الايمان ، لاوقوع حقيقته ، أى بعد ايمان هو من شأنكم ، وهذا تعريض بأنه الايمان المورى غير الحق ونظيره قوله تعالى الآتى : {وَكُفِّرُوا بَعْدَ اسْلَامِهِمْ} وهذا من لطائف القرآن .^(١)

ثم جاء قوله تعالى : {ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين} على عادة القرآن فى تعقيب النذارة بالتبشير للراغب فى التوبة تذكيرا له بإمكان تدارك حاله .

ولما كان حال المنافقين عجيبا كانت البشارة لهم مخلوطة ببقية النذارة فأنبأهم أن طائفة منهم قد يعفى عنها اذا طلبت العفو باخلاص الايمان ، وأن طائفة تبقى فى حالة العذاب ، والمقام دال على أن ذلك لا يكون عبثا ولا ترجيحا بدون مرجح ، فما هو الا أن طائفة مرجوة الايمان ، فيغفر عما قدروه من النفاق وأخرى تصر على النفاق حتى الموت ، فتصير الى العذاب .

^(٢) والآيات الواردة بعد هذه تزيد مادل عليه المقام وضوحا مثل قوله تعالى : {فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة} .^(٣)

طبع الله على قلوب المنافقين :

تبين الآيات التالية من كتاب الله أن طبع الله تعالى على قلوب المنافقين كان لأفعال منكرة مذمومة صدرت منهم :

-
- (١) سورة التوبة : ٧٤
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٢٥٢/١٠ .
(٣) سورة التوبة : ٧٤

(١) موقفهم من نزول سورة بالامر بالايمن والجهاد ، قال تعالى :

{واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} .^(١)

(٢) سخريتهم واستهزاؤهم بما يقوله الممطفي صلى الله عليه وسلم من الحق ، قال تعالى :

{ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم} .^(٢)
والذين اهتدوا زادهم هوى وآثامه تقواهم} .

(٣) عدم تدبرهم للقرآن العظيم :
{أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} .^(٣)

(٤) اتخاذهم أيمانهم وقاية لهم من القتل ، قال الله تعالى :

{اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} .^(٤)
تأملات بيانية في قوله تعالى :

{ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم}

(١) سورة التوبة : ٨٦ ، ٨٧
(٢) سورة محمد : ١٦ ، ١٧
(٣) سورة محمد : ٢٤
(٤) سورة المنافقون : ٣

(١)

والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم} .

يبين الحق تعالى فى هاتين الآيتين الكريمتين حال المنافقين عند استماعهم للقرآن فهم يستمعون بغاية جهدهم لعلهم يجدون فى المتلو مطعنا يشككون به الضعفاء وبين تعالى بعدهم بقوله (اليك) ولما أقرد المستمع نظرا الى لفظ "من" اشارة الى قلة المستمع جمع نظرا الى معناه اشارة الى كثرة المعرضين المستهزئين من المستمعين منهم والسامعين فقال تعالى : {حتى اذا خرجوا من عندك} ، فقد استمر اجهادهم لانفسهم بالاصفاء حتى خرجوا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بادر هؤلاء المنافقون بسؤال الذين أوتوا العلم من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذين هيأهم الله تعالى لحمل العلم بما آتاهم من صفاء الافهام لتجردهم عن النفوس والحظوظ وانقيادهم لما تدعو اليه الفطرة الاولى ، ونلاحظ بناء الفعل لما لم يسم فاعله ، وما ذلك الا تعظيم للعلم النافع الذى أوتوه رضوان الله عليهم .

فهؤلاء المنافقون يسألون ماذا قال النبى صلى الله عليه وسلم قبل افتراقنا وخروجنا عنه من ساعة وهو سؤال استهزاء منهم بما يقوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأعقبه الحق تعالى بوصف هؤلاء المنافقين بالطبع على قلوبهم فهم لم يؤمنوا ولم يفهموا فهم الانتفاع ، ولما كان التقدير أنهم ضلوا حتى صاروا كالبهائم عطف عليه ما هو من أفعال البهائم وهو اتباعهم أهواءهم بجانبين لوازع العقل ونهاى المروءة فلذلك هم يتهاونون بأعظم الكلام ويقبلون على جمع

(١)

الحطام .

والطبع على القلب تمثيل لعدم مخالطة الهدى والرشد
لعقولهم بحال الكتاب المطبوع عليه أو الاناء المختوم بحيث
لا يصل اليه من يحاول الوصول الى داخله .^(٢)

ثم نجد ذلك التقابل بين المعانى فى قوله تعالى :
{ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم } بقوله تعالى : { والذين^(٣)
اهتدوا زادهم هدى } لأن الطبع يحصل من تزايد الرين وترادف^(٤)
ما يزيد فى الكفر ، وقوله تعالى : { واتبعوا أهواءهم } بقوله^(٥)
{ وآتاهم تقواهم } فيحمل على كمال التقوى وهو أن يتنزه^(٦)
العارف عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه سبحانه وهو
التقوى الحقيقية المعنية بقوله تعالى : { اتقوا الله حق^(٧)
تقاته } ، وفى الترفع عن متابعة الهوى النزوع الى المولى
والعزوب عن شهوات الحياة الدنيا .

ثم فى اسناد ايتاء التقوى الى الله تعالى واسناد
متابعة الهوى اليهم ايماء الى معنى قوله تعالى :
{ واذا مرضت فهو يشفين } وتلويح الى أن متابع الهوى مرض^(٨)
روحانى وملازمة التقوى دواء الهى .^(٩)

وايتاء التقوى مستعار لتيسير أسبابها اذ التقوى معنى
نفسانى ، والايتاء يتعدى حقيقة للذوات .
وفى اضافة التقوى الى ضمير "الذين اهتدوا" ايماء الى
أنهم عرفوا بها واختصت بهم .

-
- (١) تفسير نظم الدرر ٢٢٥/١٨-٢٢٧ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٠١/٢٦ .
(٣) سورة محمد : ١٦
(٤) سورة محمد : ١٧
(٥) سورة محمد : ١٦
(٦) سورة محمد : ١٧
(٧) سورة آل عمران : ١٠٢
(٨) روح المعانى ٥١/٢٦ .
(٩) تفسير التحرير والتنوير ١٠٢/٢٦ .

شهادة الله تعالى بأن المنافقين كاذبون :

فهذه الطائفة أظهرت الايمان وأبطنت الكفر ، آمنت
 بلسانها وكفرت بقلبها ففضحها الله تعالى في كتابه العزيز
 وشهد على كفرها وكذبها بادعائها الايمان فقال تعالى :
 {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
 والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان
 المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فمدوا عن
 سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون ذلك بأنهم
 آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون} .
 (١)

الدلالة اللغوية للفاظ :

المنافقون :

نفق النون والفاء والقاف أملا ن صحيحان ، يدل أحدهما
 على انقطاع شيء وذهابه ، والآخر على اخفاء شيء واغماضه
 ومتى حمل الكلام فيهما تقاربا .
 فالاول : نفقت الدابة نفوقا : ماتت . ونفق السعر
 نفقا وذلك أنه يمضى فلايكسد ولايقف . وأنفقوا : نفقت سوقهم
 والنفقة لأنها تمضى لوجهها . ونفق الشيء فنى يقال قد نفقت
 نفقة القوم . وأنفق الرجل : افتقر أى ذهب ماعنده .
 والاصل الآخر النفق : سرب فى الأرض له مخلص الى مكان .
 والنافقاء : موضع يرققه اليربوع من جحره فاذا أتى من
 قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانفق ، أى خرج . ومنه

اشتقاق النفاق ، لأن صاحبه يكتُم خلاف ما يظهر فكأن الايمان يخرج منه أو يخرج هو من الايمان فى خفاء .

ويمكن أن الأصل فى الباب واحد ، وهو الخروج . والنفق (١)
المسلك النافذ الذى يمكن الخروج منه .

وقد تكرر فى الحديث النبوى ذكر النفاق وما تصرف منه اسما وفعلا وهو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستتر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله فى (٢)
اللغة معروفا .

نشء :

شهد : الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة اما بالبصر أو بالبصيرة وقد يقال للحضور مفردا قال تعالى : {عالم الغيب والشهادة} لكن الشهود بالحضور المجرد أولى والشهادة مع المشاهدة أولى ، والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر .

وشهدت يقال على ضربين : أحدهما جار مجرى العلم وبلغظه تقام الشهادة ويقال أشهد بكذا ولايرضى من الشاهد أن يقول أعلم بل يحتاج أن يقول أشهد .

والثانى : يجرى مجرى القسم فيقول أشهد بالله أن زيدا منطلق فيكون قسما ، ومنهم من يقول ان قال أشهد ولم يقل بالله يكون قسما ويجرى علمت مجراه فى القسم فيجاب بجواب (٣)
القسم .

(١) المقاييس (نفق) .

(٢) اللسان (نفق) .

(٣) المفردات ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

تأملات بيانية فى الآيات :

فى هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى حال المنافقين عند حضورهم مجلس المصطفى صلى الله عليه وسلم فهم يشهدون أنه رسول الله بل ويؤكدون هذه الشهادة بان واللام للاعلام بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلص اعتقادهم (١) ووفور رغبتهم ونشاطهم .

وقد صدق الحق تعالى المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله تعالى : {والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون} لانهم لم يعتقدوا ذلك . (٢)

وتقديم المسند اليه على الخبر الفعلى لتقوى الحكم .
وجيء بفعل "يشهد" فى الاخبار عن تكذيب الله تعالى اياهم للمشاكلة حتى يكون ابطال خبرهم مساويا لاخبارهم . (٣)
والاظهار فى موضع الاضرار لذمهم والاشعار بعلّة الحكم ، وهم قد اتخذوا ايمانهم الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم وقاية عما يتوجه اليهم من مؤاخذة بالقتل والسبى أو غير ذلك ، فقد أعدوها ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لاعتنا استعمالها بالفصل ، فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقه بوقوع الجناية . وهؤلاء المنافقون اتخذوا الجنة قبل المؤاخذة وعن سببها كما افصحته عنه القاء فى قوله تعالى : {فصدوا عن سبيل الله} فهم قد صدوا من أراد الدخول فى الاسلام بأنه صلى الله عليه وسلم ليس برسول ومن أراد الانفاق

(١) تفسير أبى السعود ٢٥١/٨ .
(٢) تفسير البيضاوى ١٣٣/٥ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير ٣٥/٢٨ .

فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولاريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل .

وقرىء ايمانهم أى ماأظهروه على ألسنتهم فاتخاذ جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فمدوا حينئذ فاستمروا على ماكانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى . وفى هذا تشبيه للايمان بالجنة على طريقة التشبيه البليغ وتبعه تشبيه الحلف باتخاذ الجنة أى استعمالها ، وفى (اتخذوا) استعارة تبعية .
(٢)
ثم جاء النعى عليهم والتعجب من حالهم فى قوله تعالى {انهم ساء ماكانوا يعملون} فهم بهذا النفاق والصد أسوأ الناس أعمالا .

ثم علل هذه الاعمال السيئة التى أقدموا عليها بقوله تعالى : {ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون} .

ومافى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر فهؤلاء المنافقون نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام ثم ظهر كفرهم بما شوهده منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فكان أن طبع الله على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به فهم لايفقهون حقيقة الايمان ولايعرفون حقيقته أصلا .
(٢)

-
- (١) تفسير أبى السعود ٢٥١/٨ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٢٣٦/٢٨ .
(٣) تفسير أبى السعود ٢٥١/٨ ، ٢٥٢ .

الفصل الأول

آيات التحدي وحروف أوائل السور

* آيات التحدي المباشر:

١ - التحدي بالقرآن جميعه.

٢ - التحدي بعشر سور.

٣ - التحدي بسورة مثله.

٤ - التحدي بسورة من مثله.

٥ - القرآن هو المعجزة الخالدة.

* آيات التحدي غير المباشر:

١ - مطالبة المشركين بإنزال القرآن جملة واحدة.

٢ - مطالبة المشركين أن يؤتى المصطفى صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما أوتي موسى.

٣ - تعنت الكافرين ومطالبتهم بتحقيق ستة مطالب مادية.

٤ - مطالبتهم الرسول بالإتيان بكتاب غير القرآن أو إبدال آية مكان آية.

٥ - مطالبة المشركين أن ينزل على الرسول ملك من السماء يكون معه نذيراً.

٦ - تكذيب المشركين للقرآن مع أنه بلسانهم وقولهم: «قلوبنا في أكنة...».

* حروف أوائل السور والتحدي:

- موقف العلماء منها وأشهر ما قيل في تفسيرها.

آيات التحدى المباشر

التحدى بالقرآن جميعه :

قال تعالى :

{فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون . قل تربصوا فإني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلافهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين {^(١)

معنى الآيات :

فى الآيات الكريمات يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر بالقرآن {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد} وانما جاء الأمر بالتذكير عقب اقسام الله تعالى فى أول السورة على وقوع العذاب وذكر أشياء من أحوال المعذبين والناجين ، ثم نفى الله تعالى عن رسوله المنذر المبشر ما كان ينسبه الكفار اليه من الكهانة والجنون والسحر^(٢) والشعر ، فعقبه بن أبى معيط قال انه مجنون وشيبه بن ربيعة قال : انه ساحر وغيرهما قال : كاهن فأكذبهم الحق تعالى بقوله : {ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون} ، وقوله : {ما يصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد}

(١) سورة الطور : ٢٩-٣٤

(٢) البحر المحيط ١٥١/٨ .

(٣) تفسير القرطبي ٧١/١٧ .

(٤) سورة سبأ : ٤٦

ويجمع بين الوصفين الكهانة والجنون ما كان شائعا بينهم أن الكهان يتلقون عن الشياطين وأن الشيطان يتخبط بعض الناس فيصابون بالجنون وكان يحملهم على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف أو ذاك أو بقولهم أنه شاعر أو ساحر كان يحملهم على هذا كله موقفهم مبهمين أمام القرآن الكريم المعجز الذي يبدهم بما لم يعهدوا من قول وهم أرباب القول وأهله ولما كانوا لا يريدون - لعل في نفوسهم - أن يعترفوا أنه من عند الله فقد احتاجوا أن يعللوا مصدره المتفوق على البشر فقالوا : أنه من إحياء الجن أو بمساعدتهم فصاحبه أما كاهن يتلقى عن الجن ، أو ساحر يستعين بهم ، أو شاعر له رؤى من الجن أو مجنون به مس من الشيطان ينطقه بهذا القول العجيب .^(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم مبرا مما يقولون بحمد الله وانعامه عليه بصدق النبوة ورجاحة العقل . وكذلك مانسب اليه من قول الشعر وهو أمر بعيد عن الوحي . ولا شك أن بعضهم كان يدرك ذلك إذ كان فيهم شعراء ولكنهم تماثلوا مع أولئك ناقصي الفطرة على قولهم هو شاعر جدا لآيات الله بعد استيقانها ، فهاهو ذا الوليد بن المغيرة تحدثنا السيرة بموقفه من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع اليه نفر من قريش يريدون أن يصفوا الرسول باحدى ثلاث ، الكهانة أو الجنون أو الشعر ، فكان رد الوليد عليهم ، قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ص ٣٣٩٨ .

(٢) تفسير البحر المحيط ١٥١/٨ .

بزمزمة الكاهن ولاسجعه ، وماهو بمجنون لقد رأينا الجنون
وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، وماهو بشاعر
لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ،
فما هو بالشعر ، وماهو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم
فما هو بنفثهم ولاعقدهم ، ثم قال قولته المشهورة : "والله
ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة" ^(١) .

يقول الحق بشأن تبرئته من قول الشعر :

{وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن
(٢)
مبين} .

فالكفار منتظرون ما يحل به من صروف الدهر ونوائبه ،
وهو كذلك صلى الله عليه وسلم منتظر ما يحل بهم من العذاب
فعذبوا يوم بدر بالسيف ، ثم يسألهم الحق أفعلهم هذا بأمر
من أحلامهم بل كفروا طغيانا وان ظهر لهم الحق . ^(٣)

ثم رموه بالتقول والاختلاق والقرآن يبرؤه من هذا ،
يقول تعالى : {ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين} ^(٤) .

وانما دفعهم لهذا كفرهم وعنادهم مع علمهم ببطلان هذه
المطاعن . ^(٥)

ثم يواجههم الحق بمطالبتهم بمثل القرآن ان كانوا
صادقين فى دعواهم ، فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، تعليق وضبط طه عبد الرؤوف
سعد ٢٤٣/١ .

(٢) سورة يمس : ٦٩

(٣) تفسير القرطبي ٧٣/١٧ .

(٤) سورة الحاقة : ٤٤

(٥) تفسير الكشاف ٢٥/٤ .

الاتيان بمثله لمشاركتهم له صلى الله عليه وسلم فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار ، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والأيام ، ولأريب فى أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الأمر بذلك فاذا تحدوا وعجزوا علم رد مقالوه (١) ومحة المدعى .

مناسبة آيات التحدى فى السياق :

بدئت سورة الطور بأقسام خمسة أقسم بها المولى تعالى كان من بينها القرآن الكريم ، قال تعالى :

{والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور} . (٢)

ثم تحدثت السورة عن الآخرة وجزاء كلا الفريقين المؤمنين والكافرين . وجاء الحديث بعده عن الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته فأمره الله تعالى بالتذكير فهذه مهمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، وعليه ألا يلتفت لتكذيبهم وانكارهم لنبوته فليس الرسول بفضل الله بكاهن ولا مجنون ولا شاعر ، وليس القرآن الكريم الموحى به من رب العالمين بقول كاهن ولا مجنون ولا شاعر ولا متقول وها هو ذا القرآن الكريم بين أيديهم فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ، ان عجزهم عن الاتيان بمثل هذا القرآن الكريم من جنس عجزهم عن الأمور الأخرى التى نصت عليها السورة فى معرض

(١) تفسير روح المعانى ٣٧/٢٧ .

(٢) سورة الطور : ١-٦

تبكيتهم وتقريعهم . انهم - مثلاً - عاجزون عن أن يخلقوا شيئاً وليس عندهم خزائن الله تعالى الى غير ذلك من مظاهر عجزهم .

وقد أبطل الحق مزاعمهم هذه وأقام الدليل على صحة رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقه .
وختمت السورة بإنذار الكافرين الظالمين وأمرت المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصبر ، قال تعالى :
{واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك
(١)
حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم} .

تأملات بيانية فى الآيات :

يتبين من قوله سبحانه وتعالى :
{فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم
(٢)
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون} .
ان المشركين مرة يقولون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كاهن ، وأخرى انه مجنون ، وثالثة انه شاعر وقد رأى بعض المفسرين فى الجمع بين الكهانة والشعر والجنون تناقضاً فان الكاهن والشاعر يكونان ذوى عقل تام والمجنون مغطى عقله مختل فكره ، وهذا يدل على أن المشركين اضطربت عقولهم وتناقضت أقوالهم وكذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون ، ووراء اضطراب عقول المشركين وتناقض أقوالهم نحن نستطيع أن نتبين رباطاً خفياً يجمع بين صفات الكهانة والجنون والشعر

(١) سورة الطور : ٤٨ ، ٤٩

(٢) سورة الطور : ٢٩ ، ٣٠

التي خلعها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم . أما هذا الرباط فهو أن قوى خفية هي التي تسير في عرف العرب وفهمهم لكل من الكاهن الذي يتكهن بالمستقبل بسبب تلقيه عن الشياطين والشاعر الذي يظن العرب أن لكل شاعر شيطانه الذي يلهمه قول الشعر ، والمجنون المغطى على عقله إذ الجامع بين الالفاظ المشتقة من "جنن" الستر ومن ذلك الجن الذين يميزهم أنهم مستترون فلا يبصرون ، وقد قال الشاعر :

لا ينفخ التقريب منه الأبهرا إذا عرته جنه وأبطرا
فقد يكون الجن هنا هذا النوع المستتر عن العين أي
(١)
كأن الجن تستحثه ويقويه قوله : عرته .

ويؤيد هذا المعنى اللغوي ما جاء في كتاب ظلال القرآن ،
(٢)
يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله :

"وقد كانوا يقولون عنه مرة : انه كاهن ويقولون عنه مرة مجنون ويجمع بين الوصفين عندهم ما كان شاعرا بينهم أن الكهان يتلقون عن الشياطين ، وأن الشيطان يتخبط بعض الناس فيصابون بالجنون ، فالشيطان هو العامل المشترك بين الوصفين : كاهن أو مجنون وكان يحملهم على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف أو ذاك أو بقولهم انه شاعر أو ساحر . كان يحملهم على هذا كله موقفهم مبهوتين أمام القرآن الكريم المعجز الذي بيدهم بما لم يعهدوا من القول وهم أهل القول ، ولما كانوا لا يريدون - لعل في نفوسهم - أن يعترفوا أنه من عند الله ، فقد احتاجوا أن يعللوا

(١) انظر اللسان (جنن) .

(٢) في ظلال القرآن ص ٣٣٩٨ .

مصدره المتفوق على البشر فقالوا : انه من احياء الجن أو بمساعدتهم . فمأخذه اما كاهن يتلقى عن الجن ، أو ساحر يستعين بهم ، أو شاعر له رؤى من الجن ، أو مجنون به مس من الشيطان ينطقه بهذا القول العجيب" .
ونتبين من القول "فذكر" مهمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكل ما عليه البلاغ المبين والتذكير بهذا القرآن الكريم .

كما نتبين من القول المعترض الذى يصح الكلام بدونه "بنعمة ربك" فضل الله تعالى على هذا الرسول الكريم وتذكيره بنعم الله تعالى عليه ، ونتبين كذلك أن الحديث عن (١)

الشاعر جاء مستقلا فى آيتين كريمتين ، قال تعالى :
{فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر فتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين} .

فأم يقولون تعنى الخروج من حديث الى حديث فتم الكلام ثم خرج الى شيء آخر ، فما جاء فى كتاب الله تعالى من هذا فمعناه التقرير والتوبيخ والخروج من حديث الى حديث ، والنحويون يمثلونها (ببل) . (٢)

أما التربص فان دلالة المعجمة تعنى الانتظار بالشئ سلعة كانت يقصد بها غلاء أو رخصا أو أمرا ينتظر زواله أو حموله . (٣)

(٤)
وبالمقابل فان الانتظار يعنى التمهل والوقوف ،

(١) سورة الطور : ٢٩-٣١
(٢) تفسير القرطبي ٧١/١٧ .
(٣) مفردات الراغب ص ١٨٥ .
(٤) اللسان (نظر) .

فاللفظتان متقاربتان فى المعنى لكن المناسب وكما استعمل القرآن فالتربص يشير الى سعة زمنية والى حالة نفسية معينة وقد كان المشركون يتربصون به عليه الصلاة والسلام نواب الدهر وأحداثه .
(١)
وقوله تعالى :

{ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون } .

تبدأ الآية الكريمة بأم وفيها استهزاء بأحلام القوم والأحلام جمع الحلم ، الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وبعضهم فسره بالعقل وليس فى الحلم فى الحقيقة العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل . أما العقل فهو ضد الحق ، وسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن . وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ، ويؤيد هذا المعنى وهو أن الحلم ليس هو العقل قول أورده القرطبي .
(٢)
(٣)
(٤)

"وقيل (أحلامهم) أى أذهانهم لأن العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن ، انما يعطى الكافر الذهن فصار عليه حجة والذهن يقبل العلم جملة ، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهى .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال يارسول الله ما أعقل فلانا النصرانى فقال : مه ان الكافر لا عقل له أما سمعت قول الله تعالى : وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير .

وفى حديث ابن عمر : فزجره النبى صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الطور : ٣٢
(٢) البصائر ٤٩٥/٢ .
(٣) المرجع السابق ٨٥/٤ .
(٤) تفسير القرطبي ٧٣/١٧ .

ثم قال : مه فان العاقل من يعمل بطاعة الله . ذكره
الترمذى الحكيم أبو عبد الله باسناده " .
وفى القول : {أم هم قوم طاغون} تقرير لحقيقة طغيان
القوم بعد نفى الأعلام عنهم .
وفى الآية الكريمة {أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون}
تقرير لقولهم ان النبى صلى الله عليه وسلم تقول القرآن
واتى به من ذات نفسه واضراب عن هذا القول بتقرير حقيقة
كونهم ليسوا مؤمنين أى كافرين .
وهكذا يتبين وصف الآيات الكريمات المتنوع لهم بكونهم
لا أعلام لهم وبكونهم طاغين كافرين ثم تأتى آية التحدى
المفحمة لهم ، قال تعالى :
{فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين} .
والملاحظ ابتداء أن الآية الكريمة تطلب من المشركين ان
كانوا صادقين فى قولهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قد
تقول القرآن ومستعدين للإيمان ان ثبت لهم صدقه أن يأتوا
بحديث مثله . ومعروف أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل
القرآن وهذا معناه أن الآية الكريمة تخلع على القوم صفة
جديدة هى صفة الكذب اضافة الى الصفات السيئة الأخرى التى
خلعتها عليهم الآيات الكريمات السابقات ، قال تعالى :
(١)
{انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله} .
وباعتبار الآية الكريمة محور آيات التحدى فى السورة
نحن نرغب فى الوقوف عند لفظ {حديث} . وبشأنه يصادفنا

مثل هذا القول : "كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث {واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً} ، {وعلمتني من تأويل الأحاديث} ما يحدث به الانسان في نومه " .

(٤) وهو عند صاحب اللسان الخبر يأتى على القليل والكثير قال تعالى : {فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً} عنى بالحديث القرآن . ولو حاولنا أن نجد لفظاً آخر يعطى نفس الدلالة لما أمكننا ذلك ، فلفظ "قول" مثلاً بالنظرة العاجلة يظن أنه مرادف (لحديث) لكن النظرة المتأملية تتبين أن بين اللفظتين فرقاً دقيقاً يجعل لفظ الحديث هو الأكثر ملاءمة فى الآية الكريمة ، ان القول فى أصل اللغة النطق ، وحقيقته من حيث المعنى كلام مهذب مرتب على مسموع مفهوم يؤدى بمعنى صحيح ، وعلى هذا يصح اطلاق القول على القرآن فانه يتضمن التهذيب والترتيب ، لفظه مسموع ومعناه مفهوم .

فاذا تحولنا الى لفظ (الحديث) تبيننا أنه غير مرتب على كلام سابق فهو كلام يقال ابتداءً بينما القول مرتب على مسموع مفهوم كما رأينا فى معناه اللغوى وكذلك لفظة كلام فانها لاتعطى نفس الدلالة اللغوية للفظ (حديث) حيث ان (الكلام ماكان مكتفياً بنفسه) .

-
- (١) سورة التحريم : ٣
 (٢) سورة يوسف : ١٠١
 (٣) البصائر ٤٣٩/٢ .
 (٤) (حدث) .
 (٥) سورة الكهف : ٦
 (٦) البصائر ٨٢/١ .
 (٧) البصائر ٣٧٧/٤ .

وعلى هذا نرى أن كلمة (حديث) أعم هذه الالفاظ وأشملها
 فإن كل كلام وقول حديث وليس العكس .
 وهكذا يتبين أن الآيات الكريمة التي منها آية التحدى
 تتحدث عن المشركين وتخلع عليهم مجموعة من الصفات السيئة
 وتحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم من منطلق
 تثبيت فؤاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وتذكيره بنعم الله
 تعالى عليه . وفى مقدمة هذه النعم احياء الله تعالى له
 بالقرآن الكريم معجزته صلى الله عليه وسلم الكبرى الخالدة
 التي لا يستطيع العرب ولا غير العرب أن يأتوا بمثلها .

التحدى بعشر سور من القرآن :

قال تعالى :

{فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن
 يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما
 أنت نذير والله على كل شيء وكيل . أم يقولون
 افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
 من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن
 لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله
 (١)
 وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون} .

معنى الآيات :

يسلّى الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان
 يتعنت به المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر

تعالى عنهم :

{وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى
الأسواق ؟ لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو
يلقى اليه كنز . أو تكون له جنة يأكل منها وقال
(١)
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا} .

فيرشده تعالى أن لا يضيّق بذلك صدره ولا يثنيه عن دعائهم
الى الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار ، كما قال
تعالى :

{ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد
ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك
(٢)
اليقين} .

وقال فى هذه الآيات من سورة هود :

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن
يقولوا إنما أنت نذير ولك أسوة باخوانك من الرسل قبلك
فانهم كذبوا وأوذوا ، فصبروا حتى اتاهم نصر الله عز وجل .
ثم بين تعالى اعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر
الاتيان بمثله ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله ، لأن كلام
الرب لا يشبهه كلام المخلوقين كما أن صفاته لا تشبه صفات
المحدثات وذاته لا يشبهها شيء تعالى وتقدس وتنزه لاله الا هو
(٣)
ولارب سواه .

وفى معنى (وأن لاله الا هو) يقول الامام البقاعى رحمه
(٤)
الله :

-
- (١) سورة الفرقان : ٨٠، ٧٩
(٢) سورة الحجر : ٩٨، ٩٩
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٤٣٣، ٢٤٤٠ .
(٤) تفسير نظم الدرر ٩/٢٥٠، ٢٥١٠ .

"فانه لو كان معه اله آخر لكفاه فى الاتيان بمثل كلامه
وفيه تهديد واقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم" .
ولما كان هذا دليلا قطعيا على ثبوت القرآن ، جاء قوله
تعالى مرعبا مرهبا : (فهل أنتم مسلمون) أى منقادون أتم
انقياد .

مناسبة آيات التحدى فى السياق :

عنيت سورة هود الكريمة فى أكثر من موضع منها بالحديث
عن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدى العرب بها ،
فقد بدئت السورة بالحروف المقطعة الدالة على عجز العرب عن
الاتيان بمثله مع نزوله بالحروف المعلومه لديهم وفى ذلك
دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم ، قال تعالى : {الر .
(١)
كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} .
ثم يوجه الحق سبحانه وتعالى خطابه للمصطفى صلى الله
عليه وسلم مسلما له عن اعراضهم وتعنتهم فقد كانوا يقترحون
عليه الآيات تعنتا لاسترشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت
آية واحدة مما جاء به كافية فى ارشادهم . ومن اقتراحاتهم
{لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك} وكانوا لايعتدون
بالقرآن بل يتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات
فكان يضيّق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم باعراضهم فأمره
الحق تعالى وأرشده الى الثبات على الحق وتبليغ الوحي بمدر
فسيح غير ملتفت الى استكبارهم ولامبال بسفهم واستهزائهم
(٣)
فمهمته الانذار كما قال تعالى :

(١) سورة هود : ١
(٢) سورة هود : ١٢
(٣) تفسير الكشاف ٢/٢٦٠، ٢٦١ .

(١)

{فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر} .

وكما قال فى سورة ق :

{نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر

(٢)

بالقرآن من يخاف وعيد} .

ثم جاء التحدى المثبت للوحى فى قوله تعالى :

{أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله

مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم

(٣)

صادقين} .

وانما تحداهم القرآن بعشر سور مفتريات ارخاء لعناهم

فلئن اختلف الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كما ادعوا

ولم يوح اليه فليأتوا بكلام مثله مختلف من عند أنفسهم فهم

عرب فصحاء مثله لايعجزون عن مثل مايقدر عليه من الكلام

وانما عين بقوله مثله فى حسن النظم والبيان وان كان

مفترى .

فان لم يستجيبوا للرسول صلى الله عليه وسلم

وللمؤمنين فاعلموا انما أنزل ملتبسا بما لايعلمه الا الله

من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لاسبيل لهم اليه فاشتبهوا

أيها المؤمنون على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا

(٤)

وشبات قدم على أنه منزل من عند الله .

والقرآن الكريم بعد أن عرض لموقف الرسول صلى الله

عليه وسلم من قومه المعرضين وتحديه لهم سرى عنه بذكر قصص

طائفة من أنبياء الله ، قال تعالى :

(١) سورة الغاشية : ٢١

(٢) الآية ٤٥

(٣) سورة هود : ١٣

(٤) تفسير الكشاف ٢/٢٦١، ٢٦١٢ .

{وَكَلَّا نَقُصَّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ ۚ فَذُكِّرْ}

(۱)

وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين { .

وفى ايراد هذا القصص دلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى نبوته وأن خبره من السماء فهو يقص أخبارا ماكان يعلمها هو ولا أحد من قومه ولا يكون هذا إلا بوحي من الله وصدق الله العظيم حيث يقول :

{تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها

أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة

(۲)

• للمتقين {

وقبل هذا التصريح بتثبيت فؤاد المصطفى صلى الله عليه وسلم كان في السورة الكريمة تثبيت غير مصرح به وذلك في الآية الكريمة الخامسة والثلاثين من السورة الكريمة قال تعالى :

{أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى

وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ .

فهذه الآية الكريمة تأتي في أشناء الآيات الكريمات
التي تتحدث عن نوح عليه السلام وان شمة أكثر من وجه شبه
بين حال المصطفى صلى الله عليه وسلم مع قومه ، وحال نوح
عليه السلام مع قومه هذا الى أن نوحا عليه السلام أول رسل
الله تعالى وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولعلنا نلاحظ أن التحدى في قوله تعالى :

(١) سورة هود : ١٢٠

(٢) سورة هود : ٤٩

{أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله
مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين. فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل
(١)
بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون} .
وهى موضوع الدراسة مرتبطة بما قبلها فى بدء السورة
من ذكر الحروف المقطعة وما فيها من تحد واعجاز للعرب ، ثم
جاء القمص القرآنى فى خاتمة المطاف ليقوى هذا الرباط ،
ففى هذا القمص أيضا دلالة على الاعجاز ومدق الوحي ، وأنه
(٢)
{كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} .

تأملات بيانية فى الآيات السابقة :

إنما نقف أمام استعمالات القرآن الدقيقة للألفاظ علنا
نحظى بشيء من مكنوناتها ودلالاتها فهى منعة الباري دقت
صنعتة فى كل شيء (فلعل) فى الاستعمال اللغوى لها أكثر من
(٣)
استعمال كأن يراد بها الشك والايجاب والاستفهام . والآخر هو
الذى يتفق ومعنى الآية {فلعلك تارك} هو استفهام انكارى .
أما (تارك) فلو نظرنا الى معنى (الترك) وهو التخلية
عن الشيء فأننا نجد أنه أقوى وأدق من الصرف وهو رجع
الشيء .

كما أن عدول القرآن الكريم عن (ضييق) الى (ضائق) يدل
على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن الرسول صلى الله عليه وسلم
(٤)
كان أفسح الناس صدرا .

(١) سورة هود : ١٣، ١٤

(٢) سورة هود : ١

(٣) حروف المعانى والصفات للزجاجى ص ٤٢ .

(٤) تفسير الكشاف ٢/ ٢٦١ .

واستعمل القرآن الكريم (الافتراء) وهو أدل من (الكذب) فأفريته إذا قطعته للافساد . أما الكذب فهو خلاف الصدق ثم نلاحظ أن القرآن استعمل سورة في قوله {فأتوا بعشر سور} تشبيها لها بسور المدينة وحائظها المشتمل عليها لكونها محيطة بآيات وأحكام احاطة السور بالمدينة .^(٢)

وفى ختام آيات التحدى فى قوله تعالى :

{فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون} .^(٣)

أشارت لفظة (مسلمون) الى أن المعنى المراد ليس المقصود به مادون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه اعتقاد أو لم يحمل ، انما قصد باللفظة مافوق الايمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله فى جميع ماقضى وقدر كما ذكر عن ابراهيم عليه السلام فى قوله :^(٤)

{اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين} .^(٥)

التحدى بسورة مثله :

قال تعالى :

{وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتكميل الكتاب لارىب فيه من

(١) المقاييس (ف ر ي) .

(٢) البصائر ٢٧٤/٣ .

(٣) سورة هود : ١٤

(٤) مفردات الراغب مادة (سلم) ص ٢٤٠ .

(٥) سورة البقرة : ١٣١

رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
 مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
 صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما
 يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر
 كيف كان عاقبة الظالمين . ومنهم من يؤمن به ومنهم
 من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين . وان كذبوك فقل
 لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما أعمل وأنا
 برىء مما تعملون . ومنهم من يستمعون اليك أفأنت
 تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم من ينظر
 اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون . ان
 الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم
 (١)
 يظلمون .

معنى الآيات :

فى هذه الآيات بيان لاعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر
 أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله لأنه بفصاحته
 وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعانى الغزيرة
 النافعة فى الدنيا والآخرة لا يكون الا من عند الله {ليس
 كمثله شيء وهو السميع البصير} ، فلا يشبهه جل وعلا شيء فى
 ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وأقواله فكلامه لا يشبه كلام
 المخلوقين ، ولهذا قال تعالى : {وما كان هذا القرآن أن
 يفترى من دون الله} فمثل هذا القرآن لا يكون الا من عند الله
 (٣)
 ولا يشبه هذا كلام البشر ، بل انه شاهد لصحة ماتقدمه من

(١) سورة يونس : ٣٧-٤٤

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) تفسير ابن كثير ٢٠٥/٤ .

الكتب المنزلة لأنه معجز دونها ومبين لما كتب وفرض من
(١)

الأحكام والشرائع منفيًا عنه الريب موحى به من رب العالمين .

ثم خاطبهم الحق سبحانه وتعالى بقوله : {أم يقولون

افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون

الله إن كنتم صادقين} منكرا عليهم قولهم إن محمدا افتراه

إن كان الأمر كما تدعون فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن

النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء واستعينوا بمن أمكنكم

أن تستعينوا به سوى الله تعالى فإنه وحده قادر على ذلك إن

كنتم صادقين في دعوى أنه اختلقه بل سارعوا إلى التكذيب

بالقرآن أول ماسمعه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم

بشأنه ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه

كذلك كان شأن من قبلهم مع أنبيائهم {فانظر كيف كان عاقبة

(٢)

الظالمين} فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم .

ثم يخبر القرآن أن منهم من يصدق به مستقبلا لعلم الله

ذلك منه ، ومنهم من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه

يعاند بالتكذيب أو يشك فيه ولا يصدق به والله أعلم

بالمعاندين أو المصيرين ، فإن تموا على تكذيبك يا محمد

ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلصهم فقد أعذرت ، ومنهم ناس

يستمعون اليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ، ولكنهم

لا يوعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق

وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون .

ثم يخاطب المولى تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٣٧ .

(٢) تفسير البيضاوي ٣/٩٣ .

أيحسب أن فى مقدوره اسماع الصم وقد انضم الى صممهم عدم عقولهم ؟ لأن الأسم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى أذنه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر وكذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس فى مقدوره أيضا أن يهدى العمى وقد انضم الى فقد البصر فقد البصيرة إنما القادر على الهداية وحده هو الله تعالى {إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون} أى إن الله لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب .

مناسبة آيات التحدى فى السياق :

سورة يونس من السور المكية التى تعنى بأصول العقيدة الإسلامية من ايمان بالله تعالى وبالكتب والرسل والبعث والجزاء ، وهى تتميز بطابع التوجيه الى الايمان بالرسالات السماوية وبوجه أخص القرآن الكريم خاتمة الكتب المنزلة والمعجزة الخالدة على مر العصور .

وتناولت قضية الألوهية والعبودية وهى القضية التى دأب رسل الله ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم على الدعوة اليها وتأكيدا فى نفوس الناس .

ثم تحدثت السورة الكريمة عن الوحي ومبلغه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

{الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجا

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٣٧-٢٣٩ .

(٢) صفوة التفاسير لمحمد على المابونى ١/٥٧١ .

(٣) سورة يونس : ١

أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر
الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال
(١)
الكافرون ان هذا لساحر مبين} .

وعرضت لموقف المشركين من المعجزة القرآنية الدالة
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم حيث تحداهم أن يأتوا
بسورة من مثله فعجزوا مع أنهم أرباب الفصاحة وأهل البيان
قال تعالى :

{أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين} .
ثم تحدثت عن البعث والجزاء وما ينكرونه من صفات الله
تعالى وتكلمت عن القرآن وهدايته وما فيه من خير للبشرية
جميعا ، وكيف كانت الأمم السابقة وما حصل لها نتيجة كفر من
كفر وإيمان من آمن .
(٢)
وقد جاء ختام السورة متناسبا مع مطلعها فقد بدئت
بالوحي ثم ختمت به أيضا قال تعالى : {واتبع ما يوحى اليك
(٣)
واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين} .

تأملات بيانية في الآيات :

لعلنا نلاحظ أن الله تعالى عندما نفى عن القرآن
الكريم الافتراء من الخلق ساق الأدلة على ذلك في نعوت نعت
بها القرآن فهو "تمديق الذي بين يديه" والتمديق يستعمل في
(٤)
كل مافيه تحقيق ، ثم نعته (بالتفصيل) وهو التبیین والايضاح
(٥)

-
- (١) سورة يونس : ٢
(٢) التفسير الواضح لمحمد حجازي ٧٨/١١ .
(٣) سورة يونس : ١٠٩
(٤) المفردات ص ٣٧٨ .
(٥) البصائر ٣٣١/٢ .

(١) وأصل المادة تمييز الشيء من الشيء وإبانتة عنه ، ثم هو (لاريب فيه) والريب أبلغ من الشك ، فالشك هو التوقف بين طرفي قضية نفيا أو اثباتا ، والعجز عن الترجيح ، وهو موقف مزعج يشبه الشعور بالوخز . أما الريب فأصله الغليان والفوران والاضطراب الذي يصيب اللبن عندما يروب وهو موقف نزاع وتخبط وثورة . والارتياب شك مع تهمة ، فالقرآن لامطعن فيه لطاعن ولاعجب فمصدره من رب العالمين ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} .
(٥)

ثم بعد أن ألقمهم الحق تعالى الحجر أقام الحجة عليهم بعدم اقتراء القرآن اذا هم لم يذعنوا للأمر (فليأتوا بسورة) هذه الجملة التي تفيد البعد المكاني والزمانى والنفسي ، وهى هنا تفيد استحالة اتيان المخاطبين بسورة مثل أى سورة من سور القرآن .

وفى التعبير بسورة يتبين العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية .
(٧)

وان التعبير بالمثل فى قوله تعالى : {فأتوا بسورة مثله} فهو أعم الالفاظ الموضوعه للمشابهة وذلك أن الند

-
- (١) المقاييس (ف ص ل) .
(٢) الفروق اللغوية ص ٩١ .
(٣) الترادف اللغوى فى القرآن الكريم لمحمد أكرم شودرى ص ٤٨، ٤٧ .
(٤) الفروق اللغوية ص ٩٢ .
(٥) سورة النساء : ٨٢ .
(٦) تأملات فى سورة الحاقة ص ٤٩ .
(٧) مناهل العرفان للزرقانى ١/ ٣٤٣ .
(٨) البصائر ٤/ ٤٨١ .

يقال فيما يشاركه فى الجوهرية فقط والشكل يقال فيما يشاركه فى القدر والمساحة ، والشبه يقال فيما يشاركه فى الكيفية فقط ، والمساوى يقال فيما يشاركه فى الكمية فقط والمثل عام فى جميع ذلك .

وذم القرآن الكريم المشركين على مسارعتهم الى تكذيب القرآن قبل أن يتدبروا معانيه فقال تعالى : {بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه} والاحاطة بالشئ علما هو أن يعلم وجوده وحسنه ، وقدره ، وكيفيته وغرضه المقصود به ، وبايجاده وما يكون هو منه وذلك ليس الا لله تعالى .^(١)

لكن احاطة البشر هى من قبيل التدبر وفقه معانى القرآن وليست احاطة مطلقة فهى لله تعالى .

ثم عطف على جملة (لم يحيطوا بعلمه) جملة (ولما يأتهم تأويله) والتأويل هو رد الشئ الى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا ، فالاحاطة فيها شمول والتأويل يحتاج الى دقة فى الفهم لذلك كان التأويل مرحلة تالية للاحاطة^(٢) يؤيد هذا ما أشار اليه صاحب التفسير الكبير حيث يقول :^(٣)

"وبالجملة فشبهات الكفار كثيرة ، فهم لما رأوا القرآن مشتملا على أمور ما عرفوا حقيقتها ولم يطلعوا على وجه الحكمة فيها لاجرم كذبوا بالقرآن ، والحاصل أن القوم ما كانوا يعرفون أسرار الالهيات وكانوا يجرون الأمور على الأحوال المألوفة فى عالم المحسوسات وما كانوا يطلبون حكمها ولا وجوه تأويلاتها ، فلا جرم وقعوا فى التكذيب والجهل فقوله

(١) البصائر ١٢٧/٢ .

(٢) البصائر ٢٩٢/٢ ، وكذا فى مفردات الراغب ص ٣١ .

(٣) تفسير الرازى ١٠٣/١٧ .

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) اشارة الى عدم علمهم بهذه الاشياء ، وقوله (ولما يأتهم تأويله) اشارة الى عدم جهدهم واجتهادهم فى طلب تلك الاسرار .

ثم عبر الحق تعالى عن الكفر بالظلم فى قوله تعالى : {فانظر كيف كان عاقبة الظالمين} يعاضد هذا معنى قوله تعالى : {ولم يلبسوا ايمانهم بظلم} ^(١) قيل هو الشرك بدلالة أنه لما نزلت هذه الآية شق على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم : "ألم تروا الى قوله : {ان الشرك لظلم عظيم}" ^(٢) ^(٣) .

وفى قوله تعالى : {أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون} استفهام على سبيل التمثيل والتشبيه فانه لا يقرر بالمحال وبما لا يقول أحد انه يكون الا به وعلى أن يقال له انك فى دعواك ما ادعيت بمنزلة من يدعى هذا المحال ويطمع فى الممتنع ، ثم المعنى فى تقديم الاسم وان لم يقل (أسمع الصم) هو أن يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت خصوصا قد أوتيت أن تسمع الصم وأن يجعل فى ظنه أنه يستطيع اسماعهم بمثابة من يظن أنه قد أوتى قدرة على اسماع الصم ولا يكون نفس المعنى فيما لو بدأنا بالفعل . ^(٤)

(١) سورة الانعام : ٨٢

(٢) البصائر ٥٤٢/٣ .

(٣) سورة لقمان : ١٣

(٤) دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص ٩٤ .

التحدى بسورة من مثله :

{ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض
فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج
به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا
وأنتم تعلمون . وان كنتم فى ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من
دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس
(١)
والحجارة أعدت للكافرين} .

معنى الآيات :

لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه
الواحد الخالق وأنه لاند له أتبعه الحق تعالى باقامة الحجة
على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومايدحض الشبهة
فى كون القرآن معجزة وأنه من عند الله سبحانه وتعالى ،
فأمر المكذبين الجاحدين على سبيل التعجيز لهم ان يأتوا
بسورة مما يماثله ويجانسه ، ويدل على كونه معجزا مااشتمل
عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة ، فتارة
يأتى بالقمة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولايخل
بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه

أوزان الأشعار والخطب والرسائل ، ولهذا تحدث العرب فعجزوا عنه ، وتحيروا منه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفماحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل . ثم دعاهم ان كان الأمر كما يقولون ان آلهتهم تستحق العبادة فليستعينوا بها فى دفع مائزل بهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فانهم مبطلون فى دعواهم أنها آلهة .^(١)

فاذا لم يعارضوه ولم يتسهل لهم مايبغون وبان لهم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فليؤمنوا وليخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة :

صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لايعلمه الا الله سبحانه وتعالى .^(٢)

فاذا استبانوا العجز فليتركوا العناد لان من اتقى النار ترك المعاندة والا فان مآلهم الى نار تمتاز عن غيرها من النيران فهي توقد بالناس والحجارة بدليل تنكيرها فى قوله تعالى : {قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين} .^(٣)

فهي توقد بنفس مايحرق ويحوى بالنار وبأنها لاافراط حرها اذا اتملت بمالاتشتعل به نارا اشتعلت وارتفع لهبها ، وقد قرن الله الناس بالحجارة وجعلت معهم وقودا لانهم قروا بها أنفسهم فى الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها أندادا وعبدوها من دونه . قال تعالى : {انكم وماتعبدون من دون

(١) تفسير الخازن ١/٣٤٠، ٣٣٠ .

(٢) تفسير الكشاف ١/٢٤٦، ٢٤٧ .

(٣) سورة التحريم : ٦

(١)

الله حمص جهنم أنتم لها واردون .

فقد اعتقد الكفار فى حجارتهنم النفع ودفع الضرر عن
أنفسهم فقرنهم بها محماة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلامهم
(٢)
واغراقا فى تحيرهم .

مناسبة آيات التحدى فى السياق :

بدئت سورة البقرة بالحروف المقطعة {الم ذلك الكتاب
لاريب فيه هدى للمتقين} ثم أعقبت ببعض نعوت القرآن ثم جاء
وصف ثلاث طوائف من الناس هم : المؤمنون والكافرون
والمنافقون .

تلا ذلك الحديث عن أهم قضية وهى قضية العقيدة الاسلامية
فجاء الامر بعبادة الله تعالى وعدم الاشراك به ثم الايمان
بكتابه المعجز المنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
واتقاء أليم عقابه ، والايمان بسائر الكتب المنزلة من
قبله .

ثم جاء الحديث عن فريق آخر كافر فى مجموعه وهم بنو
اسرائيل وذلك لكشف كيدهم وبيان حقيقتهم فى الدس على الاسلام
والمسلمين ولتحذير المسلمين من مزالق الطريق التى عثرت
فيها أقدام هذه الأمة المستخلفة قبلهم فحرمت مقام الخلافة .
ويواجه القرآن الكريم بنى اسرائيل بمواقفهم تجاه النبوات
وتجاه الانبياء ، أنبيائهم هم وماكان من سوء صنيعهم معهم
كلما جاءوهم بالحق ، ثم كان أخيرا موقفهم من الرسالة

(١) سورة الانبياء : ٩٨

(٢) تفسير الكشاف ١/٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢ .

(٣) سورة البقرة : ١

الخاتمة للنبي صلى الله عليه وسلم فهم شر خلف لشر سلف .
وبعد أن تم اصلاح العقيدة التى هى جوهر الدين بدأ
الحق يفصل لنا الشريعة التى هى مظهر هذا الدين وهيكله ،
لقد أزيلت شبه المعاندين وأقيمت الحجة عليهم فلم يبق الا
انارة السبيل للسالكين ، كانت موجهة لبيان حقائق الايمان
وهى الآن تتوجه لبسط شرائع الاسلام .

تأملات بيانية فى الآيات :

لعلنا نلاحظ النداء (بيا) التى للبعيد ثم استعملت
(١)
للساهى الغافل لعظم المأمور به بعد النداء .
ثم لما ذكر الحق موقف ثلاث طوائف هم المؤمنون
والكافرون والمنافقون من القرآن الكريم خاطبهم بوصف عام
يأنسون به جميعا فقال تعالى : {يا أيها الناس اعبدوا
(٢)
ربكم ...} ليكون ذلك أدعى للامتثال .
(٣)
ثم اضافة الربوبية الى المخاطبين للتفخيم والتعظيم .
وأیضا قوله تعالى : {وان كنتم فى ريب مما نزلنا}
والريب أبلغ من الشك فهو شك مع تهمة والتعبير بلفظ
التنزيل دون الانزال ، لأن المراد النزول على سبيل التدرج
والتفخيم ، وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند
الله مخالف لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما
سورة بعد سورة وآيات عقب آيات على حسب النوازل وكفاء
الحوادث وعلى سنن مانرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود

(١) الكشاف ٢٢٤/١ .
(٢) التفسير الواضح ٢١/١ .
(٣) صفوة التفاسير ٤٣/١ .

مايوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً حسب مايعن لهم
من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة لايلقى الناظم ديوان
شعره دفعة واحدة ولايرمى الناثر بمجموع خطبه أو رسائله
ضربة فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة .
قال تعالى : {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة} .

ثم وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبودية ولهذا
الوصف فى هذا الموضع دلالات منوعة متكاملة فهو أولا تشریف
للسول صلى الله عليه وسلم وتقريب باضافة عبوديته لله
تعالى دلالة على أن مقام العبودية لله هو أسمى مقام يدعى
اليه بشر ويدعى به كذلك وهو ثانيا تقرير لمعنى العبودية
فى مقام دعوة الناس كافة الى عبادة ربهم وحده .
(١)

وقوله تعالى فأتوا بسورة والأمر خرج هنا الى معنى
التعجيز ثم تنكير لفظ سورة لارادة العموم والشمول .
ثم لننظر كيف تنزل معهم فى هذه المرتبة من طلب
المماثل الى طلب شئ مما يماثل فالحق لايكلفهم بالمماثلة
العامة بل حسبهم أن يأتوا بشئ فيه جنس المماثلة ومطلقها
وبما يكون مثالا على التقريب لالتحديد وهذا أقصى مايمكن من
التنزل ، قال تعالى : {فأتوا بسورة من مثله} ولذا كان هو
آخر صيغ التحدى نزولا فلم يجيء التحدى بلفظ من مثال الا فى
سورة البقرة المدنية ، وسائر المراتب بلفظ (مثله) فى
السور التى نزلت قبل ذلك بمكة .
(٢)

(١) فى ظلال القرآن ٤٨/١ .

(٢) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز ص ٨٤ .

وهو تعالى كما تساهل معهم فى الاتيان بما فيه جنس المماثلة ومطلقها فانه فى سبيل الاتيان (بسورة من مثله) طلب منهم أن يستعينوا بشهادتهم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارشاء العنان والاشعار بأن شهداءهم وهم مداره القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاوله والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمع بهم الانسانية والانفة أن يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد الواضح فساده عندهم وفى غير هذا الموضع من آيات التحدى السابقة لها فى النزول كان فى طلب التحدى أن يستعينوا بمن شاءوا أو أن يتعاضد بعضهم بعضا ويتكافؤا فى سبيل الاتيان بما طلب منهم .

وجاء التعبير القرآنى بإن التى للشك دون اذا التى للوجوب قال تعالى : {فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار} وفى هذا وجهان :

أحدهما : أن يساق القول معهم على حسب حسابانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالمهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام .

الثانى : أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه : ان غلبتك لم أبق عليك ، وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به .

(١) تفسير الكشاف ٢٤٥/١ .

(٢) تفسير الكشاف ٢٤٧/١ .

القرآن هو المعجزة الخالدة :

{ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلًا. الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرًا . قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فابى أكثر الناس الا كفورا } .^(١)

معنى الآيات :

قبل أن يقرر الحق سبحانه وتعالى استحالة الاتيان بمثل هذا القرآن امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بنعمة الوحي ، فلو شاء سبحانه لذهب بالقرآن ومحاه من المدور والمصاحف فلم يترك له أثرا وبقي المصطفى صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله تعالى فى مواضع من كتابه العزيز ،
منها قوله تعالى :

{وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم } .^(٢)
وماكان المصطفى ليطمع فى نزول القرآن عليه والى هذا أشار المولى سبحانه {وماكنت ترجو أن يلقي اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين} .^(٣)

(١) سورة الاسراء : ٨٦-٨٩
(٢) سورة الشورى : ٥٢
(٣) سورة القصص : ٨٦

فهذه الآيات السابقة تحدد معالم مهمة النبی الامی صلی الله علیه وسلم فهو مبلغ لكلام رب العالمین الذی هو فوق قدر البشر ولايستطيعون الاتیان بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة ، وهذا ماأشار الیه القرآن الکریم فی مواضع متفرقة منه ومن أقوى صور التحدى قوله تعالى :

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن یأتوا بمثل هذا القرآن لایأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهیرا} (١)

"لقد نمت الآیة الکریمة على مجموعة من العجائب ، حتى لو قدر لها أن تتحقق - وهذا فی حد ذاته مستحیل - فأنها ستنتهی حتما الى العجز التام عن الاتیان بمثل هذا القرآن . أما هذه العجائب فثلاث :

- (أ) أن تصح عزائم كل الانس على أن یأتوا بمثل هذا القرآن .
- (ب) أن تصح عزائم كل الجن على أن یأتوا بمثل هذا القرآن .
- (ج) أن یتعاون كل الانس والجن لایشذ عن الجنسین فرد واحد على أن یأتوا بمثل هذا القرآن " . (٢)

فاذا كانت كل الحقائق تؤكد بأن الانس وحدهم لن یتفقا على القيام بعمل واحد ما ، لأن الاختلاف سجية فیهم فكیف یمكن للانس على اختلاف مشاربهم والجن على اختلاف أهوائهم أن یتفقا جميعا على محاولة تحدى القرآن للاتیان بمثله .

فالآیة الکریمة تتحدى الثقلین فی أقوى صور التحدى بأنهم لن یتطیعوا أن یأتوا بمثل هذا القرآن ، وحيث انه

(١) سورة الاسراء : ٨٨

(١) تأملات فی سورة الاسراء للدكتور حسن باجودة ص ٢٨٣ .

لم توجد ولن توجد الفئة التى تستطيع أن تجيء بمثله أو عشر سور من مثله أو سورة من مثله ، فالمطلوب من كل الجماعات أن تعتقد بأن هذا القرآن من عند الله تعالى ، ولتتبع تعاليمه فإنه يهذى للطريقة التى هى أقوم .^(١)

مناسبة آيات التحدى فى السياق :

تحدثت سورة الاسراء عن الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته والقرآن الكريم وموقف القوم منه قال تعالى :
{ان هذا القرآن يهذى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا} .^(٢)
وقوله تعالى : {ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليعذروا ومايزيدهم الا نفورا} .^(٣)
ولقد جاء الحديث عن المعجزة الخالدة والتحذى بها خاتمة لحديث سابق عن معجزات أخرى كالاسراء ثم عقب بالتوراة كتاب موسى ومآل هذه المعجزة الى تكذيب قومه ثم جاء الحديث عن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ويجمع بين قوم موسى وأهل مكة أنهم كذبوا بكتب رسلهم مع شقتهم بصدق التوراة والقرآن ولكنه الكبر والعناد دفعهم الى مطالب مادية عند كلا الرسولين يريدون أن يستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير .

(١) تأملات فى سورة الاسراء للدكتور حسن باجودة ص ٢٨٣، ٢٨٤ .
(٢) سورة الاسراء : ٩
(٣) سورة الاسراء : ٤١

تأملات بيانية فى الآيات :

لو أنعمنا النظر فى لفظى الانس والجن هذين اللفظين المتضادين لوجدنا أن أولهما يشير الى الظهور والآخر الستر فان اجتماع هذين النقيضين الانس والجن يثير كل صفات الاختلاف بين الجنسين ويثير تعجب السامع مما يعرف ابتداء أنه محال وهو اجتماع هذين الجنسين اللذين يختلفان فى كل شئ تقريبا اذ كيف يجتمع المبصرون وغير المبصرين ، وأية قضية مصيرية يتفق هذان الجنسان على الاجتماع فى مكان واحد من أجلها ، والمعروف أن الانس يختلفون فى طباعهم وينبغى أن يكون الجن كذلك قياسا .

ان هذه المستحيلات التى كان العرض القرآنى قادرا على اثارها وخاصة بسبب الطباق والقسم وموضع الآية بالقياس لما سبقها من آيات قادرة على الايحاء بأننا بمدد قضية تعجيزية فالآية الكريمة تثبت أن كل المستحيلات لو فرض أنها تحققت ممثلة فى اجتماع الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فانهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض عوناً .^(١)

فاذا انتقلنا الى جملة (أتى) التى جاءت فى الآية الكريمة مرتين فانه يلاحظ أن (أتى) لاتستعمل فى القرآن الا دليلا على البعد الزمانى أو المكانى أو النفسى بعكس جملة جاء فهى لاتستعمل فى القرآن الكريم الا دليلا على القرب

(١) معجزة القرآن البيانية ، د. حسن باجودة ص ٢٤، ٢٥ .

الزمانى أو المكانى أو النفسى ، وتستطيع كل من الجملتين أن
(١)
تؤدى أحيانا أكثر من معنى .

وفيما يتصل بجملة يأتوا فى الآية الكريمة من سورة
الاسراء هى تدل على الأنواع الثلاثة من البعد الزمانى
والمكانى والنفسى انه يستحيل على الانس والجن معا أن يأتوا
فى أى وقت من الأوقات بمثل هذا القرآن البعيد المكان ،
(٢)
فعليهم جميعا أن يئأسوا فى اليأس راحة .

وإذا جئنا لفظة (قرآن) الواردة فى الآية الكريمة فان
المعنى الثانوى الذى تثيره كلمة (قرآن) هو أن من أهم صفات
القرآن الكريم أن يقرأ فى الملوات ويعبد الله بتلاوته
وتدبر معانيه وتطبيق تعاليمه .

أما لفظة (ظهير) فان معناها الأولى هو المعين
والمساعد والضمير فما معناها الثانوى الذى كان العربى
السليم السليقة يدركه بدهاءة ؟ فمن المعروف أن أقوى عناصر
جسم الانسان عظامه وعماد جسم الانسان عظام ظهره ، وقد فطن
العرب الى هذه الحقيقة فأطلقوا لفظة ظهر لمعان عدة يجمعها
القوة والصحة وحصول النفع ، وحيث ان الظهر السليم والمراد
عظامه تعتبر فى نظر العربى رمزا للقوة فانه اشتق من الظهر
(٣)
لفظة الظهير دليلا على القوى القادر على العون والمساعدة .

(١) معجزة القرآن البيانية ، د. حسن باجودة ص ٢٤، ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦، ٢٧ .

آيات التحدى غير المباشر

مطالبة الكافرين بانزال القرآن جملة واحدة .

قال تعالى :

{وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا .
ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر
(١)
مكانا واهل سبيلا .

معنى الآيات :

فى هذه الآيات الكريمات يعرض الحق تعالى لاقتراح من
اقتراحات المشركين واعتراضاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيتهم عن اتباعه فهم يطالبون بنزول القرآن دفعة واحدة
فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة ، وهذا فضول من القول
وممارسة بما لاطائل تحته ، لأن أمر الاعجاز والاحتجاج به
(٢)
لايختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا .

وانما أنزل مفرقا لتقوية فؤاد النبى صلى الله عليه
وسلم وهذه أهم حكمة مناسبة لتلك المرحلة من تاريخ الدعوة
الاسلامية ، وان المتمثل لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم
آنذاك فى مكة والضنك الشديد الذى هو فيه بسبب موقف

(١) سورة الفرقان : ٣٢-٣٤

(٢) تفسير الكشاف ٩١، ٩٠/٣ .

الكافرين المعادى للدعوة واساءتهم البالغة للفئة المؤمنة القليلة العدد آنذاك يدرك شيئا من قيمة انتقاء الآية الكريمة لهذه الحكمة بالذات ، خاصة وأن نزول هذه الآية والنص على التثبیت بمثابة التطبيق العملى لحكمة جليلة .^(١)

وأیضا من حكمة نزوله مفرقا لينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولايتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا .

والدليل على فساد اعتراضهم بنزوله مفرقا أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحذوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناسبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا : هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على بعضه حتى يقدرُوا على جملة .^(٢)

ولاتقف الآية الكريمة عند حكمة نزوله مفرقا وإنما تضيف الى ذلك الوسيلة التى يكون بها التثبیت أشد رسوخا ، ألا وهو الوضوح والبيان وفصاحة الحجة وجمال العرض ، بحيث يملك القرآن الكريم من الانسان العاقل المنصف زمام قلبه وعقله ، فلا يملك الا أن يعمل بمقتضاه ويتمشى بموجبه .

ان القرآن الكريم المعجز بمعناه ومبناه ، حينما ينزل مفرقا فذلك أدعى لأن يستوعب معناه ويرتل مبناه ترتيلا يليق بمكانته . وقد آتت هذه الحكمة أكلها ان جمع الصحابة رضوان الله عليهم بين العلم والعمل .^(٣)

ولصرف الناس عن الدين الحق اخترع المشركون كثيرا من

(١) تأملات فى سورة الفرقان ، د. حسن باجودة ص ٩٢ .

(٢) الكشف ٩١/٣ .

(٣) تأملات فى سورة الفرقان ص ٩٣ .

الاباطيل ضد القرآن فليس هو الا كلام رجل ساحر وكاهن وشاعر وكاذب ومجنون - تنزه كلام الله عما يقولون - وهذا ما أشار اليه الله تعالى بقوله : {ولايأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} ان الحق هو الهدف الذى يسعى القرآن الكريم الى احقاقه ويكون ذلك عن طريق اعطاء التعبير الصحيح والتفسير الحسن لكل مسألة يعرض القرآن الكريم لها ، بحيث ينتهى كل منصف الى أن ماتضمنه القرآن هو الحق ، وصدق الله العظيم القائل : {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل} .

ثم يصور القرآن الكريم سوء المنقلب الذى يؤول اليه الكافرون والطريقة المهينة التى يتم بها الوصول الى تلك النهاية الاليمة ، حيث يحشرون على وجوههم فى طريقهم الى جهنم ، قال تعالى : {الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا} .

وتشير الآية الى سبب مآلهم الى هذه الحال المخزية أنهم أضل فى الدنيا رغم بعث الرسول اليهم وفساد السبيل والوسيلة مؤد الى فساد الغاية .

مناسبة آيات التحدى غير المباشر فى السورة :

تعنى سورة الفرقان بأمور العقيدة وأصول الايمان وتعالج شبهات المشركين حول الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء والقرآن .

وسورة الفرقان من السور المكية وقد سميت بسورة

(١) تأملات فى سورة الفرقان ص ٩٤، ٩٣ .

(٢) سورة الاسراء : ١٠٥

(٣) تأملات فى سورة الفرقان ص ٩٤ .

الفرقان لأن الله تعالى ذكر فيها هذا الكتاب المجيد الذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وكان النعمة الكبرى على الإنسانية ، لأنه النور الساطع والضياء المبين الذى فرق الله به بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، والكفر والإيمان ، ولهذا كان جديرا بأن يسمى الفرقان .

وقد بدئت السورة بالحديث عن القرآن الكريم الذى تفنن المشركون بالطعن فيه والتكذيب بآياته ، فتارة زعموا أنه أساطير الأولين وأخرى زعموا أنه من اختلاق محمد صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه بعض أهل الكتاب ، وثالثة زعموا أنه سحر مبين فرد الله تعالى عليهم هذه المزاعم الكاذبة والأوهام الباطلة وأقام الأدلة على أن القرآن تنزيل من الرحيم الرحمن ، قال تعالى :

{وقال الذين كفروا ان هذا الا فك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه (١)
كان غفورا رحيمًا } .

وتنتقل الآيات الكريمة للحديث عن الرسالة وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد عز على المشركين أن يأتهم رسول من البشر واقترحوا أن يكون من الملائكة أو يكون من البشر الأثرياء .

وقد حكى القرآن الكريم شبهتهم ورد عليها بالبرهان القاطع والحجة الدامغة ، قال تعالى :

{وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا } (١).

ثم نبهت الآيات الى سبب هذا التكذيب والجدال بالباطل وهو عدم اعترافهم بالبعث بعد الفناء وانكارهم للآخرة ، قال تعالى : {بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيра } (٢).

وفى ثنايا السورة الكريمة جاء ذكر بعض الانبياء اجمالا وجاء الحديث عن أقوامهم المكذبين وما حل بهم من النكال والدمار نتيجة لطغيانهم وتكذيبهم لرسول الله كقوم نوح وعاد وشمود وأصحاب الرس وقوم لوط وغيرهم من الكافرين الجاحدين. كما تحدثت السورة عن دلائل قدرة الله ووحدانيته وعن عجائب منعه وآثار خلقه فى هذا الكون البديع الشاهد بعظمة الله تعالى وجلاله .

ثم ختمت السورة ببيان صفات عباد الرحمن الذين خصهم الله بالاخلاق الحميدة والسجايا العظيمة ، والاستقامة فى هذه الحياة على شريعة الله تعالى وتذكر ما أعد الله لهم من الاجر العظيم فى جنات النعيم .

(١) سورة الفرقان : ٧-٩

(٢) سورة الفرقان : ١١

تأملات بيانية للآيات :

وفى قوله تعالى : {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة} عبر عنهم بعنوان الكفر لدمهم به والاشعار بعلّة الحكم .

ثم فى مجيء الرد على اقتراحهم نلاحظ مجيئه حالا دون تأن ولاتراخ وهذه الطريقة ملاحظة فيما سبق فى مثل قوله تعالى :

{وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا} .
وانما يكون الرد سريعا حينما يقتضى الموقف ذلك بسبب كون الاعتراض أو الاقتراح ظاهر الخطأ بين البطلان ، وانما يكون الرد على الاعتراضات فيه شيء من التراخي والتفصيل حينما يراد كشف خبث طوية الكافرين وكيدهم ، اذ يقترحون ويطلبون ما قد يظن للوهلة الأولى أن مثله مما يقترح ويطلب .
(١)
وأىضا فى قوله تعالى : {كذلك لنثبت به فؤادك} والتثبيت أدل فى معناه من التقوية ، اذ أن معنى الثبات ضد الزوال ، ورجل ثبت وثبت فى الحرب . قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا} .

ويقال للموجود بالبصر والبصيرة فيقال فلان ثابت عندى ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة .
والقوة معناها القدرة وتستعمل فى البدن وفى القلب وفى معاون من خارج تارة ، وفى القدرة الالهية تارة أخرى.

(١) تأملات فى سورة الفرقان ص ٩٢ .

فالتثبت قوة فى دوام والرسول صلى الله عليه وسلم
خوطف فى القرآن الكريم بقول الله تعالى :

{ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا} .
وقوله : {وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك} . والتثبیت المراد فى قوله : {لنثبت به فؤادك}
تثبتت معنى بدلالة قوله فؤادك .

وفى قوله تعالى : {ورتلناه ترتيلا} اشارة الى الوسيلة
التي يكون بها التثبت اشد رسوخا ، ألا وهو الوضوح والبيان
وفصاحة الحجة وجمال العرض .

وقد يظن بأن معنى الترتيل : الترسل . وهو التحقيق
بلاعجلة وقيل بعضه اثر بعض وترسل فى قراءته أتاد فيها .
بينما معنى الترتيل مأخوذ من الرتل : وهو اتساق
الشيء وانتظامه على استقامة يقال رجل رتل الأسنان وهو حسن
تناسقها وبياضها وكثرة مائها . والرتل والرتل الطيب من كل
شيء ورتل الكلام ترتيلا : أحسن تأليفه وترتل فيه : ترسل وقد
أضاف صاحب التاج الى هذا المعنى اللغوى معنى عرقيا وهو :
رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف ، وهو خفض الصوت والتحزن
بالقراءة .

والذى يفهم من معنى الترتيل أنه يدخل فيه سلامة
المضمون أيضا بينما الترسل يفيد فقط معنى التؤدة والانبعاث
على مهل فالتشابه بين الترتيل والتثبت حاصل من بعض الوجوه
فكل ترتيل ترسل ولاعكس .

واذا تأملنا قول الحق تعالى : {ولياتونك بمثل الا
جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} ، وقد قرن بين جملة (أتى)
وجملة (جاء) فى سياق واحد ، والاستعمال القرآنى لهاتين

المادتين يوصلنا الى فروق دقيقة بينهما فجملته (ياتى) تدل على البعد زمانيا أو مكانيا أو نفسيا ، وقد تضمنت الآية الكريمة الإشارة الى أن ما يأتى به الكافرون من انزال الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة الساحر والكاهن والشاعر وما الى ذلك بعد عن الحق واسفاف . بينما مايجىء به القرآن الكريم هو الحق والصدق . يضاف الى هذا أن السياق رتب الحديثين ترتيبا زمنيا .^(١)

وفى قوله تعالى : {أضل سبيلا} وقد وصف السبيل بالضللال من الاسناد المجازى .

مطالبة الكافرين أن يؤتى الرسول صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما أوتى موسى .

قال تعالى :

{فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون. قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما اتبعه ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين. ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون}.

(١) المعجزة البيانية ص ٢٥ .
(٢) سورة القصص : ٤٨-٥١ .

معنى الآيات :

يخبر الحق تعالى عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام
الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول أن هؤلاء لما
جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلوات الله عليه وسلامه
قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والالحاد {لولا
أوتى مثل ما أوتى موسى} من الآيات الكثيرة التى أجراها الله
على يدى موسى عليه السلام حجة وبراهين له على فرعون وملائه
وبنى اسرائيل ومع ذلك كفروا وجددوا لرسالته . ثم ان هؤلاء
الكفرة الجاحدين لنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من سلالة
أولئك الكفرة قالوا عن القرآن والتوراة سحران .

وكثيرا مايقرن الله بين التوراة والقرآن كما فى قوله
تعالى : {قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى
للناس} (١) الى قوله تعالى : {وهذا كتاب أنزلناه مبارك} (٢) وقالت
الجن {انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين
يديه} (٣) .

وقد علم بالضرورة لذوى الالباب أن الله تعالى لم ينزل
كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه
أكمل ولا شمل ولا أفصح ولا أعظم من الكتاب الذى أنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وبعده فى الشرف والعظمة
الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام ، والانجيل انما
أنزل متمما للتوراة ومحلا لبعض ما حرم على بنى اسرائيل .

ولهذا أمروا بأن يأتوا بكتاب أهدى من القرآن

(١) سورة الانعام : ٩١

(٢) سورة الانعام : ٩٢

(٣) سورة الاحقاف : ٣٠

والتوراة ان كانوا صادقين فيما يدافعون به الحق ويعارضون به من الباطل فان لم يجيبوا الى ماسئلوا ولم يتبعوا الحق علم أنهم يتبعون أهواءهم بلا دليل ولا حجة ، ولاضل ممن يتبع هواه بغير حجة مأخوذة من كتاب الله {ان الله لا يهدي القوم الظالمين} .

ثم يخبر الحق تعالى أن القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة أن يتذكروا (٢) فيفلحوا .

مناسبة آيات التحدى غير المباشر فى السياق :

فى هذه السورة ذكر الحق تعالى لنا قصة نبيه موسى الكليم عليه السلام من حين ولادته ونشأته الى حين أن بعث رسولا الى بنى اسرائيل وتكذيب فرعون وملئه له وعتوه وطغيانه ثم ما آل اليه أمره وجنده من اغراق الله لهم قال (٣) تعالى :

{واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم ايننا لا يرجعون} فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين} .

وفى عرض القرآن الكريم لقصة موسى عليه السلام دليل على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قص أخبارا صادقة عن قوم لم يشهدهم ولم يكن معهم ولم ترو له أخبارهم فلم يبق الا الوحي مصدرا لهذا كله ومع هذا هم لا يكتفون بهذه

(١) تفسير ابن كثير ٢٥٢/٦ . ٢٥٣ .

(٢) الكشاف ١٨٤/٣ .

(٣) سورة القصص : ٤٠، ٣٩ .

المعجزة التى فاقت كل معجزة سابقة فهم من باب التعنت يطلبون آيات مثل آيات موسى كالعصا واليد والطوفان والجراد والقمل وغيرها مع أن أسلافهم وهم أبناء جنسهم ومذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم كفروا بما أوتى موسى ، فكان تحدى القرآن هؤلاء المطالبين بمثل تلك الآيات أن يأتوا بكتاب من عند الله أهدي من القرآن والتوراة .

{فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا ان بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما اتبعه ان كنتم صادقين} .

وفى ايراد قصة فرعون كذلك عظمة وعبرة لكفار مكة الذين وقفوا فى وجه الدعوة المحمدية بأن مآلهم سيكون كآسلافهم كفرة قوم موسى . قال تعالى :

{وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكى القرى الاوأهلها
(١)
ظالمون} .

ثم انتقلت السورة الى الحديث عن قصة قارون وفيها أيضا صورة من صور البغى والطغيان فكما يكون الطغيان بالجاه والسلطان يكون الطغيان بالعلم والمال ، قال تعالى :

{ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز

(١) سورة القصص : ٥٩

(٢) سورة القصص : ٧٦

ما ان مفاتحه لتنوء بالعمبة أولى القوة ان قال له قومه
لاتفرح ان الله لايحب الفرحين } .

وقد اغتر بعلمه {قال انما اوتيته على علم عندي اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا ولايسال عن ذنوبهم المجرمون} .^(١)

وكانت نتيجة الطغيان الخسف والهوان ، قال تعالى :
{فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون
الله وماكان من المنتصرين} .^(٢)

وختمت السورة بارشاد الناس الى اساس الخير والسعادة
فى الدنيا والآخرة {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين} .^(٣)

الى قوله تعالى : {ولاتدع مع الله الها آخر ، لاله الا
هو كل شئ هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون} .^(٤)

تأملات بيانية فى الآيات :

فى قوله تعالى : {فلما جاءهم الحق من عندنا} نلاحظ
التعبير (بجاء) دون (أتى) وبين اللفظتين فروق دقيقة كما
دل استعمالها القرآنى فجملة جاء لاتستعمل فى القرآن الكريم
الا دليلا على القرب ، سواء اكان مكانيا أم زمانيا أم نفسيا
وان جملة (أتى) لاتستعمل فى القرآن الكريم الا دليلا على
البعد ، سواء اكان مكانيا أم زمانيا أم نفسيا .^(٥)

(١) سورة القصص : ٧٨

(٢) سورة القصص : ٨١

(٣) سورة القصص : ٨٣

(٤) سورة القصص : ٨٨

(٥) تأملات فى سورة الحاقة ، د. حسن باجودة ص ٤٩ .

ونعت القرآن بالحق فى هذا الموضع أدل من أى نعت آخر
 لأنه يواجه نعت المتعنتين وكفر الكافرين ، فالحق فى دلالة
 اللغوية يعنى المطابقة والموافقة ، فلنا أن نفهم من نعت
 القرآن بالحق أنه الموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال
 فعل الله كله حق ، أو أن حقيقة هذا القرآن موافقة لما فى
 التوراة وذلك ما اشارت اليه آيات الكتاب العزيز كما فى
 قوله تعالى : {أنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا
 لما بين يديه } .^(٢)

وقوله تعالى : {سحران تظاهرا} أى تعاونا وهذا هو
 المعنى الأولى للفظ أما معناها الثانوى فهو الإشارة الى
 أقوى عناصر جسم الانسان وهو عظامه وأهم أجزاء عظامه ،
 والتى هى عماد جسمه عظام ظهره وقد فطن العرب الى هذه
 الحقيقة فأطلقوا لفظ الظهر لمعان عدة ترمز للقوة واشتق
 من الظهر لفظ الظهير دليلا على القوى القادر على العون
 والمساعدة .^(٣)

ثم لفظ (هدى) الذى تكرر فى الآيات :

{قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان
 كنتم صادقين} .^(٤)

{ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله
 لا يهدى القوم الظالمين} .^(٥)

والهداية المشار اليها فى هذه المواضع الثلاثة هى

(١) مفردات الراغب ص ١٢٥ .

(٢) سورة الاحقاف : ٣٠ .

(٣) معجزة القرآن البيانية ص ٢٦، ٢٧ .

(٤) سورة القصص : ٤٩ .

(٥) سورة القصص : ٥٠ .

(١)
 هداية التوفيق التي اختص الله بها المهتدين وهم المعنيون
 بقوله تعالى : {والذين اهتدوا زادهم هدى} ، وقوله تعالى :
 {والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم} ، وقوله تعالى :
 {فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم
 صادقين} وهذا الشرط هو الشرط المدل بالأمر المتحقق لمحتة
 لأن امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق
 لامجال فيه للشك .

(٤)
 ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم .
 وفى الفرق بين فعل الاستجابة فى الآية الكريمة وبينه
 فى قوله :

فلم يستجبه عند ذاك مجيب
 حيث عدى الفعل بغير اللام ، وهذا الفعل يتعدى الى
 الدعاء بنفسه والى الداعى باللام ، ويحذف الدعاء اذا عدى
 الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب
 له ، ولايكاد يقال استجاب له دعاءه ، وأما فى البيت فمعناه
 فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف . فان قيل : فالاستجابة
 تقتضى دعاءه ولادعاء ههنا . أجيب بأن قوله تعالى {فأتوا
 بكتاب} أمر بالاتيان ، والأمر بعث على الفعل ودعاء اليه ،
 فكأنه قال : فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
 الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع
 الهوى .

-
- (١) مفردات الراغب ص ٥٣٩ .
 (٢) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) : ١٧
 (٣) سورة البقرة : ٢١٣
 (٤) تفسير الكشاف ١٨٤/٣ .
 (٥) تفسير الكشاف ١٨٤/٣ .

وفى قوله تعالى : {ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله} وبغير هدى فى موضع حال وهذا الحال قيد فى اتباع
الهوى لانه قد يتبع الانسان مايهواه ويكون ذلك الذى يهواه
فيه هدى من الله لان الاهواء كلها تنقسم الى مايكون فيه هدى
وما لا يكون فيه هدى فلذلك قيد بهذه الحال .^(١)

تعنت الكافرين ومطالبتهم بستة مطالب مادية .

قال تعالى :

{وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلات أو
يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن
تؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل
سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا } .^(٢)

معنى الآيات :

بعد أن تحداهم الحق فى آيات سابقة بقوله تعالى : {قل
لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا } .^(٣)
ولزمتهم الحجة وغلبوا على أمرهم أخذوا يتعننون
ويعلقون ايمانهم بتحقيق مطالب مادية ستة .

(١) البحر المحيط ١٢٤/٧ . ١٢٥ .

(٢) سورة الاسراء : ٩٠-٩٣

(٣) سورة الاسراء : ٨٨

{وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا}
وذلك بالطبع أمر هين على الله تعالى لو شاء أجابهم لطلبهم
(١)
ولكن الله علم أنهم لا يهتدون . قال تعالى :

{ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم
(٢)
كل آية حتى يروا العذاب الاليم} ، وقوله تعالى :

{ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله} .
ثم انتقلوا الى مطلب خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم
وهو {أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها
تفجيرا} أى يكون لك بستان فيه نخيل وعنب فتفجر الأنهار
خلاله تفجيرا لسقيه .

ولنا أن نتساءل لماذا يردف هؤلاء بالنخيل العنب ؟ قد
يقول قائل ان السياق ينزل شمر النخيل منزلة الطعام والعنب
منزلة الفاكهة . وهذا رأى يبدو للوهلة الاولى سديدا ولكن
يذبغى أن ندرك الأغراض التى تستخدم العرب قبل الاسلام من
أجلها الأعناب ، انهم فى الوقت الذى يتخذونها فاكهة هم
يستخرجون منها ما يخامر عقولهم ويغطيها ، ويبدو أن هذا
الآخر هو الهدف الأكبر لكفار مكة من طلبهم . فكأن طلب
القوم فى جملة وفى تفصيله يدل على نظرهم المادية
الخالصة وتكالبهم على المتع الدنيوية الرخيصة وعدم الاحساس
مطلقا بأن شمة جانباً غاية فى الأهمية تحتاجه النفس ألا وهو
غذاؤها الروحى ، لذا كانت طلباتهم المادية فى نظرهم أهم
(٣)
من القرآن الكريم الذى انصرفوا عنه انصرافا كلياً .

(١) سورة يونس : ٩٦

(٢) سورة الأنعام : ١١١

(٣) تأملات فى سورة الاسراء ص ٢٩٩ .

ولم يتوقف الأمر بالمشركين عند مطالب لصالحهم بل تعداها الى قولهم : {أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا} يعنون قول الله تعالى : {ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء} .^(١)

وهذا يعنى القضاء المبرم عليهم ولكنهم قالوا ما قالوه لأنهم مدركون حسب اعتقادهم أن القضية لهو واستهزاء .^(٢)

{أو تاتى بالله والملائكة قبيلا} نقابلهم معاينة ومواجهة وهو نظير قوله تعالى : {لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا} ، {أو يكون لك بيت من زخرف} أى ذهب .^(٣)

{أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا} ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبى أمية : لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بمك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وماكانوا يقصدون بهذه الاقتراحات^(٤) الا العناد والجحاح .

كما قال تعالى : {ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلموا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون} .^(٥)

(١) سورة سبأ : ٩
(٢) تأملات فى سورة الاسراء ص ٣٠١ .
(٣) سورة الفرقان : ٢١
(٤) الكشاف ٤٦٦/٢ .
(٥) سورة الحجر : ١٥

وحين أنكروا الآية الباقية التى هى القرآن وسائر
الآيات وليست أقل مما اقترحوه بل هى أعظم لم يكن الى
(١)
تبصرتهم سبيل .

ثم أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بتنزيه الله
تعالى وتعديده أن يتقدم أحد بين يديه فى أمر من أمور
سلطانه وملكوته بل هو الفعال ما يشاء ان شاء أجابكم الى
ماسألتهم وان شاء لم يجبكم وما أنا الا رسول اليكم أبلغكم
رسالات ربى وأنصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتهم الى
(٢)
الله عز وجل .

(٣)
وقد عقب صاحب الظلال على مطالب المشركين فقال :
"وتبدو طفولة الادراك والقصور كما يبدو التعنت فى هذه
المقترحات الساذجة وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج
الى السماء أو بين تفجير الزنبوع من الأرض ومجئ الله
سبحانه والملائكة قبيلة والذى يجمع فى تصورهم بين هذه
المقترحات كلها هو أنها خوارق فاذا جاءهم بها نظروا فى
الايمان له والتمديق به " .

ولعل فيما رآه أحد الباحثين بشأن هذه المطالب تعليلا
لهذا الجمع بينها حيث ان خوارق ثلاثا منها هى ممكنة
التحقيق فى اعتقادهم وهى تفجير الزنبوع وأن تكون للمصطفى
صلى الله عليه وسلم جنة من نخيل وعنب وأن يكون له بيت من
ذهب ، وأن الخوارق التى هى فى حكم المستحيل ثلاث أيضا وهى
أن يسقط السماء عليهم كسفا وأن يأتى بالله تعالى والملائكة

(١) الكشف ٤٦٦/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٨/٥ .

(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٢٢٥/١٥ .

قبيلا وان يرقى صلى الله عليه وسلم فى السماء وينزل عليهم
(١)
كتابا يقرؤون بآئه رسول رب العالمين .

مناسبة آيات التحدى غير المباشر فى السياق :

توجت سورة الاسراء الكريمة بالحديث عن حدث هام يتعلق
بنبيينا عليه الصلاة والسلام وهو حدث الاسراء من مكة المشرفة
الى بيت المقدس وعودته فى جزء من الليل ، والغرض منه
اراءته عليه السلام بعض آيات ربه وفيه من التشريف والتكريم
له صلى الله عليه وسلم مالا يخفى .

ثم جاء الحديث عن بنى اسرائيل وتذكرهم لنعم الله
تعالى ولعل أهمها انزال التوراة على نبيهم موسى عليه
السلام لتكون لهم هدى ، الى غير ذلك من النعم التى أعطاها
فقابلوها بالكفران فانتقم الله منهم وسلط عليهم من اذاقهم
الخزى والهوان جزاء أعمالهم .

وفى هذا اشارة الى نهاية المعاندين الكافرين وعبرة
لمن بعدهم لو كانوا يعقلون مثل كفار مكة وحالهم مع الرسول
صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بالقرآن الكريم .

وكما استهزا الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن العظيم استهزاوا بما أخبر به من البعث وماقرره
القرآن واستبعدوا البعث بعد الموت {وقالوا أئذا كنا عظاما
(٢)
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا} .

(٣)
فرد الله عليهم {قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا

(١) تاملات فى سورة الاسراء ص ٢٩٨ .

(٢) سورة الاسراء : ٤٩

(٣) سورة الاسراء : ٥٠

مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة { (١) .

ثم تحدثت السورة عن قضايا هامة من مثل مناقشة المشركين فى عقائدهم ثم جاء الحديث عن القرآن المعجزة الباقية وتحدى الله سبحانه وتعالى به الثقلين وتقرير عجزهم عن الاتيان بمثله ، قال تعالى :

{قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا { (٢) .

وحين لزمتهم الحجة وهم لا يريدون اتباع الحق لجأوا الى التعنت فاقترحوا آيات ومطالب مادية .

{وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تاتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا .

لكن عدم ايمانهم مع تحقق المطالب يستتبع اهلاكهم جرت بذلك سنة الله فى الاولين فقد أهلك كل أمة كذبت بالآيات ومنهم ثمود الذين كذبوا بالناقاة .

{ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون (٣) وآتينا ثمود الناقاة مبصرة فظلموا بها { .

(١) سورة الاسراء : ٥١

(٢) سورة الاسراء : ٨٨

(٣) سورة الاسراء : ٥٩

ثم ذكر الحق تعالى شبهتهم فى الرسالة ورد عليهم ،
قال تعالى :

{وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا
(١)
أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا} .

ثم جاء ذكر نبي الله موسى وما أيداه الله به من الآيات
فقال تعالى : {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات} وقد أرسل
(٢)
بها الى فرعون وقومه فكذبوا بها ، وفى ذلك تسلية للمصطفى
صلى الله عليه وسلم فان رسل الله قبله قد كذبوا ولكنهم
صبروا حتى أتاهم نصر الله .

تأملات بيانية فى الآيات :

سنقف أمام هذه المطالب لنتبين مدى دقة اللفظة
القرآنية ، فلفظ (ينبوع) بدل عين وما ذلك الا لأن ينبوع
ينبع بالماء غير المنقطع .
ولفظ جنة من قوله تعالى {أو تكون لك جنة من نخيل
وعنب....} .

والجنة مرادفة للفظ (بستان) أو حديقة وقد وردت لفظة
حديقة فى مواضع متعددة من كتاب الله مثل قوله تعالى :
(٣)
{وحقائق غلبا} ، {فأنبتنا به حدائق ذات بهجة} .
(٤)
فالحديقة قطعة من الأرض ذات ماء سميت تشبيهاً بحديقة
(٥)
العين فى الهيئة وحصول الماء فيها .

-
- (١) سورة الاسراء : ٩٤
(٢) سورة الاسراء : ١٠١
(٣) سورة عبس : ٣٠
(٤) سورة النمل : ٦٠
(٥) مفردات غريب القرآن ص ١١١ .

(١)

أما الجنة فهي كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض .
 فعدول القرآن الكريم عن العين الى الينبوع وعن
 الحديقة الى الجنة لأنهما يدلان على الرغبة من الطالبين في
 دوام الماء وعدم انقطاعه والاستئلال بالأشجار الوارفة وما ذلك
 الا في الجنة لا الحديقة .

وأما ثمرتا النخيل والعنب فهما مأوفتان محبوبتان
 عند العرب وان القرآن الكريم ليشير اليهما أكثر من غيرهما
 يقول تعالى ممتنا على عباده {فأنبتنا فيها حبا، وعنبا
 وقضبيا، وزيتونا ونخلا} .
 (٢)

(٣)
 وواعدا المتقين {ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا} .
 وقوله : {فتفجر الأنهار تفجيرا} فلفظ (فجر) يدل على
 شق الشيء شقا واسعا .
 (٤)
 وفي المجيء بالمفعول المطلق (تفجيرا) دلالة على القوة
 أيضا .

{أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا} .
 والكسفة : قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام
 المتخلخلة الحائلة وجمعها كسف ، وكسفت الثوب أكسفته كسفاً
 (٥)
 اذا قطعته قطعاً .

والقطع يكون مدركا بالبصر ويكون مدركا بالبصيرة نحو
 قطع الطريق وذلك على وجهين أحدهما يراد به السير والسلوك
 والثاني يراد به الغصب من المارة والساكنين نحو قوله

(١) مفردات غريب القرآن ص ٨٩ .
 (٢) سورة عبس : ٢٧-٢٩
 (٣) سورة النبأ : ٣٢
 (٤) المفردات ص ٣٧٣
 (٥) المفردات ص ٤٣١ .

(١)
 تعالى : {اِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} .
 (٢)
 وقطع الرحم يكون بالهجران ومنع البر .
 وبالنظر فى دلالة الكلمتين المعجمية يتضح أن الفعل
 كسف يقتصر على الدلالة الحسية فقط لكن القطع كما رأينا قد
 يراد به دلالة حسية أو معنوية .
 ثم لننظر فى قوله تعالى : {أو ترقى فى السماء ولن
 نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ...} .
 فقد لوحظ أن (ترقى) بفتح القاف مضارع رَقَى بكسرها
 والمصدر رُقيا ومعناه الصعود الحسى وأما فى المعانى فبفتح
 القاف فى الماضى والمضارع يقال رَقَى فى الخير .
 (٣)
 وهكذا فإن اللفاظ المذكورة لا تخرج فى معانيها عن
 الدلالة الحسية فكأنها موافقة لمطالبهم المادية .

مطالبة الكافرين الرسول الاتيان بكتاب

غير القرآن أو تبديل آية مكان آية .

(٤)

قال تعالى :

{وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
 لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل
 ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا
 ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
 قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد
 لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون . فمن أظلم

(١) سورة العنكبوت : ٢٩

(٢) البصائر ٢٨٢/٤ .

(٣) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ٣٠٧/٢ .

(٤) سورة يونس : ١٥-١٦

ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه
(١)
لا يفلح المجرمون} .

معنى الآيات :

يخبر الحق تعالى عن المشركين الذين غاظم مافى القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فطلبوا منه صلى الله عليه وسلم الاتيان بقرآن آخر ليس فيه مايغيظهم من ذلك ليتبعوه ، أو أن يبدله بأن يجعل مكان آية عذاب آية رحمة ويسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها ، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم عن التبديل لأنه داخل فى قدرة الانسان ، وأما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ، فما ينبغى له ومايحل أن يأتى ولأن يذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحى الله وأوامره ان نسخت آية اتبع النسخ وان بدلت آية مكان آية اتبع التبديل وليس له تبديل ولانسخ .
(٢)

وهؤلاء الكافرون قد ظهر لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن ولكنهم لايعترفون بالعجز عن الاتيان بمثله وكانوا يقولون {لو نشاء لقلنا مثل هذا} ويقولون فى حق الممطفى صلى الله عليه وسلم {افترى على الله كذبا} فهم قد نسبوا القرآن الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصاحتها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز ، وهم لم يريدوا الاتيان بقرآن غير هذا أو تبديله من جهة الوحي بدليل قوله تعالى على لسانه صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة يونس : ١٧

(٢) تفسير الكشاف ٢/٢٢٨، ٢٢٩ .

{انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم} .
 وقد كان غرضهم وهم أدهى الناس من هذا الاقتراح الكيد
 والمكر ، فاقترح تبديل قرآن بقرآن ففيه أنه من عنده صلى
 الله عليه وسلم وأنه قادر على مثله فليبدل مكانه آخر .
 وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال
 وأنه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو
 لا يهلكه فيسخرؤا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيا
 لافترائه على الله تعالى .
 (١)

ثم يقول تعالى ذكره لنبيه معرفه الحجة على هؤلاء
 المشركين الذين قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله :
 {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت
 فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون} .

بأنه لو شاء الله بأن لا ينزل القرآن عليه صلى الله
 عليه وسلم فيأمره بتلاوته عليهم ولا أعلمهم به فقد مكث صلى
 الله عليه وسلم فيهم أربعين سنة من قبل أن يتلوه عليهم
 ومن قبل أن يوحى اليه الله تعالى أفلا يعقلون ، ان لو كان
 صلى الله عليه وسلم منتحلا ما ليس له من القول لكان انتحله
 فى أيام شبابه وحدثته وقبل الوقت الذى تلوته عليكم فقد
 كان له اليوم لو لم يوح اليه ويؤمر بتلاوته عليهم مندوحة
 عن معاداتهم ومتسع فى الحال التى كان بها منهم قبل أن
 يوحى اليه ويؤمر بتلاوته عليهم .

وفى قوله تعالى : {فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
 أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون} .

أنه قد يراد به افتراء المشركين على الله فى قولهم
انه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه اليه صلى
الله عليه وسلم من الافتراء .^(١)

مناسبة آيات التحدى غير المباشر فى السياق :

سورة يونس من السور المكية التى تعنى بأصول العقيدة
الاسلامية من ايمان بالله تعالى وبالكتب والرسل والبعث
والجزاء وهى تتميز بطابع التوجيه الى الايمان بالرسالات
السماوية وبوجه أخص القرآن الكريم خاتمة الكتب المنزلة
والمعجزة الخالدة على مر العصور .

وتناولت قضية الألوهية والعبودية وهى القضية التى دأب
رسل الله ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم على الدعوة اليها
وتأكيدا فى نفوس الناس .

ثم تحدثت عن موقف المشركين فى مكة من الوحي الى
الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

{الر تلك آيات الكتاب الحكيم ، أكان للناس عجا
أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر
الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال
الكافرون ان هذا لساحر مبين} .

ثم امتد هذا الموقف الى القرآن الكريم حيث طلبوا من
الرسول صلى الله عليه وسلم الاتيان بقرآن آخر أو تبديله ،
قال تعالى :

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٢٩، ٢٣٠ .

{واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى} .

ثم تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، قال تعالى :
{أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين} .

ثم تحدثت السورة عن البعث والجزاء وما ينكرونه من صفات الله وتكلمت عن القرآن وهدايته ومافيه من خير للبشرية جميعا وكيف كانت الأمم السابقة مع أنبيائها وهلاكها بسبب كفرها من مثل قوم نوح وفرعون وقومه ، كذلك قصة نبي الله يونس عليه السلام الذى سميت السورة باسمه توضيحا لسنة الله الكونية فى اهلاك الظالمين وأن العذاب اذا نزل لا يرفع وأنه لا ينفذ حينئذ توبة ولا ايمان الا ماخص الله به قوم يونس قال تعالى :

{فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين} .
(١)

ثم ختمت السورة الكريمة بأمر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بالاستمسك بشريعة الله واعلان دعوة التوحيد والصبر على تحمل الاذى فى سبيل الله حتى يأتى الفرج . قال تعالى : {واتبع ما يوحى اليك وامبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين} .
(٢)

(١) سورة يونس : ٩٨

(٢) سورة يونس : ١٠٩

تأملات بيانية فى الآيات :

إذا تأملنا قول الحق تعالى : {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات} نلاحظ الالتفات من خطابهم فى الآية السابقة وهى :

{ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون} .

الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى سيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم بتعدد جنائياتهم المنافية لما أريد منهم بالاستخلاف من التكذيب والكفر بالآيات البينات .

ثم لننظر لميعة الفعل وهى المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتى حسب تجدد التلاوة ، ثم هو فعل مبنى للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ببناؤه للفاعل ، للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالى ، وللايذان بأن كلامهم فى نفس المتلو ولو تلاه رجل من احدى القريتين عظيم .^(١)

ثم الاضافة فى (آياتنا) لتشريف المضاف والترغيب فى الايمان به والتهريب عن تكذيبه .

ثم نصب (بينات) على الحال أى حال كونها واضحات الدلالة على ما تضمنته .

ثم فى نفس الآية فى قوله تعالى : {قال الذين لا يرجون لقاءنا} وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما فى حيز

(١) روح المعانى ص ٨٣ .

(١)

الملة المعظمة المحكية عنهم وذما لهم بذلك .

وفى قوله تعالى : { ائت بقرآن غير هذا } مايفيد سوء

(٢)

قصدهم وهو اضافة الافتراء الى المصطفى .

ولعلنا نلاحظ ان كل كلمة فى هذا السياق لها أهميتها

فى دفع شبهات هؤلاء الكافرين فقوله { ان اتبع الا مايوحى

الى } هى جواب لنقض مقدر وهو انه كيف هذا وقد نسخ بعض

الآيات ببعض ورد ايضا لما عرضوا له بهذا السؤال من ان

القرآن كلامه صلى الله عليه وسلم وكذلك تقييد التبديل فى

الجواب بقوله { من تلقاء نفسى } لرد تعريضهم بأنه من عنده

(٣)

عليه الصلاة والسلام .

وفى قوله تعالى : { انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم

عظيم } نلاحظ دقة اللفظ القرآنى فلفظ خوف أدق من لفظ الخشية

مثلا فى هذا الموضع ، لأن الخوف يتعلق بالمكروه وبترك

(٤)

المكروه كما قال تعالى : { ويخافون سوء الحساب } بينما

الخشية تتعلق بمنزل المكروه . ولا يسمى الخوف من نفس

(٥)

المكروه خشية ، ولهذا قال تعالى : { يخشون ربهم ويخافون

(٦)

سوء الحساب } .

وأىضا فى قوله تعالى : { انى أخاف ان عصيت ربي عذاب

يوم عظيم } أكثر من ملحظ فهو تعليل لمضمون ما قبله من

امتناع التبديل واقتصار أمره صلى الله عليه وسلم على

(١) روح المعانى ٨٣/١١ .

(٢) الكشاف ٢٣٠/٢ .

(٣) روح المعانى ٨٤/١١ .

(٤) سورة الرعد : ٢١ .

(٥) الفروق فى اللغة لأبى هلال ص ٢٠٠ .

(٦) سورة الرعد : ٢١ .

اتباع الوحى ، وفيه ايماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا
(١)
الاقتراح لأن اقتراح ما يوجب يستوجب وان لم يكن كفعله .

وفى لفظ (ربى) من قوله تعالى : {انى أخاف ان عميت
ربى عذاب يوم عظيم} تعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
لضميره عليه الصلاة والسلام لتحويل أمر العصيان واظهار كمال
نزاهته صلى الله عليه وسلم .

وفى ايراد اليوم بالتثوين التفضيى ووصفه بعظيم
مالايخفى ما فيه من العذاب وتفضييعه .

ثم لننظر فى قوله تعالى : {قل لو شاء الله ماتلوته
عليكم} تحقيق لحقية القرآن وأنه من عند الله اثر بيان
بطلان ما اقترحوه على أتم وجه ومدر بالأمر المستقل اظهارا
لكمال الاعتناء بشأنه وايدانا باستقلاله مفهوما واسلوبا
فانه برهان دال على كونه بأمر الله تعالى ومشئته كما
ستعلمه ان شاء الله تعالى وماسبق مجرد اخبار باستحالة
(٢)
ما اقترحوه .

ثم يجىء الاستفهام الانكارى فى قوله تعالى : {أفلا
تعقلون} ولعلنا نلمس الدقة فى التعبير بلفظة عقل دون سواء
مثل التفكير أو التذكر وما ذلك الا لأن العقل مرحلة سابقة ،
ثم يأتى التفكير ثم التذكر فهؤلاء الكافرون لا يملكون تلك
القوة المتهيئة لقبول العلم ، والى هذا يشير ما روى ما كسب
(٣)
أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى .

ثم يجىء قوله تعالى :

(١) روح المعانى ٨٤/١١ .
(٢) روح المعانى ٨٥، ٨٤/١١ .
(٣) البصائر ٨٥/٤ .

{فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
انه لايفلح المجرمون} .

متفمنا لاستفهام انكارى معناه النفى أى لأحد أظلم من
ذلك ، والآية الكريمة مرتبطة بما قبلها على أن المقصود
منها تفاديه صلى الله عليه وسلم مما لوخوا به من نسبة
الافتراء على الله سبحانه وتعالى اليه عليه الصلاة والسلام
(١)
وحاشاه وتظليم المشركين بتكذيبهم للقرآن وكفرهم به .

ولعلنا نلاحظ لفظ (كذبا) مع أن الافتراء لا يكون الا كذلك
للايذان بأن ما لوخوا به ضمنا وحملوه عليه الصلاة والسلام
عليه صريحا مع كونه افتراء على الله سبحانه كذب فى نفسه .
قرب افتراء يكون كذبه فى الاسناد فقط كما اذا أسندت ذنب
زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه صلى الله عليه وسلم فى
التفادى مما ذكر والفاء فى قوله {فمن أظلم} لترتيب الكلام
على ماسبق من بيان كون القرآن بمشيئته وأمره تعالى .
(٢)

ولو أنعمنا النظر أيضا فى الآية الكريمة :

{فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
انه لايفلح المجرمون} فان فى الآية ثلاثة ألفاظ يكاد يجمعها
رباط واحد وهى : (الفرى ، الفلح ، الجرم) .

فالافراء : شق الجلد ، والفلح شق الأرض ، والجرم أصله
قطع الثمرة عن الشجرة .

وأیضا هذه الألفاظ الثلاثة تجمعها دلالة واحدة وهى
دالتها على الغاية فى الأمر ، فالافتراء غاية الكذب ،
والفلاح غاية الظفر كما نقول فى دعائنا اللهم اجعل أول

(١) روح المعانى ٨٧/١١ .

(٢) روح المعانى ٨٧/١١ .

يومنا ملاحا وأوسطه نجاحا وآخره فلاحا) .
والجزم غاية الذنب ، يؤيد هذا الاستعمال القرآنى لهذه
الالفاظ ، ومن ذلك قوله تعالى : {ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما} .^(١)
وقوله : {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال
أوحى إلى ولم يوح إليه شيء} .^(٢)
وفى معنى الفلاح قوله : {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم
المفلحون} .^(٣)
وقوله تعالى أيضا : {أولئك حزب الله ألا إن حزب الله
هم المفلحون} .^(٤)

مطالبة المشركين أن ينزل على الرسول ملك من السماء يكون معه نذيرا .

قال تعالى :
{ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين . وقالوا
لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر
ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون . ولقد استهزئ برسلى من
قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به
يستهزون . قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين} .^(٥)

-
- | | | |
|-----|-----------------|------|
| (١) | سورة النساء : | ٤٨ |
| (٢) | سورة الأنعام : | ٩٣ |
| (٣) | سورة الأعراف : | ٨ |
| (٤) | سورة المجادلة : | ٢٢ |
| (٥) | سورة الأنعام : | ١١-٧ |

معنى الآيات :

يتحدث القرآن فى هذه الآيات عن الكافرين الجاحدين
 لنبوّة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنهم لعنادهم لو أنزل
 عليهم الوحي الذى أنزل على محمد فى قرطاس يعاينونه
 ويمسونه بأيديهم وينظرون اليه ويقراءون منه معلقا بين
 السماء والأرض بحقيقة ماتدعوهم اليه وصحة ماتأتيهم به من
 توحيد الله وتنزيله لقال الذين يعدلون بربهم غيره فيشركون
 به فى توحيده سواه ان هذا الا سحر مبين لاحقيقة له واضح لمن
 تدبره وتأمله انه سحر لاحقيقة .

وكان الكفار قد اقترحوا اقتراحين أولهما :

أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ملك من
 السماء يروونه ويكون معه نذيرا ومؤيدا ونصيرا ، فالرسالة فى
 ظنهم تتنافى مع البشرية {ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما
 (١)
 تاكلون منه ويشرب مما تشربون} .

وقد رد الله اقتراحهم هذا بأنه لو أنزل ملكا كما
 اقترحوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بالله وبرسوله لجاءهم العذاب
 عاجلا غير آجل كما فعل بمن قبلهم من الأمم التى سألت الآيات
 (٢)
 ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النعمة وترك الانظار .

ويرد عليهم بأنه لو جعل الرسول ملكا لكان فى صورة
 رجل من بنى آدم اذ كانه لا يطبقون رؤية الملك بصورته التى
 خلقه الله بها ، وادرك أمره فلم يدروا أملك هو

(١) سورة المؤمنون : ٣٣

(٢) تفسير الطبرى ١٥١٠/٧ .

أم أنسى فلم يوقنوا به أنه ملك ولم يصدقوا به وقالوا ليس هذا ملكا وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحة برهانه وشاهدته على النبوة .^(١)

ثم يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من آذى الاستهزاء به والاستخفاف في ذات الله ، ويأمره بالمضى فيما أمره من الدعاء الى توحيده والاقرار به والاذعان لطاعته فان هؤلاء المكذبين ان تمادوا في غيهم وأصروا على المقام على كفرهم سلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المثالات بهم .

ويأمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو هؤلاء المكذبين الجاحدين لحقيقة ماجاء به أن يجولوا في بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آيات الله من قبلهم من ضربائهم من الناس ثم لينظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزى الدنيا وعارها وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار ، فلتكن لهؤلاء المكذبين العبرة بهم ان لم تنههم حلومهم ولم تزجرهم حجج الله عليهم عما هم مقيمون عليه من التكذيب .^(٢)

مناسبة آيات التحدى في السياق :

بدئت سورة الانعام بالحديث عن اثبات الوجدانية وكمال الربوبية لله تعالى واثبات البعث وأن الله الذي يعترفون

(١) تفسير الطبري ١٥٣/٧ .

(٢) المرجع السابق ٩٨، ٩٩/٧ .

له بخلق السموات والأرض هو الإله المعبود المحيط علمه بكل شيء ، ولكنهم أشركوا وكذبوا رسوله وأعرضوا عن الآيات الكونية والآيات القرآنية التي تناديهم ليصدقوا بها ويصدقوا برسولها صلى الله عليه وسلم وأكثروا في طلب الآيات فرد الله سبحانه عليهم بما ألزمهم وبين أن مطالبهم هذه مجرد لجاج وعناد قال تعالى :

{ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} .

ثم شبههم بالموتى {انما يستجيب الذين يسمعون .
(١)
والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون} .

ثم تتابعت الآيات الكريمة تذكر سنة الله في المكذبين بأخذهم فجأة حينما يتمادون في الغي والضلال .

وعرضت لذكر أبى الأنبياء ابراهيم وذكر قصته مع قومه وأبيه ثم ذكرت جملة أبنائه الرسل وأرشدت الرسول صلى الله عليه وسلم الى اتباع هداهم وسلوك طريقهم والتأسي بهم في تحمل المشاق والصبر عليها قال تعالى :

{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لأسألنكم
(٢)
عليه أجرا ان هو الا ذكر للعالمين} .

ثم عرضت السورة لكثير من تصرفات الجاهلية التي دفعهم اليها شركهم فيما يختص بأمر التحليل والتحريم .

وختمت بالوصايا العشر ، وانتهت السورة بآية فذة تكشف للإنسان عن قيمته عند ربه فهو خليفة في الأرض .

(١) سورة الانعام : ٣٦

(٢) سورة الانعام : ٩٠

{وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
(١)
ليبلوكم فى ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم}.

تأملات بيانية فى الآيات :

يقول تعالى :

{ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين} .

ولعلنا نلاحظ التشديد فى قوله "نزلنا" . وقوله كتابا
فى قرطاس والكتاب لا يكون الا فيه ، وقوله فلمسوه بأيديهم
وقلبوا فيه وبالغوا فى ذلك وكل هذه الاساليب تفيد المبالغة
وتأكيد للنزول وتأكيدهم منه ومع هذا يقولون : ان هذا الا
(٢)
سحر مبين .

وذكر اليد هنا مبالغة فى التأكيد ولأن اليد أقوى فى
اللمس من غيرها من الاعضاء ، وقيل الناس منقسمون الى بصراء
وأضرء فذكر الطريق الذى يحمل به العلم للفريقين وقيل
علقه باللمس باليد لأنه أبعد عن السحر وقيل اللمس باليد
مقدمة الابصار ولا يقع مع التزوير ، وقيل اللمس يطلق ويراد
به الفحص عن الشئ والكشف عنه كما قال {وانا لمسنا
السماء} فذكرت اليد حتى يعلم أنه ليس المراد به ذلك
(٣)
اللمس .

واذا نظرنا فى قوله تعالى : {ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا} .

(١) سورة الانعام : ١٦٥
(٢) التفسير الواضح لمحمد حجازى ٣٧/٧ .
(٣) تفسير البحر المحيط ٧٧/٤ .

أى فى صورة رجل والحكمة فى ذلك أمور أحدها :
 أن الجنس الى الجنس أميل ، وثانيها أن البشر لا يطيقون
 رؤية الملك ، وثالثها أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون
 طاعة البشر وربما لا يعذرونهم فى الاقدام على المعاصى .
 ورابعها أن النبوة فضل من الله يختص بها من يشاء من عباده
 سواء كان ملكا أو بشرا .^(١)

ثم جاءت تسليية الله تعالى لرسوله عن تكذيب قومه
 بقوله تعالى : {ولقد استهزئ برسلك من قبلك} .

فالتنوين للتفخيم والتكثير ، وفى تصدير الجملة
 بالقسم وحرف التحقيق من الاعتناء ما لا يخفى ، والتسليية به
 وبما بعده من قوله تعالى : {فحاق بالذين سخروا منهم
 ما كانوا به يستهزئون} .

لأنه متضمن أن من استهزأ بالرسول عوقب فكأنه تعالى
 وعده صلى الله عليه وسلم بعقوبة من استهزأ به عليه الصلاة
 والسلام أن أصر على ذلك .

ولنا أن نقف أمام التعبير (فحاق) دون غيرها مثل نزل
 لأن معنى (حاق) يدور حول الاحاطة والشمول ولا يكاد يستعمل الا
 فى السر .^(٢)

ولو تأملنا الآية الكريمة {قل سيروا فى الارض ثم
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين} لرأينا أن العطف كان بـثم
 فى قوله {ثم انظروا} وفى غير ماموضع (فانظروا) لأن المقام
 هنا يقتضى ثم دونه فى هاتيك المواضع وذلك لتقدم قوله

(١) تفسير الرازى ١٦٢/١٢ .

(٢) تفسير روح المعانى ١٠٢، ١٠١/٧ .

(١) تعالى : { ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم } مع قوله تعالى : { وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين } والاول يدل على أن الهالكين طوائف كثيرة . والثانى يدل على أن المنشأ بعدهم أيضا كثيرون فيكون أمرهم بالسير دعاء لهم الى العلم بذلك فيكون المراد به استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد على كثرتها ليروا الآثار فى ديار بعد ديار وهذا مما يحتاج الى زمان ومدة طويلة تمنع من التعقيب الذى تقتضيه الفاء . (٢)

ووراء ذلك لحرف العطف ثم وجود ملحوظ فى السورة الكريمة كالآيتين الأولىين من السورة الكريمة { الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون } .

والآيات الكريمات { وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون } . (٣)

وقوله تعالى : { ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } . (٤)

وقوله : { قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم تشركون } . (٥)

-
- (١) سورة الأنعام : ٦
 (٢) تفسير روح المعانى ١٠٤٠، ١٠٣/٧ .
 (٣) سورة الأنعام : ٦٠
 (٤) سورة الأنعام : ٦٢
 (٥) سورة الأنعام : ٦٤

تكذيب المشركين للقرآن مع أنه بلسانهم
وقولهم {قلوبنا فى أكنة ...} .

قال تعالى :

{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت
آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى
وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم
(١)
عمى أولئك ينادون من مكان بعيد} .

معنى الآية :

هذه الآية الكريمة رد على الكافرين الذين حكى القرآن
عنهم فى أول السورة أنهم قالوا : {قلوبنا فى أكنة مما
تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل
(٢)
اننا عاملون} .

فجاء رد الحق عليهم بأنه لو أنزل هذا القرآن بلغة
العجم لكان لهم أن يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمى الى
القوم العرب ولمح لهم أن يقولوا {قلوبنا فى أكنة ...} لأننا
لأنفهمه ولأنحيط بمعناه أما وقد نزل بلغة العرب وبألفاظهم
وهم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنهم أن يقولوا ذلك ؟

ثم يجىء أمر الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
أن يقول لهؤلاء الكافرين الجاحدين لهذه المعجزة الخالدة ان
كل من آتاه الله طبعاً ماثلاً الى الحق وقلبا ماثلاً الى الصدق
وهمة تدعوه الى بذل الجهد فى طلب الدين فان هذا القرآن

(١) سورة فصلت : ٤٤

(٢) سورة فصلت : ٥

يكون فى حقه هدى وشفاء وهو هدى لانه دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات .^(١)

وشفاء لما فى المدور من الشك والشبه ، أما الذين لا يؤمنون فهو فى آذانهم وقر وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ثم هم فى عدم قبولهم الحق واستماعهم له كمن يصاح به من مسافة بعيدة .^(٢)

مناسبة آية التحدى غير المباشر فى السياق :

هذه السورة تتناول جوانب العقيدة الاسلامية وهى :

(الوحدانية - الرسالة - البعث - الجزاء)

وقد بدئت بالحديث عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بالحجج الواضحة والبراهين النيرة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن المعجزة الدائمة الخالدة للنبي الكريم ، قال تعالى :

{حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته

قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض
أكثرهم فهم لا يسمعون} .^(٣)

ثم تحدثت السورة عن حقيقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه بشر خصه الله تعالى بالوحى ، وأكرمه بالنبوة واصطفاه ليكون داعيا اليه ومرشدا لدينه .

ثم انتقلت السورة الى خلق السموات والارض هذا الخلق المحكم الجدير بكل نظر وتفكر وتدبر ، فالكون كله شاهد

(١) تفسير الفخر الرازى ١٣٤/٢٧ .

(٢) تفسير البيضاوى ٤٩/٥ .

(٣) سورة فصلت : ١-٤

بوحداية الله وناطق بعظمته .

ثم عرضت السورة للتذكير بمصارع المكذبين وضربت
الأمثلة بأقوى الأمم وأعتها قوم عاد الذين بلغ من جبروتهم
أن يقولوا {من أشد منا قوة} وذكرنا ما حل بهم وبشمود من
الهلاك المبين حين تمادوا في الطغيان وكذبوا رسل الله .
ثم بعد الحديث عن المجرمين جاء الحديث عن المؤمنين
المتقين الذين استقاموا على شرع الله ودينه القويم ،
فأكرمهم الله بالأمن والأمان في دار الجنان .

ثم انتقلت الآيات الكريمات بعد الحديث عن الكافرين
بالآيات الكونية الى الحديث عن المكذبين بالآيات القرآنية
الذين لم يبصروا ضياء القرآن وكابروا في صحتة واعجازه مع
كونه بلسان عربى مبين ونزل على رسول عربى ، قال تعالى :

{ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب
عزيز لايتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه
(٢)
تنزيل من حكيم حميد} .

ثم يعقب على ذلك بقوله تعالى :

{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت
آياته أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى
وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم
عمى أولئك ينادون من مكان بعيد} .

ثم جاء فى ختام السورة وعد الله تعالى للبشرية بأن
يطلعهم على بعض خفايا هذا الكون وعلى خفايا أنفسهم وأن

يريهـم الآيات الباهرة التى تدل على قدرته تعالى ليتأكدوا
من صدق القرآن {سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى
(١)
يتبين لهم أنه الحق} .

تأملات بيانية فى الآيات :

لعلنا نلاحظ أن (التفصيل) ورد فى هذه السورة والتى
سميت بفصلت فى مفتتح السورة فقال تعالى :
{حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا
(٢)
عربيا لقوم يعلمون} .
ثم فى سياق الحديث عن الجاحدين بصدق القرآن المنكرين
لاعجازه جاءت لفظة التفصيل ، قال تعالى :
{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء} .
وقد جاء التفصيل تلو الأحكام كما فى أول سورة هود ،
قال تعالى : {الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
(٣)
خبير} .

فالتفصيل مرحلة تلى الأحكام الذى هو :
النظم الرمين الذى لايقع فيه نقض ولاخلل كالبناء
المحكم المرفق ثم يجرى التفصيل الذى هو التبيين ، فالآيات
فصلت كما تفصل الم
من دلائل التوحيد والأحكام
والمواعظ والقصص .

وفى قوله تعالى : {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء} .

(١) سورة فصلت : ٥٣
(٢) سورة فصلت : ١-٣
(٣) سورة هود : ١

والهدى من الهداية وهى التوفيق الذى يختص به الله من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى : {والله يهدى من يشاء الى (١)
صراط مستقيم} .

(٢)
وقوله تعالى : {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى} .
وفيه أيضا الشفاء من الشك والريب والأوجاع ففى القرآن الكريم البرء معنويا وجسميا ، وفى التعبير بجملة (لا يؤمنون) بدل كفروا لما فى الفعل المضارع من دلالة على الاستمرار والدوام وبذلك تكون هذه الصفة المصق بهم على الدوام .

والمتمثل لقول الحق تعالى :
{والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى} .
والوقر كما فى دلالة المعجمية هو : ثقل فى الاذن وقيل هو : أن يذهب السمع كله بينما الصمم : انسداد الاذن وثقل (١)
السمع . (٢)

وهو هنا على التشبيه حيث شبه من لا يصفى الى الحق بالاصم .

وأیضا قد شبه القرآن الكريم حالهم فى عدم قبول المواعظ واعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من ينادى من مكان بعيد فلا يسمع ولا يفهم ما ينادى به والجامع عدم الفهم فى كل .
قال تعالى : {أولئك ينادون من مكان بعيد} .

(١) سورة البقرة : ٢١٣
(٢) سورة مريم : ٧٦
(٣) اللسان ، مادة (وقر) .
(٤) اللسان ، مادة (صمم) .

حروف أوائل السور والتحدى

مما افتتح به الله عز وجل كتابه العزيز الحروف المقطعة ، أو حروف التهجى فى تسع وعشرين سورة ، وعدد الحروف الواردة فيها من غير تكرار أربعة عشر حرفا .

من صيغ هذه الفواتح :

منها ماهو مؤلف من حرف واحد (ص و ق) ، ومنها ماهو مؤلف من حرفين مثل (حم) و (طه) .

ومنها ماهو مؤلف من ثلاثة أحرف مثل (الم) و (الر) ومنها ماهو مؤلف من أربعة أحرف مثل (المص) و (المر) ومنها ماهو مؤلف من خمسة أحرف مثل (كهيعص) .^(١)

موقف العلماء منها وأشهر ما قيل فى تفسيرها :

قبل أن نشير الى أشهر ما قيل فى تفسيرها نقول ان هناك اتجاهين يرى أحدهما أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به ، ولهذا قال الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر ، وسره فى القرآن أوائل السور . وردها الشعبى الى أنها من المتشابهة نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى .^(٢)

لكن هذا الاتجاه يتعارض مع ماأمر به القرآن الكريم من التدبر والمعرفة لما فيه ، قال تعالى : {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} .^(٣)

وقد وصف الله كتابه بأنه أنزله {تبياناً لكل شيء} .^(٤)

(١) البرهان للزركشى ١٦٧/١ .

(٢) المرجع السابق ١٧٣/١ .

(٣) سورة محمد : ٢٤

(٤) سورة النحل : ٨٩

(١) وجعله {بلسان عربى مبين} ، وفى ذلك مايدل على ضرورة تدبره والاستنباط منه وذلك لايتأتى الا مع الاحاطة بمعناه ، ولاخلاف على أن الغرض من الخطاب الافهام وعلى أن الصحابة والتابعين والعلماء تكلموا فى معنى هذه الحروف . (٢)

أما أصحاب الاتجاه الآخر فقد اختلفوا فى تفسيرها ومن أشهر ماقالوا :

الأول : ان كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه فالآلف من (الله) واللام من (لطيف) والميم من مجيد . قال ابن فارس : وهذا وجه جيد ، وله فى كلام العرب شاهد :

* قلنا لها قفى فقالت ق *

(٣)

فعبر عن قولها (وقفت) بق .

وقد أخذ أحد الباحثين على هذا التفسير التحكم والافتقار الى قاعدة مطردة أو منضبطة فقله (المص) - مثلا - ليس هناك مايؤكد حمله على تفسير ابن عباس ، دون أن تقول مثلا : أنا الله أفضل أو أصور ... والميم من (الم) ربما كانت من المجيد أو الماجد... الخ (٤)

الثانى : أن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذى يقرؤه محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب المنزل لاشك فيه ، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف اذ كانت مادة البيان ومافى كتب الله المنزلة باللغات المختلفة وهى أصول

(١) سورة الشعراء : ١٩٥

(٢) علوم القرآن ، د. عدنان زرور ص ١٥٤ .

(٣) الماحبى ص ١٦١ .

(٤) علوم القرآن ص ١٥٤-١٥٥ .

كلام الأمم وبها يتعارفون وقد أقسم الله تعالى ب (الفجر)
(١) و (الطور) فذلك الشأن فى هذه الحروف فى القسم بها .

الثالث : أنها أسماء للسور ف (الم) اسم لهذه و (حم)
اسم لتلك وقد أشار الزمخشري اليه وأن عليه اطباق الأكثر
(٢) وأن سيبويه أشار لهذا الوجه .

الرابع : أنها للتحدى والاعجاز وهذا أشهر ما قيل فى
(٣) تفسيرها .

يقول الزمخشري فى معرض حديثه عن هذا الوجه :
"ان ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد
كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرامة نطمه ،
وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن
آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر
الى أن يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر
معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ، وهم
أمراء الكلام وزعماء الحوار ... الا لأنه ليس بكلام البشر
(٤) وأنه كلام خالق القوى والقدرة" .

والذى يدعم هذا رأى القائل بأنها للتحدى والاعجاز
هذه النقاط :

(١) ان هذه الأحرف قد استهلكت بها السور المكية حتى كانت
من ضوابطها أو من علاماتها لا يستثنى من ذلك سوى سورتي
"البقرة" و "آل عمران" وهما على كل حال أول ما نزل

(١) الماحبى ص ١٦١-١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٣ ، وانظر الكشاف ٨٣/١ .

(٣) علوم القرآن لعبدان زرزور ص ١٥٥ .

(٤) الكشاف ٩٥/١-٩٧ .

- (١) بالمدينة بعد الهجرة (البقرة - الأنفال - آل عمران) .
- (٢) اذا تأملنا ما أورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الاسماء وجدناها نصف أسامى حروف المعجم أربعة عشر وهى : الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم .
- ثم اذا نظرنا فى هذه الأربعة عشر وجدناها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ان أن فيها من المهموسة نصفها (الصاد والكاف والهاء والسين والحاء) ومن المجهورة نصفها (الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والنون) ومن الشديدة نصفها (الالف والكاف والطاء والقاف) ومن الرخوة نصفها (اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون) ومن المفتحة نصفها (اللام والالف والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون) ومن المستعلية نصفها (القاف والصاد والطاء) ومن المنخفضة نصفها (الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون) ومن حروف القلقة نصفها (القاف والطاء) .
- ثم اذا استقرينا الكلم وتراكيبها رأينا الحروف التى ألقى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمكثورة منها ، فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته .

(١) علوم القرآن لعدنان زرور ص ١٥٦ .

(٢) الكشف ١٠٣-١٠١/١ .

ولعلنا نلاحظ أن الزمخشري لم يشر الى حروف المصير ولا الذلاقة .

قال القاضى أبو بكر الباقلانى :

"... وعدد السور التى افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة . وجملة ما ذكر من هذه الحروف فى أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا . ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التى ينظمون بها كلامهم " .^(١)

ويشير الزركشى فى معرض حديثه عن فواتح السور وعن ذوات الثلاثة حروف مثل (الم) فالألف اذا بدىء بها أولا كانت همزة وهى أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف وهى أشد الحروف اعتمادا على اللسان والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ، أعنى الحلق واللسان والشفيتين وترتبت فى التنزيل من البداية الى الوسط الى النهاية .

وأیضا فان الهمزة من الرئة فهى أعمق الحروف واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بمصدر الفار الأعلى من الفم ، فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم والميم مطبقة لأن مخرجها من الشفتين اذا أطبقا ويرمز بهن الى باقى الحروف ، كما رمز النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله" الى الاتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما .^(٢)

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر .

(١) اعجاز القرآن للباقلانى ص ٤٤ .

(٢) البرهان ١/١٦٨-١٦٩ .

نلاحظ ذلك فى البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة
(١)
الروم .

وأىضا فان الالف واللام كثرت فى الفواتح دون غيرها من
(٢)
الحروف لكثرتها فى الكلام .

وبالنسبة للسور ذوات الحروف المفردة مثل {ق} والقرآن
(٣)
المجيد { فان السورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر
القرآن والخلق وتكرار القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن
آدم وتلقى الملكين وقول العتيد وذكر الرقيب وذكر السابق
والالقاء فى جهنم ... الى آخر ما هنالك من ذكر للقاف .

وملاحظ آخر يذكره الزركشى وهو أن كل معانى السورة
مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة
(٤)
والانفتاح .

وكذلك سورة {ن والقلم} فان فواصلها كلها على هذا
(٥)
الوزن مع ماتضمنت من اللفاظ النونية .

ومما يقوى رأى القائل بأن الحروف المقطعة للتحدى
والاعجاز أن كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها
الانتمار للقرآن وبيان اعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء
وهو الواقع فى تسع وعشرين سورة وهكذا يقول الله تعالى :
{الم ذلك الكتاب لارىب فيه} ، {الم} ، الله لا اله الا هو
الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ،
{المص} ، كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه } .

-
- (١) البرهان ١/١٦٨ .
(٢) الكشف ١/١٠٣ .
(٣) سورة ق : ١
(٤) البرهان ١/١٦٩ .
(٥) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(١)

{حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم} .

وأخيرا بعد عرضنا لبعض أقوال العلماء فى الحروف المقطعة نرتضى ما ارتضاه ابن فارس فى هذا الشأن حيث يقول :

"وأقرب القول فى ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا : ان أولى الأمور ان تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا فيقال ان الله جل وعز افتتح السور بهذه الحروف ارادة منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة ، لاعلى معنى واحد . فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا للسور وأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله جل ثناؤه ، وأن يكون الله جل ثناؤه قد وضعها هذا الموضع قسما بها وأن كل حرف منها فى آجال قوم وأرزاق آخرين . وهى مع ذلك مأخوذة من صفات الله جل وعز فى انعامه وافضاله ومجده . وأن الافتتاح بها سبب لأن يستمع الى القرآن من لم يكن يستمع وأن فيها اعلاما للعرب أن القرآن الدال على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الاتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم وأن كل عدد منها اذا وقع فى أول سورة فهو اسم لتلك السورة " .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٩/١ .

(٢) الصاحبى ص ١٦٤-١٦٥ .

الفصل الثاني


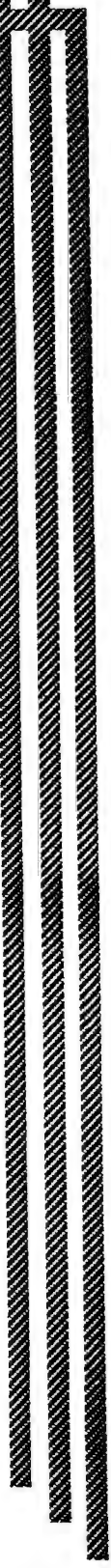
نعوت القرآن الكريم

- أ - معنی النعت:
ب - أسماء القرآن الكريم.

- ١ - قرآن.
- ٢ - فرقان.
- ٣ - كتاب.
- ٤ - ذكر.
- ٥ - تنزيل.
- ٦ - وحي.

ج - نعوت القرآن الكريم

- ١ - كلام الله.
- ٢ - روح.
- ٣ - حق.
- ٤ - صدق.
- ٥ - لا ريب فيه.
- ٦ - فصل.
- ٧ - مهيم.
- ٨ - قيّم.

- 
- 
- ٩ - حكيم
١٠ - بلاغ.
١١ - برهان.
١٢ - بينات.
١٣ - مبارك.
١٤ - كريم.
١٥ - أحسن القصص.
١٦ - أحسن الحديث.
١٧ - صف مطهرة.
١٨ - عليّ .
١٩ - عظيم.
٢٠ - عزيز.
٢١ - عجب.
٢٢ - محفوظ.
٢٣ - محكم ومتشابه.
٢٤ - مثاني.
٢٥ - عربي.

النعوت

نعوت القرآن الكريم

النعوت : هو الوصف كقولنا (عاقل) و(جاهل) ، وذكر عن الخليل أن النعوت لا يكون الا فى محمود وأن الوصف قد يكون فيه (١) وفى غيره .

ومن نعوت القرآن التى نعت بها الكتاب العزيز أنه كلام لله وأنه وحى وروح وحق ولاريب فيه ، وأنه أحسن الحديث وكتاب متشابه ومثان الى غير هذه النعوت التى زخر بها القرآن .

والملاحظ على كثير من علمائنا رحمهم الله أنهم جمعوا بين نعوت القرآن الكريم وأسمائه ، فالفيروز أبادى يتفق فى هذا الأمر مع سلفه الرازى فى تفسيره حين جمع بين النعوت والاسم فى معرض حديثه عن أسماء القرآن الكريم . (٢)

وكذلك من خلفه من العلماء أمثال الزركشى فى برهانه حيث يشير الى أن (الحرالى) أنهى أسماء القرآن الى نيف وتسعين اسما ، وكذلك ذكر أن أبا المعالى عزيزى بن عبد الملك أنهى أسماء القرآن الى خمسة وخمسين اسما . (٣)

ونقل السيوطى فى اتقانه خمسة وخمسين اسما جمع فيها (٤) بين الأسماء والنعوت .

ولعلمهم فى جمعهم بين الأسماء والنعوت يرون رأى من يقول : "والاسم اسمان اسم محض وهو قول دال دلالة الإشارة

(١) صاحبى لابن فارس ص ٩٨ .
(٢) تفسير الرازى ١٤/٢ - ١٨ ، البصائر ٨/١ .
(٣) البرهان فى علوم القرآن ٢٧٣/١ .
(٤) الاتقان فى علوم القرآن ١٤٣/١ .

(١)

واسم صفة وهو قول دال دلالة الافادة " .

فمما دل دلالة اشارة قولنا (فرقان - تنزيل - كتاب - قرآن) . ومما دل دلالة افادة وهو اسم صفة كقولنا عن القرآن الكريم (الهدى - النور - الشفاء - الحق) .
واذا جئنا الى ابن فارس فاننا نراه يقول بشأن الاسماء وكيف تقع على المسميات :

"يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس وتسمى الاشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو (عين الماء) وعين المال و(عين السحاب) .

ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام والذى نقول فى هذا : ان الاسم واحد وهو (السيف) وما بعده من الالتفات صفات" (٢) .

وقد حكى أبو على الفارسي أنه كان بمجلس سيف الدولة بحلب وبحضرته جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له الا اسما واحدا ، وهو السيف . فقال ابن خالويه : فأين المهند والمارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على : هذه صفات (٣) وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .

ونتفق مع ابن فارس فى أن الاسم واحد وهو السيف وماعداه صفات له وبهذا تكون تلك اللفاظ التى زخر بها القرآن الكريم ما هى الا نعوت له ، وأن ما يمكن أن يسمى من تلك اللفاظ الواردة أسماء انما هى : (كتاب - قرآن - فرقان ذكر - تنزيل) فهى كالأعلام لهذا الكتاب الكريم .

(١) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص ١٧ .

(٢) المأخوذ ص ١١٤ .

(٣) حاشية المرجع السابق نفس الصفحة .

أسماء القرآن الكريم

يقول صاحب البصائر فى بدء حديثه عن أسماء القرآن

الكريم :

"اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله فى أمر من الأمور . أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته ، وكثرة أسماء القيامة دلت على شدته وصعوبته ، وكثرة أسماء الداهية دلت على نكايتها . وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته ، وكثرة أسماء النبى صلى الله عليه وسلم دلت على علو رتبته ، وسمو درجته ، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته " .^(١)

وقد افتتحنا دراستنا للنعوت بدراسة أسماء القرآن

الكريم وهى :

(قرآن - فرقان - كتاب - ذكر - تنزيل - وحى) .

ولعلنا نلاحظ أن هذه الأسماء بالاضافة لاسميتها تفيد

معنى النعت .

واذا وقفنا عند أشهر اسم من أسماء الكتاب العزيز وهو

(قرآن) فأننا نرى ابن فارس يشير الى أن قرأ من باب (قرى) .

فالقاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع

واجتماع . من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها .

والمقرأة : الجفنة ، سميت لاجتماع الضيف عليها ، أو لما

جمع فيها من طعام .

ومن الباب القرو وهو كالمعصرة .

والقرو : حوض معروف ممدود عند الحوض العظيم ترده
الابل .

ومن الباب القرو ، وهو كل شئ على طريقة واحدة تقول
رايت القوم على قرو واحد . وقولهم إن القرو : القصد تقول :
قروث وقريت اذا سلكت وهو من الاول كانه يتبعها قرية قرية .
ومن الباب القرى : الظهر ، وسمى قرى لما اجتمع فيه
من العظام .

ويقولون ماقرأت هذه الناقة سلى كانه يراد انها
ماحملت قط .

قالوا : ومنه القرآن ، كانه سمي بذلك لجمعه مافيه من
الاحكام والقصص وغير ذلك .^(١)

واما الراغب فانه يشير فى مادة (ق ر ا) الى أن
القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل
وليس يقال ذلك لكل جمع لايقال قرأت القوم اذا جمعتهم ، وقد
وجه الزركشى كلامه هذا بانه انما اراد فى العرف والاستعمال
لاصل اللغة .

ويضيف الراغب فى هذه المادة ، والقرآن فى الاصل مصدر
نحو كفران ورجحان . قال تعالى : {ان علينا جمعه وقرآنه
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه} .^(٢)

قال ابن عباس : انا جمعناه واشبتناه فى صدرك فاعمل
بـه .

وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
فصار له كالعلم كما ان التوراة لما أنزل على موسى والانجيل

(١) المقاييس مادة (ق ر ي) .

(٢) سورة القيامة : ١٧

(١)
على عيسى صلى الله عليهما وسلم .

قال بعض العلماء :

تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا
لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم . كما أشار اليه
بقوله تعالى : {وتفصيل كل شيء} ، وقوله : {تبينا لكل
شيء} . (٢)
(٣)
(٤)

وقد ورد ذكر القرآن في كتاب الله في ستة وستين موضعا
وذكرت القراءة في مواضع . (٥)

ومن أسماء القرآن الكريم (الفرقان) وأصل هذه المادة
(فرق) كما يشير صاحب المقاييس بأن الفاء والراء والقاف
أصل صحيح يدل على تمييز وترتيل بين شيئين من ذلك الفرق ،
فرق الشعر . يقال فرقه فرقا . والفرق : القطيع من الغنم
والفرق : الفلق من الشيء اذا انفلق . قال تعالى : {فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم} . (٦)

والفرقان : كتاب الله تعالى فرق به بين الحق والباطل
والفرقان : المصحح سمي بذلك لأنه به يُفرق بين الليل والنهار
ويقال لأن الظلمة تتفرق عنه . (٧)

والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين
الحق والباطل وتقديره كتقدير رجل قنعان يقنع به في الحكم
وهو اسم لامصدر كما قيل ، والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره
(٨)

-
- (١) المفردات ص ٤٠٢ .
(٢) المفردات ص ٤٠٢ .
(٣) سورة يوسف : ١١١
(٤) سورة النحل : ٨٩
(٥) البصائر ٤/٢٦٣، ٢٦٦ .
(٦) سورة الشعراء : ٦٣
(٧) المقاييس مادة (ف ر ق) .
(٨) المفردات ص ٣٧٨ .

(١)
 وقوله تعالى : {يوم الفرقان يوم التقى الجمعان} . وسمى
 القرآن الكريم بالفرقان اضافة الى كونه يفرق بين الحق
 والباطل لانه نزل من السماء نجوما متفرقة .
 (٢)
 وقد ورد في القرآن الكريم مايتصرف من هذه المادة على
 وجوه :
 (٣)

فوجه منها : الفرقان : التوراة ، قال تعالى :
 (٤)
 {وان آتينا موسى الكتاب والفرقان} .
 الفرقان بمعنى النصر ، قال تعالى :
 (٥)
 {وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان} .
 (٦)
 ومنها أيضا الفرقان بمعنى المخرج من الضلال . قال
 تعالى :

(٧)
 {ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا}
 ومنها الفريق وهي الجماعة المتفرقة عن آخرين . قال
 تعالى :

(٨)
 {وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون} .
 (٩)
 وبمعنى التفريق ، قال تعالى : {وقرآنا فرقناه} .
 (١٠)
 والفراق والمفارقة تكون بالابدان أكثر ، قال تعالى :
 (١١)
 {هذا فراق بيني وبينك} ، وقوله تعالى : {وظن انه الفراق}
 (١٢)

-
- (١) سورة الانفال : ٤١
 (٢) تفسير الرازي ١٤/٢ .
 (٣) البصائر ١٨٦/٤ .
 (٤) سورة البقرة : ٥٣
 (٥) سورة الانفال : ٤١
 (٦) الوجوه والنظائر في القرآن للدامغانى ص ٣٥٧ .
 (٧) سورة الانفال : ٢٩
 (٨) سورة البقرة : ١٤٦
 (٩) سورة الاسراء : ١٠٦
 (١٠) المفردات ص ٣٧٨ .
 (١١) سورة الكهف : ٧٨
 (١٢) سورة القيامة : ٢٨

والتفرق فى قوله تعالى : {وماتفرق الذين أوتوا الكتاب الا
(١)
من بعد ماجاءتهم البينة} أى تفرقوا فى الايمان به .

ومما ورد فى القرآن الكريم أيضا من تصارييف هذه
(٢)
المادة الفرق بالتحريك وهو الخوف الذى يفرق القلب . قال
(٣)
تعالى : {ولكنهم قوم يفرقون} .

وقد أشار صاحب (مناهل العرفان) الى أن لفظ قرآن ولفظ
فرقان هما أشهر أسماء الكتاب الكريم ، بل ان من المفسرين
من جعلهما مرجع أسمائه جميعها كما ترجع صفات الله على
(٤)
كثرتها الى معنى الجلال والجمال .

كتاب :

من أسماء القرآن الكريم كلمة (كتاب) وسنتتبع هذه
الكلمة فى أصل استعمالها اللغوى وعند بعض المهتمين بهذا
الشان مثل الزركشى فى كتابه البرهان .

المدلول اللغوى لكلمة كتاب :

معناها واشتقاقها :

يقول صاحب المقاييس : كتب : الكاف والتاء والباء أصل
صحيح واحد يدل على جمع شىء الى شىء من ذلك الكتاب
(٥)
والكتابة ، يقال كتبت الكتاب اكتبه كتبا .

والأصل فى الكتابة النظم بالخط لكن يستعار كل واحد
للاخر ولهذا سمي كلام الله وان لم يكتب كتابا ، لقوله تعالى

-
- (١) سورة البينة : ٤
(٢) البصائر ١٨٩/٤ .
(٣) سورة التوبة : ٥٦
(٤) مناهل العرفان للزرقانى ٨/١ .
(٥) المقاييس مادة (كتب) .

{الم ذلك الكتاب} (١) ، وقوله تعالى أيضا : {قال انى عبد الله
(٢)
أتانى الكتاب} .

والكتاب فى الأصل مصدر ثم سمي المكتوب فيه كتابا ،
والكتاب فى الأصل اسم للمحيفة مع المكتوب فيه ، وفى قوله
تعالى : {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من
(٣) (٤)
السماء} ، فانه يعنى صحيفة فيها كتابة ولهذا قال تعالى :
(٥)
{ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس} .

وفى اللسان كتب السقاء والمزادة والقربة ، تكتبه
كتباً : خرزة بسيرين فهى كتيب . وقيل : هو أن ينشد قمة حتى
لايقطر منه شيء . والكتيبة : ما جمع فلم ينتشر ، وقيل : هى
الجماعة المستحيزة من الخيل أى من حيز على حدة . وقيل :
الكتيبة جماعة الخيل اذا أغارت ، من المائة الى الالف .
والكتيبة : الجيش . وفى حديث السقيفة : نحن أنصار الله
(٦)
وكتيبة الاسلام .

ويشير الرازى الى تسمية القرآن بالكتاب لانه كالكتيبة
على عساكر الشبهات ، أو لانه اجتمع فيه جميع العلوم ، أو
لأن الله تعالى ألزم فيه التكليف على الخلق .
(٧)

وممن اتفق معه فى سبب تسميته كتابا لانه اجتمع فيه
جميع العلوم السيوطى حيث يقول : "فأما تسميته كتابا
(٨)
فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه " .

-
- (١) سورة البقرة : ٢
(٢) سورة مريم : ٣٠
(٣) سورة النساء : ١٥٣
(٤) المفردات ص ٤٢٣ .
(٥) سورة الانعام : ٧
(٦) لسان العرب ، مادة (كتب) .
(٧) تفسير الرازى ١٤/٢ .
(٨) الاتقان فى علوم القرآن ١٤٦/١ .

(١)
من وجوه ورود لفظ (الكتاب) فى القرآن :

لو تتبعنا الاستعمال القرآنى للفظ (الكتاب) لوجدنا
أنها جاءت للدلالة على معان كثيرة بميغ متنوعة ، من ذلك
ميغ الفعل على النحو الآتى :

الأول : كتب : بمعنى فرض كما فى قوله تعالى : {كتب
عليكم القتال وهو كره لكم} .
(٢)

الثانى : كتب بمعنى قضى كما فى قوله تعالى : {كتب
الله لأغلبن أنا ورسلى} .
(٣)

الثالث : كتب بمعنى جعل كما فى قوله تعالى :
{فسأكتبها للذين يتقون} .
(٤)

الرابع : كتب بمعنى أمر كقوله تعالى : {ادخلوا الأرض
المقدسة التى كتب الله لكم} .
(٥)
(٦)
ومما جاء بميغ المصدر :

الأول : الكتاب والحكمة بمعنى الحلال والحرام كما فى
قوله تعالى : {ويعلمه الكتاب والحكمة} .
(٧)

الثانى : الكتاب بمعنى الحساب كما جاء فى قوله تعالى
{كل أمة تدعى الى كتابها} .
(٨)

-
- (١) اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن للدامغانى ص ٣٩٩ .
(٢) سورة البقرة : ٢١٦
(٣) سورة المجادلة : ٢١
(٤) سورة الاعراف : ١٥٦
(٥) سورة المائدة : ٢١
(٦) اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن ص ٤٠٠ .
(٧) سورة آل عمران : ٤٨
(٨) سورة الجاشية : ٢٨

- الثالث : الكتاب بمعنى اللوح المحفوظ كما فى قوله
(١)
تعالى : {وعندنا كتاب حفيظ} .
- الرابع : الكتاب بمعنى عدة المراة كما فى قوله تعالى
(٢)
{حتى يبلغ الكتاب أجله} .
- الخامس : الكتاب بمعنى التوراة كما ورد فى قوله
(٣)
تعالى : {لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب} .
- السادس : بمعنى الانجيل : {قل يا اهل الكتاب تعالوا
(٤)
الى كلمة سواء بيننا وبينكم} .
- السابع : بمعنى القرآن الكريم : {ثم أورثنا الكتاب
(٥)
الذين اصطفينا} ، {وهذا كتاب أنزلناه مبارك} .
- الثامن : بمعنى الرزق المعلوم فى العمر والمدة :
(٧)
{وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم} .
- التاسع : بمعنى فريضة الطاعة : {ان الصلاة كانت على
(٨)
المؤمنين كتابا موقوتا} .
- العاشر : بمعنى ديوان الاعمال والافعال المعروض على
(٩)
المطيع والعاصى يوم الجزاء : {ونخرج له يوم القيامة كتابا
(١٠)
يلقاه منشورا . اقرأ كتابك} .

-
- (١) سورة ق : ٤
(٢) سورة البقرة : ٢٣٥
(٣) سورة آل عمران : ٧٨
(٤) سورة آل عمران : ٦٤
(٥) سورة النمل : ٢٩
(٦) سورة الانعام : ١٥٥
(٧) سورة الحجر : ٤
(٨) سورة النساء : ١٠٣
(٩) البصائر ٤/٣٣١، ٣٣٢ .
(١٠) سورة الاسراء : ١٤، ١٣

ولعلنا لاحظنا من خلال متابعتنا لمادة كتب في صيغة
الفعل والمصدر في كتاب الله العزيز أن هذه المعاني جميعها
لاتنفك عن المعنى اللغوي الذي هو معنى الجمع .
وكذلك لفظ "قرآن" الذي سبق دراسة معانيه إنما هو من
(ق ر ي) وهي تفيد الجمع فاللفظان وإن تباينت حروفهما
فمدلولهما اللغوي واحد .

القرآن ذكر

ومن أسماء القرآن لفظ "ذكر" قال تعالى :
(١)
{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} .

المعنى اللغوى (لذكر) :

ذكرت الشيء خلاف نسيته ، ثم حمل عليه الذكر باللسان ويقولون اجعله منك على ذكر بضم الذال ، أى لاتنسه .
(٢)
والذكر : العلا والشرف وهو قياس الأصل . ويقال رجل ذكر
(٣)
والراغب له كلام سديد فى معنى "ذكر" حيث يقول :
"الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن
للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن
الحفظ يقال اعتبارا باحرازه والذكر يقال اعتبارا
باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول ، ولذلك
قيل الذكر ذكران :
ذكر بالقلب وذكر باللسان ، وكل واحد منهما ضربان ذكر
عن نسيان وذكر لاعن نسيان بل عن ادامة الحفظ وكل قول يقال
له ذكر" .

ثم يمثل لأنواع الذكر التى أوردها فمن الذكر باللسان
(٤)
قوله تعالى : {لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم}
(٥)
وقوله تعالى : {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} .

-
- (١) سورة الحجر : ٩
(٢) المقاييس (ذكر) .
(٣) المفردات ص ١٧٩ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٠
(٥) سورة الأنبياء : ٥٠

ومن الذكر عن نسيان قوله تعالى :

(١)
{انى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره} .

ومن الذكر بالقلب واللسان معا قوله تعالى :

(٢)
{فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم}

ومما جاء فى هذه المادة عند ابن منظور أن الذكر :
الكتاب الذى فيه تفصيل الدين ووضع الملل وكل كتاب عن
الانبياء عليهم السلام ذكر ، والذكر الصلاة ، والذكر قراءة
القرآن ، والذكر التسبيح ، والذكر الدعاء ، والذكر الشكر
(٣)
والذكر الطاعة .

وهكذا فان هذه المادة لاتخرج عن هذين الوجهين
اللغويين العروفيين لهذا اللفظ أحدهما الذكر الذى هو نقيض
النسيان ، والثانى الذكر ويراد به الشرف .

وفى هذا المعنى يقول الرازى :

"وفيه وجهان : أحدهما أنه ذكر من الله تعالى ذكر به
عباده فعرفهم تكاليفه وأوامره .

والثانى أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به ، وأنه شرف
(٤)
لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته " .

وقال بعضهم : ذكر الله الذكر فى القرآن على عشرين
(٥)
وجها منها :

(٦)
الذكر بمعنى القرآن {وهذا ذكر مبارك} .

-
- (١) سورة الكهف : ٦٣
(٢) سورة البقرة : ١٩٨
(٣) اللسان (ذكر) .
(٤) تفسير الرازى ١٥/٢ .
(٥) بمأثر ذوى التمييز ١٥-١٣/٣ .
(٦) سورة الانبياء : ٥٠

- الذكر بمعنى اللوح المحفوظ {ولقد كتبنا في الزبور من
(١)
بعد الذكر} .
- (٢)
الذكر بمعنى الخبر {هذا ذكر من معى وذكر من قبلى}
(٣)
الذكر بمعنى صلاة الجمعة {فاسعوا الى ذكر الله}
(٤)
الذكر بمعنى الطاعة والخدمة {فاذكرونى اذكركم}
أى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالجنة .
- (٥)
الذكر بمعنى التوحيد : {ومن أعرض عن ذكرى} ، {ومن
(٦)
يعرض عن ذكر ربه} .

القرآن "ذكرى" :

- المعنى اللغوى "الذكرى" :
- الذكرى بمعنى الذكر ، ويكون بمعنى التذكر فى قوله
(٧)
تعالى : {وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين} .
- والذكر والذكرى بالكسر نقيض النسيان .
(٨)
والذكرى : اسم للتذكرة .
- (٩)
والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر ، قال تعالى :
(١٠)
{رحمة منا وذكرى لأولى الأبواب} .

-
- (١) سورة الانبياء : ١٠٥
(٢) سورة الانبياء : ٢٤
(٣) سورة الجمعة : ٩
(٤) سورة البقرة : ١٥٢
(٥) سورة طه : ١٢٤
(٦) سورة الجن : ١٧
(٧) سورة الذاريات : ٥٥
(٨) اللسان مادة (ذكر) .
(٩) المفردات ص ١٧٩ .
(١٠) سورة ص : ٤٣

وقد ورد لفظ ذكرى مراداً به القرآن في سبعة مواضع

منها قوله تعالى :

- (١) {قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين} .
 (٢) {وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين} .
 (٣) {وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيٍص إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
 (٣) أو ألقى السمع وهو شهيد} .
 (٤) {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين} .

أحوال العباد مع القرآن "الذكرى" :

قال تعالى :

{وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً
 فنقبوا في البلاد هل من محيٍص إن في ذلك لذكرى
 (٥) لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} .
 والناس ثلاثة : رجل قلبه ميت . فذلك الذي لا قلب له ،
 فهذا ليست هذه الآية تذكر في حقه . ورجل حي مستعد ، لكنه
 غير مستمع للآيات المتلوة التي تجزئه عن الآيات المشهورة
 أما لعدم بلوغها له ، أو لوصولها إليه ، ولكن قلبه مشغول
 عنها بغيره . فهو غائب القلب ، ليس حاضراً فهذا أيضاً لا يحصل
 له الذكرى ، مع استعداده ، ووجود قلبه .
 والثالث رجل حي القلب ، مستعد ، تليت عليه الآيات ،

- (١) سورة الأنعام : ٩٠
 (٢) سورة هود : ١٢٠
 (٣) سورة ق : ٣٦ ، ٣٧
 (٤) سورة الذاريات : ٥٥
 (٥) سورة ق : ٣٦

فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه ، ولم يشغله بغيره ،
فهم ما يسمعه ، فهو شاهد القلب ، ملق للسمع . فهذا القسم
هو الذى ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة .

فالاول بمنزلة الاعمى الذى لا يبصر .

والثانى بمنزلة الطامح بصره الى غير جهة المنظور
اليه .

والثالث بمنزلة المبصر الذى فتح بصره الطامح لرؤية
المقصود . واتبعه بصره وقلبه ، على توسط من البعد والقرب
(١)
فهذا هو الذى يراه .

وفى موقع "أو" من قوله تعالى : {أو ألقى السمع} سر
لطيف .

ذلك أن الرجل قد يكون له قلب وقاد ، ملئ باستخراج
العبر واستنباط الحكم . فهذا قلبه يوقعه على التذكر
والاعتبار فاذا سمع الآيات كانت له نورا على نور . وهؤلاء
أكمل خلق الله تعالى وأعظمهم ايمانا ، وبصيرة ، حتى كأن
الذى أخبرهم به الرسول قد كان مشاهدا لهم لكن لم يشعروا
بتفاصيله ، وأنواعه . حتى قيل : ان الصديق رضى الله عنه
كان حاله مع النبى صلى الله عليه وسلم كحال رجلين دخلا
دارا ، فرأى أحدهما تفاصيل مافيها ، وجزئياتها ، والآخر
وقع بصره على مافى الدار ، ولم ير تفاصيله ولا جزئياته ،
لكنه علم أن فيها أمورا عظيمة ، ولم يدرك بصره تفاصيلها ،
ثم خرجا ، فسأله عما رأى فى الدار ، فجعل كلما أخبره بشئ
صدقه ، لما عنده من شواهد .

وهذه أعلى درجات المديقية .

فصاحب هذا القلب اذا سمع الآيات . وفى قلبه نور من
البصيرة ازداد بها نورا الى نوره . فان لم يكن للعبد مثل
هذا القلب فألقى السمع وشهد قلبه ولم يغب ، حصل له التذكر^(١)
أيضا {فان لم يمبها وابل فطل} .^(٢)

تأملات بيانية فى آيات بعض النعوت :

قال تعالى :

{أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان
فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون} .^(٣)

وعن كمال هذه المعجزة يتحدث الرازى فى تفسيره ،
فالقرآن معجزة أتم من كل معجزة تقدمتها لوجوه :
(أحدها) أن تلك المعجزات وجدت ومادامت فان قلب العما
شعبانا ، واحياء الميت لم يبق لنا منه أثر ، فلو لم يكن
واحد يؤمن بكتب الله ويكذب بوجود هذه الاشياء لايمكن
اثباتها معه بدون الكتاب ، وأما القرآن فهو باق لو أنكره
واحد فنقول له فأت بآية من مثله .

(الثانى) هو أن قلب العما شعبانا كان فى مكان واحد
ولم يره من لم يكن فى ذلك المكان ، وأما القرآن فقد وصل
الى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد .

وهنا لطيفة وهى أن آيات النبى صلى الله عليه وسلم
كانت أشياء لا تختص بمكان دون مكان لأن من جملتها انشقاق

(١) البصائر ٢/٣٢١، ٣٢٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٥

(٣) سورة العنكبوت : ٥١

القمر وهو يعم الأرض ، لأن الخسوف اذا وقع عم وذلك لأن نبوته كانت عامة لاتختص بقطر دون آخر ، وغاضت بحيرة ساوة فى قطر وسقط ايوان كسرى فى قطر ، وانهدمت الكنيسة بالروم فى قطر آخر اعلاما بأنه يكون أمر عام .

(الثالث) هو أن غير هذه المعجزة الكافر المعاند يقول
(١) انه سحر عمل بدواء والقرآن لايمكن هذا القول فيه .

وقد استفاض صاحب التحرير والتنوير فى الحديث عن هذه الآية :

فالاستفهام تعجيبى انكارى ، فان كل مقدار من مقادير اعجازه آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان آيات القرآن زهاء ستة آلاف آية ومقدار كل ثلاث آيات مقدار معجز ، فيحصل من القرآن مقدار ألفى معجزة . وذلك لم يكن لاحد من رسل الله تعالى .

ثم عدل عن لفظ القرآن الذى هو كالعلم عليه الى لفظ الكتاب المعهود لايمانه الى معنى تعظيمه بأنه المشتهر من بين كتب الانبياء .

ثم مادلت عليه صيغة المفاعر "يتلى" بن عموم الامكنة والازمنة .

وقد تضمن قوله {يتلى عليهم} ومابعده خمس مزايا للقرآن على غيره من المعجزات .

المزية الاولى :

ماأشار اليه قوله تعالى {يتلى عليهم} من انتشار اعجازه وعمومه فى المجامع والآفاق والازمان المختلفة ، فهو

يتلى ، ومن ضمن تلاوته الآيات التى تحدث الناس بمعارضته
وسجلت عليهم عجزهم عن المعارضة من قبل محاولتهم اياها
فكان كما قال فهو معجزة باقية والمعجزات الأخرى معجزات
زائلة .

المزية الثانية :

كونه مما يتلى ، فان ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى
أحوالا مرئية لأن ادراك المتلو ادراك عقلى فكري وهو أعلى من
المدركات الحسية ، فكانت معجزة القرآن أليق بما يستقبل من
عمور العلم التى تهيات إليها الانسانية .
(١)

المزية الثالثة :

ما أشار إليه قوله تعالى { ان فى ذلك لرحمة } فانها
واردة مورد التعليل للتعجيب من عدم اكتفائهم بالكتاب وفى
التعليل تتميم لما اقتضاه التعبير بالكتاب وبـ { يتلى
عليهم } ، فلاشارة بـ "ذلك" الى "الكتاب" ليستحضر بصفاته
كلها وللتنويه به بما تقتضيه الاشارة من التعظيم وتذكير
"رحمة" للتعظيم ، أى لايقادر قدرها .

فالكتاب المتلو مشتمل على ما هو رحمة لهم فهو يشتمل
على اقامة الشريعة وهى رحمة وصلاح للناس فى دنياهم ،
فالقرآن مع كونه معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه
وسلم ومرشدة الى تصديقه مثل غيره من المعجزات هو أيضا
وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم وبذلك فضل غيره من
المعجزات التى لاتفيد الا تصديق الرسول الآتى بها .

المزية الرابعة :

ما أشار اليه قوله "وذكرى" فان القرآن مشتمل على مواعظ ونذر وتعريف بعواقب الاعمال ، واعداد الى الحياة الثانية ، ونحو ذلك مما هو تذكير بما فى تذكر خير الدارين ، وبذلك فضل غيره من المعجزات الصامتة التى لاتفيد أزيد من كون الآتية على يديه صادقا .

المزية الخامسة :

أن كون القرآن كتابا متلوا مستطاعا ادراك خصائصه لكل عربى ولكل من حذق العربية من غير العرب مثل أئمة العربية يبعده عن مشابهة نفثات السحرة والطلاسم ، فلايستطيع طاعن أن يزعم أنه تخيلات كما قال قوم فرعون لموسى : {ياأيها الساحر} (١) ، وقال تعالى حكاية عن المشركين حين رأوا معجزة انشقاق القمر : {وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر} فدل قوله "يعرضوا" الى أن ذلك القول صدر عنهم فى معجزة مرئية .

وعلق بالرحمة والذكرى قوله تعالى {لقوم يؤمنون} للإشارة الى أن تلك منافع من القرآن زائدة على ما فى المعجزات الأخرى من المنفعة التى هى منفعة الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . (٢)

واستحضار المؤمنين بعنوان "قوم يؤمنون" دون أن يقال للمؤمنين لما فى لفظ قوم من الايماء الى أن الايمان من مقومات قوميتهم ، أى لقوم شعارهم أن يؤمنوا ، أى لقوم

(١) سورة الزخرف : ٤٩

(٢) سورة القمر : ٢

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٦٠١٥/٢١ .

شعارهم النظر والانصاف فاذا قامت لهم دلائل الايمان آمنوا ولم يكابروا ظلما وعلوا ، فالفعل مراد به الحال القريبة من الاستقبال . وفيه تعريض بالذين لم يكتفوا بمعجزته واقترحوا آيات أخرى لانسبة بينه وبينها .^(١)

قال تعالى : { فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى } .^(٢)
لما تكفل الله تعالى بتيسير جميع مصالح الدنيا والآخرة أمر بدعوة الخلق الى الحق لأن كمال حال الانسان في أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه تاما وفوق التمام ، فلما صار محمد صلى الله عليه وسلم تاما بمقتضى قوله { ونيسرك لليسرى }^(٣) أمر بأن يجعل نفسه فوق التمام بمقتضى قوله " فذكر " لأن التذكير يقتضى تكميل الناقصين وهداية الجاهلين ، ومن كان كذلك كان فياضا للكمال ، فكان تاما وفوق التمام .^(٤)

وفى معنى اشتراط النفع وجهان :

أحدهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وماكانوا يزدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقليل له :^(٥)
{ وماأنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد } .

وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير .

الثانى : أن يكون ظاهره شرطا ومعناه دما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٦/٢١ .
(٢) سورة الاعلى : ١٠٠،٩
(٣) سورة الاعلى : ٨
(٤) تفسير الرازى ١٤٣/٣١ .
(٥) سورة ق : ٤٥

(١)

عليهم بالطبع على قلوبهم .

والمنتفعون بالتذكير كما نصت الآية {سيذكر من يخشى} .
والناس في أمر المعاد على ثلاثة أقسام منهم من قطع
بمحنته ، ومنهم المتردد ومنهم الجاحد ، فالقسم الأولان
تكون الخشية حاصلة لهما ، وأما القسم الثالث فلا خشية له
ولا خوف .

والآية تحتمل تفسيرين :

(أحدهما) أنه لما كان الانتفاع بالذكرى مبنيا على
حصول الخشية في القلب وصفات القلوب مما لا اطلاع لأحد عليها
إلا الله سبحانه وجب على الرسول تعميم الدعوة تحميلا
للمقصود .

(الثاني) أن أكثر الخلق متوقفون غير معاندين
والمعاندين فيهم قليل ، فإذا ضم إلى المتوقفين الذين لهم
الغلبة العارفون كانت الغلبة العظيمة لغير المعاندين ثم
أن كثيرا من المعاندين ، إنما يعاندون باللسان وأما ذلك
المعرض فنادر وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير
(٢)
ولذلك وجب تعميم التذكير .

(١) تفسير الكشاف ٢٤٤/٤ .

(٢) تفسير الرازي ١٤٤/٣١ ، ١٤٥ .

القرآن (تذكرة) :

التذكرة : مايتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة
(١)
والأمانة .

(٢)
والتذكر : تذكر ماأنسيته .

والتذكر تفعل من الذكر ، والتذكر قرين الانابة ، قال
(٣)
تعالى : {ومايذكر الا أولو الاباب} .

الفرق بين التذكر والتفكر :

يسوق لنا صاحب البصائر كلام أبى عبد الله الانصارى فى
بيان منزلة التذكر فيقول :

"والتذكر فوق التفكير لان التفكير طلب ، والتذكر وجود
يعنى أن التفكير التماس الغايات من مبادئها وقوله التذكر
وجود ، لانه يكون فيما قد حصل بالتفكر ثم غاب عنه بالنسيان
فاذا تذكره وجده وظفر به .

واختير له بناء الفعل لحصوله بعد مهلة وتدرج
كالتبصر والتفهم .

فمنزلة التذكر من التفكير بمنزلة حصول الشيء المطلوب
بعد التفتيش عليه ، ولهذا كانت آيات الله المتلوة

(١) المفردات ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٢) اللسان مادة (ذكر) .
(٣) سورة آل عمران : ٧

والمشهود ذكرى {وانه لتذكرة للمتقين} فالتبصرة آية البصر والتذكرة آية القلب وفرق بينهما وجعلا لاهل الانابة ، لانه اذا اناب الى الله ابصر مواقع الآيات والعبر فاستدل بها على ماهى آيات له فزال عنه الاعتراض بالانابة والعمى بالتبصرة والغفلة بالتذكر" .^(١)

ونعت القرآن بأنه تذكرة فى سبعة مواضع من كتاب الله

منها :

(١) {طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى} .^(٢)

(٢) {وانه لتذكرة للمتقين} .^(٣)

(٣) {فما لهم عن التذكرة معرضين} .^(٤)

(٤) {ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا} .^(٥)

وبالتأمل فى الآيات الواردة فى نعت القرآن بأنه

"تذكرة" نجد أن لفظ "تذكرة" يعقب بمثل قوله تعالى :
{لمن يخشى} ، وقوله : {للمتقين} وما ذلك الا لبيان
المنتفعين بهذه التذكرة .^(٦)

ثم نجد الآيات الأخرى تتبع بمثل قوله تعالى : {فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا} ، وقوله تعالى : {فمن شاء ذكره} لبيان^(٧)^(٨)

-
- | | |
|-----|-----------------------|
| (١) | البصائر ٣١٩/٢ ، ٣٢٠ . |
| (٢) | سورة طه : ١-٣ |
| (٣) | سورة الحاقة : ٤٨ |
| (٤) | سورة المدثر : ٤٩ |
| (٥) | سورة الانسان : ٢٩ |
| (٦) | سورة طه : ٢ |
| (٧) | سورة الحاقة : ٤٨ |
| (٨) | سورة المزمل : ١٩ |
| (٩) | سورة المدثر : ٥٥ |

(١)

أن نفع ذلك راجع اليه وأنه ممكن من ذلك .

ثم لما أفردت "التذكرة" جاءت فى معرض الاستفهام

(٢)

الانكارى فى قوله تعالى : {فما لهم عن التذكرة معرضين} .

تأملات بيانية فى بعض آيات هذه النعوت :

قال تعالى : {فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر

مستنفرة فرت من قسورة} .

شبههم فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة

وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها ، وفى تشبيههم

بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين وشهادة عليهم بالبله

وقلة العقل ، ولاترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها فى

(٣)

العدو اذا رابها رائب .

والتعبير بالمستنفرة أبلغ من النافرة ، فانها لشدة

نفورها قد استنفرت بعضها بعضا وحضه على النفور ، فان فى

الاستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد ، كأنها

تواصت بالنفور وتواطأت عليه .

ومن قرأها بفتح الفاء : فالمعنى أن القسورة استنفرتها

(٤)

وحملها على النفور ببأسه وشدته .

فهو تشبيه مبتكر لحالة اعراض مخلوط برعب مما تضمنته

قوارع القرآن فاجتمع فى هذه الجملة تمثيلان .

(١) حاشية زاده على البيضاوى ٥٧٧/٤ .

(٢) سورة المدثر : ٤٩

(٣) الكشف ١٨٨/٤ .

(٤) التفسير القيم لابن القيم ص ٥٠٣ .

وايشار لفظ "قسورة" هنا لملاحيته للتشبيهين مع رعاية
(١)
الفاصلة .

(٢)
قال تعالى : {كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره} .
وتأكيد الجملة تعليل لما أفادته "كلا" ببيان علو رتبة
القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة
والسلام له .

والجملة الثانية اعتراض جرى به للترغيب في القرآن
(٣)
والحث على حفظه أو الاتعاظ به .

وقد وصفت هذه التذكرة بأمرين :
(الأول) أنها تذكرة بينة ظاهرة بحيث لو أرادوا فهمها
والاتعاظ بها والعمل بموجبها لقدروا عليها .

(الثاني) أن هذه التذكرة معدة في هذه الصحف المكرمة
(٤)
والمراد من ذلك تعظيم حال القرآن والتنويه بذكره .
وتذكير (تذكرة) للتعظيم .

وفى قوله {فمن شاء ذكره} أيضا انذار للناس بأن
التذكر بالقرآن يحصل اذا شاءوا التذكر به ، والمشينة
تستدعى التأمل فيما يخلصهم من المؤاخذة على التقصير وهم
(٥)
لاعذر لهم في اهمال ذلك .

-
- (١) تفسير التحرير والتنوير ٣٣٠/٢٩ .
(٢) سورة عبس : ١١
(٣) روح المعاني ٥٣/٣٠ .
(٤) تفسير الرازي ٥٨/٣١ .
(٥) التحرير والتنوير ٣٢/٢٩ .

التنزيل

(التنزيل) هو اسم من أسماء القرآن الكريم ودلالته اللغوية هي :

النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه ونزل عن دابته نزولا ، ونزل المطر من السماء نزولا ، ونزال كلمة توضع موضع أنزل ومكان نزل : ينزل فيه كثيرا .
(١)
والتنزيل : ترتيب الشيء ووضعه منزله .

وفى مفردات الراغب ، الانزال هو افعال من النزول ، وهو فى الاصل انحطاط من علو . يقال نزل عن دابته وأنزل الله نعمه على الخلق أعطاها اياهم .

وذلك اما بانزال الشيء نفسه كانزال القرآن واما بانزال أسبابه والهداية اليه كانزال الحديد واللباس .
(٢)

الفرق بين الانزال والتنزيل فى وصف القرآن والملائكة :

أن التنزيل يختص بالموضع الذى يشير الى انزاله متفرقا ومرة بعد أخرى .

(٣)
والانزال عام {لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة} وانما ذكر فى الاول نزل وفى الثانى (أنزل) تنبيها على أن المنافقين يقترحون أن ينزل شيء فشيء من الحث على القتال ليتولوه ، واذا أمروا بذلك دفعة واحدة تحاشوا عنه فلم يفعلوه فهم يقترحون الكثير ولايفون منه بالقليل .

(١) المقاييس مادة (ن ز ل) .
(٢) المفردات ص ٤٨٨ .
(٣) سورة محمد : ٢٠

(١)
وفى قوله تعالى : {انا أنزلناه فى ليلة القدر} انما
خص بلفظ الانزال لأن القرآن نزل دفعة الى السماء الدنيا ثم
نزل نجما نجما .

(٢)
وقوله تعالى : {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل} دون
نزلنا تنبيها على أننا لو حولناه تارة واحدة ما حولناكم
مرارا اذا لرايته خاشعا .
(٣)

والتنزل : النزول قال تعالى : {تنزل الملائكة والروح
فيها} .
(٤)

اختصاص التعبير بالتنزل : ولا يقال فى المفترى والكذب
وماكان من الشياطين الا التنزل .
(٥)

(٦)
قال تعالى : {وماتنزلت به الشياطين} .
وقد ورد الانزال فى القرآن الكريم على خمسة عشر وجها
(٧)
يجمع بينها صفة الهبوط من علو منها :

انزال الوحي والقرآن لالزام الحجة {انا أنزلناه فى
ليلة القدر} .
(٨)

انزال السكينة لتحقيق العون والنصرة ، قال تعالى :
(٩)
{ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين} .

انزال الملائكة المقربين فى بدر للتقوى ، قال تعالى :
(١٠)
{ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} .

-
- (١) سورة القدر : ١
(٢) سورة الحشر : ٢١
(٣) المفردات ص ٤٨٩ .
(٤) سورة القدر : ٤
(٥) المفردات ص ٤٨٩ .
(٦) سورة الشعراء : ٢١٠
(٧) البصائر ٢/ ٥١٠٥٠ .
(٨) سورة القدر : ١
(٩) سورة التوبة : ٢٦
(١٠) سورة آل عمران : ١٢٤

انزال العذاب والبلوى على سبيل اللعنة {فأنزلنا على
(١)
الذين ظلموا رجزا من السماء} .

انزال النحاس على أهل الحرب لتأمين الصحابة ، قال
(٢)
تعالى : {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا} .

انزال ميزان العدل ، لأجل الانصاف والأمانة : {وأنزلنا
(٣)
معهم الكتاب والميزان} .

انزال المائدة للامتحان والمعجزة {ربنا أنزل علينا
(٤)
مائدة من السماء} .

وهكذا فان وجوه ورود (الانزال) فى القرآن لاتخرج عن
دلالة اللفظ اللغوية الدالة على انزال الشئ نفسه كانزال
القرآن واما بانزال أسبابه والهداية اليه كانزال الحديد
واللباس .

ثم مطابقة التسمية للمسمى من كل الوجوه فبالإضافة الى
معنى النزول الذى هو الأساس فان لفظ (التنزيل) هو ترتيب
الشئ ووضع منزله وهذه خصيصة من خصائص الكتاب الحكيم ،
ثم ان الصيغة التى جاء عليها هذا الاسم تفيد التدرج وهو
ماكان من أمر نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم على
مدار ثلاث وعشرين سنة .

-
- | | | |
|-----|-----------------|-----|
| (١) | سورة البقرة : | ٥٩ |
| (٢) | سورة آل عمران : | ١٥٤ |
| (٣) | سورة الحديد : | ٢٥ |
| (٤) | سورة المائدة : | ١١٤ |

القرآن الكريم وحى

المعنى اللغوى (لوحى) :

الواو والحاء والحرف المعتل : أصل يدل على القاء علم
فى اخفاء أو غيره الى غيره .
فالوحى : الاشارة . والوحى : الكتاب والرسالة . وكل
ما ألقيته الى غيرك حتى فهو وحى كيف كان . أوحى الله تعالى
ووحى : قال العجاج :

وحى لها القرار فاستقرت

وكل ما فى باب الوحى فراجع الى هذا الأصل المذكور .
(١)
والوحى : السريع ، والوحى : الموت .
وعند الراغب :

وحى : أصل الوحى الاشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل
أمر وحى وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد
يكون بموت مجرد عن التركيب وباشارة ببعض الجوارح ،
وبالكتابة ، وقد حمل على ذلك قوله تعالى : {فخرج على قومه
من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوه بكرة وعشيا} فقد قيل رمز
(٢)
وقيل أشار وقيل كتب ، وعلى هذه الوجوه حمل قوله تعالى :

{وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي
(٣)
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا} .
(٤)

(٥)
وقوله تعالى : {وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم}

-
- (١) المقاييس (و ح ي) .
(٢) سورة مريم : ١١
(٣) فى المفردات "اعتبار" وقد صححها محقق البصائر
بالمذكور ١٨٠/٥ .
(٤) سورة الانعام : ١٢
(٥) سورة الانعام : ١٢١

فذلك بالوسواس المشار اليه بقوله : {من شر الوسواس
(١)
الخناس} .

(٢)
وبقوله صلى الله عليه وسلم : " ان للشيطان لمة " .
ويقال للكلمة الالهية التى تلقى الى انبيائه وأوليائه
(٣)
وحى .

أضرب الوحي :

- (١) برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه
(٤)
السلام للنبي فى صورة معينة .
- (٢) سماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما
بالقاء فى الروع كما ذكر عليه الصلاة والسلام : " ان
(٥)
روح القدس نفث فى روعى " .
- (٦)
(٣) واما بالهام نحو : {وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه} .
(٧)
واما بتسخير نحو قوله : {وأوحى ربك الى النحل} .
- أو بمنام كما قال عليه الصلاة والسلام : " انقطع الوحي
(٨)
وبقيت المبشرات " .
- وذلك كله مصداقا لقوله تعالى :

-
- (١) سورة النام : ٤
(٢) سنن الجامع الصحيح للترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب
تفسير سورة البقرة ٢١٩/٥ .
(٣) المقدرات ص ٥١٥ .
(٤) المصدر السابق ص ١١٦، ١١٥ .
(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الألبانى
٢٠٩/٢ .
(٦) سورة القصص : ٧
(٧) سورة النحل : ٦٨
(٨) سنن الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب الرؤيا ، باب ذهبت
النبوة وبقيت المبشرات ٥٣٣/٤ .

{وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب
(١)
أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء} .
فاللهام والتسخير والمنام دل عليه قوله تعالى : {الا
وحيا} .
وسماع الكلام من غير معاينة دل عليه {من وراء حجاب} .
وتبليغ جبريل عليه السلام فى صورة معينة دل عليه قوله
{أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء} .

القرآن "وحى" :

ورد لفظ (الوحى) مرادا به القرآن فى ثلاثة وأربعين
موضعا منها قوله تعالى :
(١) {اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن
(٢)
المشركين} .
(٢) {وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما
اتبع ما يوحى الى من ربي هذا بمآثر من ربكم وهدى
(٣)
ورحمة لقوم يؤمنون} .
(٤)
(٣) {ان يوحى الا أنا أنا نذير مبين} .
الرسول صلى الله عليه وسلم والوحى :

اصطفى الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم لوحيه
وذلك عن طريق أمين الوحى جبريل عليه السلام ، ووحى القرآن
كله تم بهذه الطريقة دون غيرها من أنواع الوحى ، قال
تعالى : {نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين
(٥)
بلسان عربى مبين} .

-
- | | |
|-----|--------------------|
| (١) | سورة الشورى : ٥١ |
| (٢) | سورة الأنعام : ١٠٦ |
| (٣) | سورة الأعراف : ٢٠٣ |
| (٤) | سورة ص : ٧٠ |
| (٥) | سورة الشعراء : ١٩٣ |

نَعَوَاتُ الْقُرْآنِ لِلْقُرْآنِ

الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ

ورود هذا اللفظ في القرآن :

ورد لفظ "الكلام" ومشتقاته في القرآن الكريم خمساً وسبعين مرة ولمعان مختلفة منها :

كلمات بمعنى مناسك كما في قوله تعالى : {واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن} .
(١)

كلمات الله عجائب صنعه قال تعالى : {قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي} .
(٢)

كلمات الله دينه كما في قوله تعالى : {لا مبدل لكلماته} .
(٣)

كلمات الله القرآن كما في قوله تعالى : {فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته} .
(٤)

كلمة الله عيسى عليه السلام كما في قوله تعالى : {وكلمته ألقاها إلى مريم} .
(٥)

كلام الله المراد به القرآن كما في قوله تعالى : {وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} .
(٦)

(١)	سورة البقرة :	١٢٤
(٢)	سورة الكهف :	١٠٩
(٣)	سورة الكهف :	٢٧
(٤)	سورة الأعراف :	١٥٨
(٥)	سورة النساء :	١٧١
(٦)	سورة التوبة :	٦

والمراد به التوراة كما فى قوله تعالى : {وقد كان
(١)
فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه} .
وتكليم الله لعباده على ضربين :
أحدهما فى الدنيا ، والثانى فى الآخرة .
فأما الاول : فقد بينه الله بقوله : {وما كان لبشر أن
يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى
بأذنه ما يشاء} .
وأما الثانى : فهو شواهد للمؤمنين وكرامة لهم وقد نبه
القرآن الكريم الى أن ذلك حرام على الكافرين .
وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر بقوله
تعالى :

{انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر
ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر . فقال
ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر .
(٢)
سأصليه سقرا} .

القرآن كلام الله تعالى :

نعت الحق تعالى كتابه الكريم بأنه كلامه فى ثلاثة
مواضع من كتابه : قال تعالى :
{فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن
(٣)
بالله وكلماته} .

(١) سورة البقرة : ٧٥
(٢) سورة المدثر : ١٨-٢٦
(٣) سورة الاعراف : ١٥٨

{وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع
(١)
كلام الله} .

(٢)
{واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته} .
(٣)
{ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته} .

وهذا النعت اشتهر حتى أصبح اسما من أسماء القرآن
كالفرقان ، والكتاب والقرآن والتنزيل ، فاذا قلنا كلام
الله انصرفنا اذهاننا الى القرآن الكريم مع أن غيره من
الكتب نعتت بأنها كلام الله كالتوراة ، قال تعالى :
(٤)
{انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى} .

قال تعالى :

{وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع
(٥)
كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون}

الدلالات اللغوية للإلفاظ :

استجارك :

استجاره : سأل أن يجيره ، ويقال للذى يستجير بك :
جار وللذى يجير : جار . والجار : الذى أجرته من أن يظلمه
ظالم والجار والمجير والمُعِيذ واحد . ومن عاد بالله أى
استجار به أجاره الله ، ومن أجاره الله لم يوصل اليه ،
وهو سبحانه وتعالى يجير ولايجار عليه أى يعيذ . وقال الله

-
- (١) سورة التوبة : ٦
(٢) سورة الكهف : ٢٧
(٣) سورة الشورى : ٢٤
(٤) سورة الاعراف : ١٤٤
(٥) سورة التوبة : ٦

تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : {قل انى لن يجيرنى من
(١) الله أحد} أى لن يمنعنى من الله أحد .
(٢)

كلام :

الكلمُ التأثير المدرك باحدى الحاستين ، فالكلام مدرك
بحاسة السمع والكلم بحاسة البصر ، وكَلَمته جرحته جراحة بان
تأثيرها ولاجتماعهما فى ذلك قال الشاعر :

* والكَلِم الاصيل كَأَرْعَبِ الكَلَم *

فالكلم الاول جمع كلمة ، والثانى جراحات والارعب الأوسع
فالكلام يقع على اللفاظ المنظومة وعلى المعانى التى تحتها
مجموعة ، وعند النحويين يقع على الجزء منه اسما كان أو
فعلا أو أداة . وعند كثير من المتكلمين لا يقع الا على الجملة
المركبة المفيدة وهو أخص من القول ، فان القول يقع عندهم
على المفردات ، والكلمة تقع عندهم على كل واحد من الانواع
(٣) الثلاثة ، وقد قيل بخلاف ذلك . قال تعالى : {كبرت كلمة تخرج
(٤) من أفواههم} .

والقرآن : كلام الله وكَلِم الله وكلماته وكلمته ، وكلام
الله لا يُحد ولا يُعد .

(٥) وفى الحديث : "أعوذ بكلمات الله التامات" ، قيل : هى
القرآن ، قال ابن الأثير : انما وصف كلامه بالتمام لانه
لايجوز أن يكون فى شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون فى كلام

-
- (١) سورة الجن : ٢٢
(٢) اللسان (جور) .
(٣) المفردات ص ٤٣٩ .
(٤) سورة الكهف : ٥
(٥) سنن أبى داود ، كتاب الطب ، باب كيف الرقى ؟ ١٣/٤
بلفظ "أعوذ بكلمات الله التامة" .

الناس ، وقيل معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوز بها وتحفظه من الآفات وتكفيه .

وقيل الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة ، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه ، وهو الجزء من الجملة .
ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول اجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله .

وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه ، فعبر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتا تامة مفيدة .

والكلام : اسم جنس يقع على القليل والكثير ، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة مثل نَبِيَّة ونَبِي ، ولهذا قال سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ، ولم يقل ما الكلام لأنه أراد نفس ثلاثة أشياء : الاسم والفعل والحرف فجاء بما لا يكون إلا جمعا وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة .^(١)

تأملات بيانية في قوله تعالى :

{وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون}^(٢)
في هذه الآية الكريمة يوضح الحق تعالى لنا أن الكافر إذا جاء طالبا للحجة والدليل ، أو جاء طالبا لاستماع القرآن ، فإنه يجب أماله ويحرم قتله ويجب إيصاله إلى

(١) اللسان (كلم) .
(٢) سورة التوبة : ٦

مأمنه ، وهذا يدل على أن المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد ، ويدل أيضا على أن النظر في دين الله أعلى المقامات وأعلى الدرجات ، فإن الكافر الذى صار دمه مهدرا لما أظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الإهدار ، ووجب على الرسول أن يبلغه مأمنه ^(١) .

وصيغ الكلام بطريقة الشرط لتأكيد حكم الجواب ، وللاشارة الى أن الشأن أن تقع الرغبة فى الجوار من جانب المشركين .

وجىء بحرف (إِنَّ) التى شأنها أن يكون شرطها نادر الوقوع للتنبيه على أن هذه شرط فرضى لكىلا يزعم المشركون أنهم لم يتمكنوا من لقاء النبى صلى الله عليه وسلم فيتخذوه عذرا للاستمرار على الشرك اذا غزاهم المسلمون .

وجىء بلفظ (أحد من المشركين) دون لفظ مشرك للتنميص على عموم الجنس لأن النكرة فى سياق الشرط مثلها فى سياق النفى - اذا لم تبين على الفتح احتملت عموم الجنس واحتملت بعض الافراد ، فكان ذكر (أحد) فى سياق الشرط تنميما على العموم بمنزلة البناء على الفتح فى سياق النفى بلا .

وتقديم (أحد) على (استجارك) للاهتمام بالمسند اليه ، ليكون أول ما يقرع السمع فيقع المسند بعد ذلك من السامع ^(٢) موقع التمكن .

وساغ الابتداء بالنكرة لأن المراد النوع ، أو لأن الشرط بمنزلة النفى فى افادة العموم ، ولأمانع من دخول حرف الشرط

(١) تفسير الرازى ٢٢٧/١٥ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١١٨، ١١٧/١٠ .

على المبتدأ لأن وقوع الخبر فعلا مقنع لحرف الشرط في اقتضائه الجملة الفعلية ، فيعلم أن الفاعل مقدم من تأخير لغرض ما .

ولعل المقصود من التضمين على افادة العموم ، ومن تقديم (أحد من المشركين) على الفعل ، تأكيد بذل الأمان لمن يسأله من المشركين اذا كان للقاءه للنبي صلى الله عليه وسلم ودخوله بلاد الاسلام مصلحة ، ولو كان أحد من القبائل التي خانت العهد ، لئلا تحمل خيانتهم المسلمين على أن يخونوهم أو يغدروا بهم .

والاستجارة : طلب الجوار وهو الكون بالقرب ، وقد استعمل مجازا شائعا في الأمن ، لأن المرء لا يستقر بمكان الا اذا كان آمنا ، فمن ثم سموا المؤمن جارا ، والحليف جارا ، والمعنى وان أحد من المشركين استأمنك فأمنه .

ولم يبين سبب الاستجارة ، لأن ذلك مختلف الغرض وهو موكل الى مقاصد العقلاء فانه لا يستجير أحد الا لغرض صحيح . ولما كانت اقامة المشرك المستجير عند النبي صلى الله عليه وسلم لاتخلو من عرض الاسلام عليه واسماعه القرآن سواء كانت استجارته لذلك أم لغرض آخر لما هو معروف من شأن النبي صلى الله عليه وسلم من الحرص على هدى الناس ، جعل سماع هذا المستجير القرآن غاية لاقامته الوقتية عند الرسول صلى الله عليه وسلم .

وحرف ثم هنا للتراخي الرتبى اهتماما بإبلاغه بأمنه . والمؤمن مكان الأمن ، وهو المكان الذي يجد فيه المستجير أمنة السابق وذلك هو دار قومه حيث لا يستطيع أحد

أن يناله بسوء . وقد أضيف المأمن الى ضمير المشرك للاشارة الى أنه مكان الأمن الخاص به ، فيعلم أنه مقره الاصلى ، بخلاف دار الجوار فانها مأمن عارض لا يضاف الى المآثر .^(١)

وجملة (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) فى موضع التعليل لتأكيد الأمر بالوفاء لهم بالاجارة الى أن يصلوا ديارهم ، فلذلك فصلت عن الجملة التى قبلها ، أى : أمرنا بذلك بسبب أنهم قوم لا يعلمون ، فالاشارة الى مضمون جملة (فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) أى لاتؤاخذهم فى مدة استجارتهم بما سبق من أذاهم لأنهم قوم لا يعلمون ما يحتوى عليه القرآن من الارشاد والهدى فكان اسم الاشارة أصلح طرق التعريف فى هذا المقام ، جمعا للمعانى المقصودة وأوجزه . وفى الكلام تنويه بمعالى أخلاق المسلمين وغض من أخلاق أهل الشرك وأن سبب ذلك الغض الاشراك الذى يفسد الأخلاق ، ولذلك جعلوا قوما لا يعلمون دون أن يقال بأنهم لا يعلمون للاشارة الى أن نفى العلم مطرد فيهم ، فيشير الى أن سبب اطراده فيهم هو نشأته عن الفكرة الجامعة لاشتاتهم ، وهى عقيدة الاشراك .

والعلم فى كلام العرب ، بمعنى العقل وأصالة الراى ، وأن عقيدة الشرك مضادة لذلك ، أى كيف يعبد ذو الراى حجرا صنعته وهو يعلم أنه لا يغنى عنه .^(٢)

(١) تفسير التحرير والتنوير ١١٨/١٠ - ١٢٠ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٢٠/١٠ .

القرآن روح

دلالة لفظ "روح" لغويا :

الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد ، يدل على سعة
وفسحة واطراد .

وأصل ذلك كله الريح . وأصل الياء فى الريح الواو ،
وانما قلبت ياء لكسرة ما قبلها . فالروح روح الانسان ،
وانما هو مشتق من الريح ، وكذلك الباب كله .^(١)

وفى البصائر الروح بالضم مابه حياة الانفس يذكر^(٢)
ويؤنث .

وجعل اسما للجزء الذى به تحمل الحياة والتحرك
واستجلاب المنافع واستدفاع المضار وهو المذكور فى قوله
تعالى : {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي} ، وقوله^(٣)
{ونفخت فيه من روحي} ، وأضافته الى نفسه اضافة ملك^(٤)
وتخصيصه بالاضافة تشريفا له وتعظيما كقوله تعالى : {وطهر^(٥)
بيتي} .

وقوله عز وجل : {يلقى الروح من أمره على من يشاء من^(٦)
عباده} ، وقوله : { ينزل الملائكة بالروح من أمره } قال أبو^(٧)
العباس : هذا كله معناه الوحي سمي روحا لانه حياة من موت

-
- | | |
|-----------------------|-----|
| (١) المقاييس (روح) . | (١) |
| (٢) البصائر ١٠٣/٣ . | (٢) |
| (٣) سورة الاسراء : ٨٥ | (٣) |
| (٤) سورة الحجر : ٢٩ | (٤) |
| (٥) سورة الحج : ٢٦ | (٥) |
| (٦) سورة غافر : ١٥ | (٦) |
| (٧) سورة النحل : ٢ | (٧) |

الكفر ، فصار بحياته للناس كالروح الذى يحيا به جسد
(١)
الانسان .

الفرق بين الحياة والروح :

أن الروح من قرائن الحياة ، والحياة عرض والروح جسم
رقيق من جنس الريح ، وقيل هو جسم رقيق حساس ، والريح
والريح فى العربية من أصل واحد ولهذا يستعمل فيه النفخ
فيقال نفخ فيه الروح . وسمى جبريل عليه السلام روحا لأن
الناس ينتفعون به فى دينهم كانتفاعهم بالروح ، ولهذا
(٢)
المعنى سمى القرآن روحا .

(٣)
معانى ورود هذه المادة فى القرآن الكريم :

- والروح فى القرآن ورد على سبعة أوجه :
- (٤)
الأول : بمعنى الرحمة : {وأيدهم بروح منه } .
- الثانى : بمعنى الملك الذى يكون ازاء جميع الخلق يوم
القيامة : {يوم يقوم الروح والملائكة صفا } .
(٥)
- وأشار الراغب الى أن المقصود بالروح هنا أشراف
(٦)
الملائكة .
- (٧)
الثالث : بمعنى جبريل {نزل به الروح الأمين} .

-
- (١) لسان العرب (روح) .
(٢) الفروق اللغوية ص ٨٢، ٨٣ .
(٣) البصائر ١٠٥/٣ .
(٤) سورة المجادلة : ٢٢
(٥) سورة النبأ : ٣٨
(٦) المفردات ص ٢٠٥ .
(٧) سورة الشعراء : ١٩٣

الرابع : بمعنى الوحي والقرآن {وكذلك أوحينا إليك
(١) روحا من أمرنا} .

(٢)
الخامس : بمعنى عيسى {وروح منه} .

السادس : فى شأن آدم عليه السلام واختصاصه بفضله قال
(٣) تعالى : {ونفخت فيه من روحي} .

السابع : بمعنى اللطيفة التى فيها مدد الحياة ، قال
(٤) تعالى : {ويسألونك عن الروح} .

القرآن روح :

ورد لفظ "روح" فى واحد وعشرين موضعا منها قوله تعالى
{ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده} ،
(٥)
وقوله تعالى : {قل نزله روح القدس} ، وقوله : {أولئك كتب
(٦)
فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه} .
(٧)

وخص القرآن بنعته بالروح فى موضع واحد هو :
(٨)
{وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} .

(٩)
وذلك لكون القرآن سببا للحياة الآخروية الموصوفة كما
(١٠)
فى قوله تعالى : {وان الدار الآخرة لهى الحيوان} .

وكان مالك بن دينار يقول : يا أهل القرآن ، ماذا زرع
القرآن فى قلوبكم فان القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث

(١)	سورة الشورى : ٥٢
(٢)	سورة النساء : ١٧١
(٣)	سورة الحجر : ٢٩
(٤)	سورة الاسراء : ٨٥
(٥)	سورة النحل : ٢
(٦)	سورة النحل : ١٠٢
(٧)	سورة المجادلة : ٢٢
(٨)	سورة الشورى : ٥٢
(٩)	مفردات الراغب ص ٢٠٥ .
(١٠)	سورة العنكبوت : ٦٤

(١)
ربيع الأرض .

وصدق رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال :
(٢)
" ان الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب " .

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم
صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض ألا الى
(٣)
الله تمير الأمور} .

كذلك أوحينا اليك كما أوحينا الى غيرك من الرسل
والمقصود به التشبيه بهم فى مطلق الايحاء والارسال ، لانه
صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام والرؤية . بخلاف باقى
الانبياء فهو من تشبيه الاكمل بالكامل بسابقة الكامل فى
الوجود فالحصر المتقدم فى قوله تعالى :

{ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء
حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه على
(٤)
حكيم} .

بالنسبة للانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم
فلا يقال ان الآية تدل على أن الوحي منحصر فى هذه الثلاثة
ولايشتمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم .

-
- (١) تفسير القرطبي ٥٥/١٦ .
(٢) سنن الترمذى لأبى عيسى تحقيق ابراهيم عطوة عوض ،
كتاب فضائل القرآن ، باب شواب القرآن ١٧٧/٥ .
(٣) سورة الشورى : ٥٣، ٥٢
(٤) سورة الشورى : ٥١

وقوله تعالى : {روحاً من أمرنا} فقد شبه القرآن بالروح من حيث ان كلا به الحياة فالقرآن به حياة الأرواح ، والروح بها حياة الأشباح .

وسمى نوراً فى قوله : {ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا} لأن بالنور الاهتداء فى الظلمات الحسية فكذا القرآن يهتدى به فى الظلمات المعنوية والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله تعالى من نشاء ، وقوله {وانك لتهدى} أى تدل والمفعول محذوف تقديره كل مكلف فتحصل أن المعنى أنت يا محمد عليك البلاغ والدلالة واقامة الحج ونحن نخلق الهداية والتوفيق فى قلب من نختاره من عبادنا .

وسمى الاسلام طريقاً لأنه يحصل به الوصول الى المقصود كالطريق الحسى وأتى بأداة الاستفتاح للاهتمام بما بعدها ، والجار والمجرور متعلق بتصوير قدم للحصر وأتى بهذه الجملة عقب التى قبلها اشارة الى أن كل شئ من الله والى الله ، فأفاد بالجملة الاولى أن جميع مافى السموات ومافى الأرض مملوك له وناشئ منه ، وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الاشياء مرجعها اليه فى كل ذرة ولمحة فلاغنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام والمعنى شأنه رجوع الامور اليه تعالى وليس المراد حقيقته لأن الامور متعلقة به فى كل وقت ، فاذا علمت ذلك فكل شئ لا يستغنى عن الله تعالى طريقة عين فاذا شاهد الانسان ذلك أورثه مراقبة الله رؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها الى مالها وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .^(١)

(١) تفسير الماوى على الجلالين ٣٩، ٣٨/٤ .

القرآن الكريم "حق"

دلالة لفظ الحق اللغوية :

حق : الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على احكام الشيء وصحته .

فالحق نقيض الباطل ، ثم يرجع كل فرع اليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق . ويقال حق الشيء وجب .
(١)
ويقال ثوب محقق اذا كان محكم النسج .
(٢)
وعند الراغب أصل الحق المطابقة والموافقة .

إطلاقات لفظ "الحق" :

والحق يقال على أربعة أوجه :

الأول : يقال لموجد الشيء بحسب ماتقتضيه الحكمة .
ولذلك قيل في الله تعالى : هو الحق ، قال تعالى : {ثم ردوا الى الله مولاهم الحق} .
(٣)

الثاني : يقال للموجد بحسب ماتقتضيه الحكمة . ولذلك يقال : فعل الله تعالى كله حق ، نحو قولنا : الموت حق ، والبعث حق {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا} الى قوله {ماخلق الله ذلك الا بالحق} .
(٤)

الثالث : الاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه ، كقولنا : اعتقاد فلان في البعث والشواب

(١) المقاييس مادة (حق) .
(٢) مفردات الراغب ص ١٢٥ .
(٣) سورة الانعام : ٦٢
(٤) سورة يونس : ٥

والعقاب والجنة والنار حق .

الرابع : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب ، وبقدر ما يجب وفي الوقت الذى يجب ، كقولنا : فعلك حق ، وقولك حق وقوله تعالى : {ولو اتبع الحق أهواءهم} يصح أن يكون المراد به الله تعالى ، ويصح أن يراد به الحكم الذى هو بحسب مقتضى الحكمة . ويقال : أحققت كذا أى اثبتته حقاً ، أو حكمت بكونه حقاً . وقوله تعالى : {ليحق الحق} فاحقاق الحق على ضربين : أحدهما باظهار الأدلة والآيات كما قال تعالى : {وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً} أى حجة قوية . والثانى باكمال الشريعة وببثها كقوله تعالى : {والله متم نوره ولو كره الكافرون} .

ونلاحظ أن الذى يتفق ومضمون القرآن الكريم هو الوجه الثانى من هذه الاطلاقات وهو الموجد بحسب ما تقتضيه الحكمة .

من معانى الحق الواردة فى القرآن :

- (١) الحق يعنى القرآن كقوله تعالى فى سورة (ق) :
{بل كذبوا بالحق لما جاءهم} .
- (٢) الحق يعنى الاسلام ، كقوله فى سورة الاسراء :
{وقل جاء الحق وزهق الباطل} .
- (٣) الحق العدل كقوله تعالى فى سورة النور :

-
- (١) سورة المؤمنون : ٧١
 - (٢) سورة الانفال : ٨
 - (٣) سورة النساء : ٩١
 - (٤) مفردات الراغب ص ١٢٥ .
 - (٥) سورة الصف : ٨
 - (٦) سورة ق : ٥
 - (٧) سورة الاسراء : ٨١

- (١)
{يومئذ يوفيه الله دينهم الحق} أى حسابهم العدل .
وقوله أيضا : {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
(٢)
وأنت خير الفاتحين} .
(٤) الحق يعنى الصدق كقوله تعالى :
(٣)
{ألا ان وعد الله حق} .
(٥) الحق الحظ . كما فى قوله تعالى :
(٤)
{والذين فى أموالهم حق معلوم} .
(٥)
(٦) الحق الحاجة كما فى قوله تعالى فى سورة هود اخبارا
عن قوم لوط :
(٦)
{قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق} .

أحوال مجيء لفظ "الحق" فى القرآن :

- يأتى لفظ الحق معرفا :
(٧)
{انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا} .
ولا يخلو هذا التعريف من مغزى بلاغى كما فى قوله تعالى
{فلاتك فى مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس
(٨)
لا يؤمنون} .
وتعريف (الحق) لافادة قصر جنس الحق على القرآن وهو
قصر مبالغة لكمال جنس الحق فيه حتى كأنه لا يوجد حق غيره

-
- (١) سورة النور : ٢٥
(٢) سورة الاعراف : ٨٩
(٣) سورة يونس : ٥٥
(٤) سورة المعارج : ٢٤
(٥) اصلاح الوجوه والنظائر ص ١٣٩-١٤١ .
(٦) سورة هود : ٧٩
(٧) سورة البقرة : ١١٩
(٨) سورة هود : ١٧

مثل قولك : حاتم الجواد .

والاستدراك بقوله : {ولكن أكثر الناس لا يؤمنون} ناشئ
على حكم الحصر فإن الحصر يقتضى أن يؤمن به كل من بلغه
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .
وقوله تعالى :

{واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن
بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من
قبل ان كنتم مؤمنين} (١) .

واللام فى الحق للجنس والمقصود اشتهاى المسند اليه
بهذا الجنس أى وهو المشتهى بالحقية المسلم ذلك له على حد
قول حسان :

وان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
لم يرد حسان انحصار العبودية فى الوالد وانما أراد
أنه المعروف بذلك المشتهى به ، فليست اللام هنا مفيدة
للحصر لأن تعريف المسند باللام لا تطرد افادته الحصر على ما فى
دلائل الاعجاز . وقيل يفيد الحصر باعتبار القيد أى قوله
مصدقا أى هو المنحصر فى كونه حقا مع كونه مصدقا فان غيره
من الكتب السماوية حق لكنه ليس مصدقا لما معهم ، ولعل
صاحب هذا التفسير يعتبر الانجيل غير متعرض لتصديق التوراة
بل مقتصر على تحليل بعض المحرمات وذلك يشبه عدم
(٢)
التصديق .

(١) سورة البقرة : ٩١
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٦٠٨/١ .

وفى قوله تعالى : {والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه} ملحظ بلاغى أيضا وفى تعريف المسند اليه باسم الموصول لما فى الصلة من الايماء الى وجه كونه الحق الكامل ، دون الاضرار الذى هو مقتضى الظاهر بأن يقال : وهو الكتاب الحق . وضمير (هو) ضمير فصل ، وهو تأكيد لما أفاده تعريف المسند من القصر .

والتعريف فى (الحق) تعريف الجنس وأفاد تعريف الجزأين قصر المسند على المسند اليه أى قصر جنس الحق على {الذى أوحينا إليك} وهو قصر ادعائى للمبالغة لعدم الاعتداد بحقيقة ماعداه من الكتب ، فأما الكتب غير الالهية مثل كتاب (زرادشت) ومثل كتب المابئة فلأن مافيها من قليل الحق قد غمر بالباطل والاهوام .

وأما الكتب الالهية كالتوراة والانجيل وما تضمنته كتب الانبياء كالزبور فما شهد القرآن بحقيقته فقد دخل فى شهادة قوله {مصدقاً لما بين يديه} وما جاء نسخه بالقرآن فقد بين النسخ تحديد صلاحيته فى القرآن .

وقد يتقدم لفظ "الحق" لغرض بلاغى كما فى قوله تعالى : {لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون} (٣)

وتقديم "الحق" على كارهون للاهتمام بالحق تنويها به وفيه اقامة الفاصلة أيضا .

ويأتى لفظ (الحق) مضافا الى معرفة كقوله تعالى :

-
- (١) سورة فاطر : ٣١
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٣٠٩/٢٢ .
(٣) سورة الزخرف : ٧٨
(٤) تفسير التحرير والتنوير ٢٦١/٢٥ .

(١)
{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته} .
وقوله تعالى أيضا :

(٢)
{الذين آتيناهم الكتاب يثلونهم حق تلاوته} .
ويأتى هذا اللفظ نكرة كما فى قوله تعالى :
(٣)
{قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق} .
وقوله سبحانه :

{واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها}
(٤)
قلتم ما ندرى ما الساعة} .

وجاء بصيغة الفعل الماضى والمضارع ، واسم التفضيل
كما فى قوله تعالى :

(٥)
{فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة} .
وقوله تعالى :

(٦)
{لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون} .
وقوله :

(٧)
{ويحق القول على الكافرين} .

{قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق
(٨)
بالمملك منه} .

وجاءت منه صيغ أخرى مثل قوله تعالى :
(٩)
{حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق} .

(١)	سورة آل عمران : ١٠٢
(٢)	سورة البقرة : ١٢١
(٣)	سورة هود : ٧٩
(٤)	سورة الجاثية : ٣٢
(٥)	سورة الاعراف : ٣٠
(٦)	سورة يس : ٧
(٧)	سورة يس : ٧٠
(٨)	سورة البقرة : ٢٤٧
(٩)	سورة الاعراف : ١٠٥

وقوله تعالى :

(١)

{الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة} .

وهي صيغة فاعل من حق الشيء اذا ثبت وقوعه .

(٢)

وحق في قوله تعالى : {وأذنت لربها وحققت} ، واستحقا

(٣)

في قوله تعالى : {فان عشر على أنهما استحقا اثما} .

ومن خلال الاستقراء لمواضع ورود هذا اللفظ في القرآن

الكريم نجد أن هذا اللفظ في نعتة للقرآن يلتزم التعريف

ويأتى في صورة المصدر فقط ، وأكثر ورود هذا اللفظ كان

بصيغة المصدر ، وباقي الصيغ يقل ورودها عنه .

(١) سورة الحاقة : ١-٣

(٢) سورة الانشقاق : ٢

(٣) سورة المائدة : ١٠٧

القرآن (صدق ومصدق وتصدیق)

القرآن صدق :

الماد والبدال والقاف أصل يدل على قوة فى الشيء قولاً وغيره .

ومن ذلك الصدق : خلاف الكذب ، سُمى لقوته فى نفسه ، ولأن الكذب لاقوة له وهو باطل . وأصل هذا من قولهم شيء صدق أى صلب . ورمح صدق^(١) .

وفى اللسان ، الصدق : نقيض الكذب ، صدق يصدق صدقاً ومصدقاً وتصدّقاً . وصدقته : قبل قوله . وصدقته الحديث : أنبأه بالصدق .

وقد وفق الراغب وأفاض فى تناوله لهذه المادة ومما جاء عنده :

الصدق والكذب أصلهما فى القول ماضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره ، ولا يكون بالقصد الأول الا فى القول ، ولا يكونان فى القول الا فى الخبر دون غيره من أصناف الكلام ، ولذلك قال : {ومن أصدق من الله قيلا}^(٢) وقد يكونان بالعرض فى غيره من أنواع الكلام كالاستفهام والأمر والدعاء وذلك نحو قول القائل أزيد فى الدار ، فان فى ضمنه اخبارا بكونه جاهلا بحال زيد .

والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا ومتى

(١) المقاييس مادة (ص د ق) .

(٢) سورة النساء : ١٢٢

انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما بل اما ان لا يوصف بالصدق واما ان يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظريين مختلفين كقول كافر اذا قال من غير اعتقاد : محمد رسول الله ، فان هذا يصح ان يقال صدق لكون المخبر عنه كذلك ، ويصح ان يقال كذب لمخالفة قوله ضميره . وبالوجه الثانى اكذاب الله تعالى المنافقين حيث قالوا : {نشهد انك لرسول الله } (١) .

استعمالات لفظ الصدق والكذب :

وقد يستعمل الصدق والكذب فى كل ما يحق ويحصل فى الاعتقاد نحو صدق ظنى وكذب ، ويستعملان فى أفعال الجوارح ، فيقال صدق فى القتال اذا وفى حقه وفعل ما يجب كما يجب ، وكذب فى القتال اذا كان بخلاف ذلك ، قال تعالى : {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه } أى حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم ويعبر عن كل فعل فاضل ظاهرا وباطنا بالصدق فيضاف اليه ذلك الفعل الذى يوصف به نحو قوله : {فى مقعد صدق عند مليك مقتدر} . (٢)

(٣)
وقوله تعالى : {واجعل لى لسان صدق فى الآخريين} فان ذلك سؤال أن يجعله الله تعالى صالحا بحيث اذا أشنى عليه من بعده لم يكن ذلك الثناء كذبا بل يكون كما قال الشاعر :

-
- (١) سورة المنافقون : ١
(٢) سورة الاحزاب : ٢٣
(٣) مفردات الراغب ص ٢٧٧ .
(٤) سورة القمر : ٥٥
(٥) سورة الشعراء : ٨٤

إذا نحن أشنينا عليك بمصالح

(١)

فأنت الذى نثنى وفوق الذى نثنى

وردت كلمة (صدق ومصدق وتصديق) فى القرآن الكريم فى أربعة وعشرين موضعاً منه كان جُلها نعتاً للقرآن كما سنرى ذلك .

فالقرآن صدق :

ولم يجرى التعبير عن شيء بالمدق مطلقاً إلا القرآن الكريم فإنه نعت بأنه صدق فى موضعين من القرآن هما :

(٢) {فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه} .

وقوله فى الآية التى تليها من نفس السورة :

(٣)

{والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون} .

وماعداه فإنه يضاف الى كلمة المدق الفعل الذى يوصف

به نحو قوله تعالى :

(٤)

{وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق} .

وفى إطلاق نعت (الصدق) على القرآن مطلقاً دون تقييده بفعل مايدل على عظمة هذا الكتاب فهو مصدر الصدق والأمر به وان الصدق ليحيط القرآن من جميع جهاته .

وفى تفسير قوله تعالى : {والذى جاء بالصدق وصدق به}

يقول الراغب :

(٥)

"أى حقق ماأورده قولاً بما تحراه فعلاً" .

-
- (١) مفردات الراغب ص ٢٧٨ .
(٢) سورة الزمر : ٣٢
(٣) سورة الزمر : ٣٣
(٤) سورة الاسراء : ٨٠
(٥) مفردات الراغب ص ٢٧٧ .

القرآن مُصَدِّق :

ورد نعت مصدق فى القرآن الكريم فى ثمانية عشر موضعا
 كان جُلُّها نعتا للقرآن الا اربعة مواضع هى :
 نعت الرسول صلى الله عليه وسلم بمصدق فى موضعين كما
 فى قوله تعالى :

(١)

{ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم} .

ونعت نبي الله يحيى بالمصدق فى قوله تعالى :

(٢)

{ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله} .

ونعت عيسى عليه السلام بالمصدق قال تعالى :

{ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاخل لكم بعض

(٣)

الذى حرم عليكم} .

ومما ورد فى نعت القرآن الكريم بمصدق قوله تعالى :

(٤)

{ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم} .

وقوله تعالى :

{قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك

(٥)

باذن الله مصدقا لما بين يديه} .

فالقرآن موافق لما جاء فى الكتب السماوية التى

أنزلها الله لهداية البشرية واخراجها من الظلمات الى

النور .

(١) سورة آل عمران : ٨١

(٢) سورة آل عمران : ٣٩

(٣) سورة آل عمران : ٥٠

(٤) سورة البقرة : ٨٩

(٥) سورة البقرة : ٩٧

القرآن تصديق :

ولم يجيء لفظ (تصديق) الا نعتا للقرآن فى موضعين هما :
 {وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن
 تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لارىب فيه من
 (١)
 رب العالمين} .

وقوله تعالى :

(٢)

{ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه} .
 ويستعمل التصديق فى كل مافيه تحقيق .

وفى تفسير قوله تعالى : {وماكان هذا القرآن أن يفترى
 (٣)
 من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه} يقول صاحب الكشف:
 "ولكن كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ماتقدمه من
 الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد
 (٤)
 لمحتها كقوله تعالى : {هو الحق مصدقا لما بين يديه}" .

ومما نجده فى معنى هذه الآية عند الرازى هو أن اشتمال
 القرآن على أقاصيص الاولين وموافقتها لما فى التوراة
 والانجيل مع أنه صلى الله عليه وسلم ماطالعا وتلمذا لأحد
 فيهما وذلك يدل على أنه عليه السلام انما أخبر عن هذه
 (٥)
 الاشياء بوحي من قبل الله تعالى .

ان مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم كان تصديقا لما
 فى تلك الكتب من البشارة بمجيئه صلى الله عليه وسلم ،

(١) سورة يونس : ٣٧
 (٢) سورة يوسف : ١١١
 (٣) الكشف ٢/٢٣٧ .
 (٤) سورة فاطر : ٣١
 (٥) تفسير الرازى ٩٤/١٧ .

فكان هذا عبارة عن تصديق الذى بين يديه .
انه عليه الصلاة والسلام أخبر فى القرآن عن الغيوب
الكثيرة فى المستقبل ، ووقعت مطابقة لذلك الخبر ، كقوله
تعالى : {الم غلبت الروم} (١) ، وكقوله تعالى : {لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق} (٢) وذلك يدل على أن الاخبار عن هذه
الغيوب المستقبلية ، انما حصل بالوحى من الله تعالى ، فكان
ذلك عبارة عن تصديق الذى بين يديه ، فالوجهان الاولان :
اخبار عن الغيوب الماضية ، والوجه الثالث : اخبار عن
الغيوب المستقبلية ، ومجموعها عبارة عن تصديق الذى بين
يديه . (٣)

(١) سورة الروم : ٢٠١
(٢) سورة الفتح : ٢٧
(٣) تفسير الرازى ٩٥/١٧ .

القرآن "لاريب فيه"

معنى "الريب" اللغوى :

الراء والياء والباء أصيل يدل على شك ، أو شك وخوف
فالريب : الشك . قال الله جل ثناؤه : {الم . ذلك الكتاب
(١)
لاريب فيه } أى لاشك .

والريب : مارابك من أمر . تقول : رابنى هذا الأمر ،
إذا أدخل عليك شكاً وخوفاً . وأراب الرجل صار ذا ريبة . وقد
(٢)
رابنى أمره . وريب الدهر : صروفه .

فالريب أن تتوهم بالشئ أمراً ما فينكشف عما تتوهمه
(٣)
قال تعالى : {ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث}
(٤)
تنبيها أن لاريب فيه .

الفرق بين الريب والشك :

الشك اعتدال النقيضين عند الانسان وتساويهما وذلك قد
يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين ، أو لعدم
الامارة فيهما ، والشك ربما كان فى الشئ هل هو موجود أو
غير موجود ؟ وربما كان فى جنسه ، من أى جنس هو ؟ وربما
كان فى بعض صفاته وربما كان فى الغرض الذى لأجله أوجد .
واشتقاقه اما من شككت الشئ أى خرقتة . ويصح أن يكون
مستعاراً من الشك وهو لصوق العضد بالجنب ، وذلك أن يتلاصق

(١) سورة البقرة : ٢٠١

(٢) المقاييس مادة (ر ي ب) .

(٣) سورة الحج : ٥

(٤) مفردات الراغب ص ٢٠٥ .

النقيضان فلامدخل للفهم والرأى لتخلل مابينهما ، ويشهد
لهذا قولهم التبس الامر واختلط وأشكل ونحو ذلك من
(١)
الاستعارات .

(٢)

والارتياح شك مع تهمة .

وقد ذكر صاحب التفسير الكبير أن

الريب قريب من الشك ، وفيه زيادة كأنه ظن سوء ، تقول
(٣)
رابنى أمر فلان اذا ظننت به سوء ، ومنها قوله عليه السلام :
(٤)
"دع مايريبك الى ما لايريبك" .

وقال أبو حيان : "الريب الشك بتهمة وحقيقته قلق
(٥)
النفس" .

معانى الريب فى القرآن واللغة :

(٦)

جاء فى تفسير القرطبى :

(٧)

(١) بمعنى الشك ، قال تعالى : {ذلك الكتاب لا ريب فيه} ،

(٨)

وقوله تعالى : {فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه} .

(٢) بمعنى التهمة ، قال جميل :

بثينة قالت يا جميل أربتنى فقلت كلانا يابثين مريب

(٣) الحاجة ، قال كعب بن مالك :

قضينا من تهامه كل ريب وخبير ثم أجمعنا السيوف

(٩)

لأن طالب الحاجة شك على مابه من خوف الفوت .

(١) مفردات الراغب ص ٢٠٥ .

(٢) الفروق اللغوية ص ٩٢ .

(٣) تفسير الرازى ١٨/٢ .

(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين

الalbانى ١٤٤/٣ .

(٥) البحر المحيط ٣٣/١ .

(٦) ١٥٩/١ .

(٧) سورة البقرة : ٢

(٨) سورة آل عمران : ٢٥

(٩) المقاييس (رى ب) .

(٤) أحداث الدهر : قال تعالى : {أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون} (١).

سماء ريبا لأنه مشكك في كونه بل من حيث تشكك في وقت حصوله ، فالإنسان أبدا في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه (٢).

الصيغ الواردة في القرآن من "الريب" :

جاء لفظ "المصدر" والفعل ومشتقاته في ستة وثلاثين موضعا وكان أكثر ورود هذا اللفظ في صيغة المصدر حيث ورد في ثمانية مواضع كلها نعت للقرآن الكريم واليوم الآخر الا في موضعين هما :

(٣) قوله تعالى : {أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون} .
والموضع الثانى : {وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم} (٤).
يترددون} .

وجاء من هذه المادة الفعل الماضى في أربعة مواضع كما
(٥)
في قوله تعالى : {أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا} .

والمضارع في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى :
{انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} (٦).

واسم الفاعل في سبعة مواضع كما في قوله تعالى :

-
- | | |
|-----|-----------------------|
| (١) | سورة الطور : ٣٠ |
| (٢) | مفردات الراغب ص ٢٠٥ . |
| (٣) | سورة الطور : ٣٠ |
| (٤) | سورة التوبة : ٤٥ |
| (٥) | سورة النور : ٥٠ |
| (٦) | سورة الحجرات : ١٥ |

(١)

{وانهم لفي شك منه مريب} .

واسم المفعول في موضع واحد هو قوله تعالى :

(٢)

{كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب} .

والاسم في موضع واحد وهو قوله تعالى :

(٣)

{لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم} .

القرآن "لاريب فيه" :

نعت القرآن بأنه "لاريب فيه" في أربعة مواضع هي قوله

تعالى :

(٤)

(١) {ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين} .

وفيها نفى كون القرآن العظيم مظنة للريب لأنه من وضوح

الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ألا

تري الى قوله تعالى : {وان كنتم في ريب مما نزلنا على

عبدنا فأتوا بسورة من مثله} .

فما أبعد وجود الريب منهم ، وانما عرفهم الطريق الى

مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة

هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن

ليس فيه مجال للشبهة ولامدخل للريبة .

ثم يشير الزمخشري الى القصد في ايلاء الريب حرف النفي

وهو نفى الريب عنه واشبات أنه حق وصدق لا باطل ولاكذب كما

كان المشركون يدعونهم ولو أولى الظرف لقصد الى مايبعد عن

(١) سورة هود : ١١٠

(٢) سورة غافر : ٣٤

(٣) سورة التوبة : ١١٠

(٤) سورة البقرة : ٢

المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لافى القرآن ، كما قصد فى قوله {لافيها غول} تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي ، كأنه قيل : ليس فيها مافى غيرها من هذا العيب والنقيصة .^(١)

(٢) قوله تعالى : {وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا} فأتوا بسورة من مثله .^(٢)

(٣) وقوله تعالى : {ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه} .^(٣)

(٤) {تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين} .^(٤)

فالقرآن لا شك فيه أنه من عند الله ، فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا أساطير الأولين .^(٥)

-
- (١) الكشاف ١/١١٣-١١٥ .
(٢) سورة البقرة : ٢٣
(٣) سورة يونس : ٣٧
(٤) سورة السجدة : ٢
(٥) تفسير القرطبي ١٤/٨٥ .

القرآن "فصل"

دلالة لفظ "فصل" لغويا :

الفاء والماد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وابانته عنه . يقال : فصلت الشيء فصلا . والفِصل الحاكم . والفِصِيل : ولد الناقة اذا افتصل عن أمه .
والْمِفْصَل : اللسان ، لأن به تفصل الامور وتُمَيِّزُ^(١) .
وفى اللسان الفصل : الحاجز بين الشيئين ، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل وفصلت الشيء فانفصل أى قطعته فانقطع .
والفصل : القضاء بين الحق والباطل .
وقوله عز وجل : { هذا يوم الفصل } ، أى هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء ، ويجازى كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم . ويوم الفصل : هو يوم القيامة .
قال الله عز وجل : وما أدراك ما يوم الفصل . وقول فصل : حق ليس بباطل . وفى التنزيل العزيز : انه لقول فصل . وفى صفة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل لانزرا ولاهذر أى بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل . ومنه قوله تعالى :
{ انه لقول فصل } أى فاصل قاطع ، ومنه يقال : فصل بين^(٢) الخصمين .

ورود لفظ "فصل" فى القرآن الكريم :

ورد هذا اللفظ فى تسعة مواضع ، فى ستة منها بمعنى :

(١) المقاييس مادة (ف ص ل) .

(٢) مادة (ف ص ل) .

- (١) يوم الجزاء كما فى قوله تعالى : { هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون } .
وقوله تعالى : { ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين } .
(٢) وجاءت كلمة الفصل بمعنى القضاء السابق بان الجزاء له فى يوم القيامة .
{ ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم } .
(٣) وبمعنى فصل الخطاب وهو البيان الشافى كما فى قوله تعالى : { وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب } .
(٤) بمعنى القرآن كما فى قوله تعالى : { انه لقول فصل وما هو بالهزل } .

القرآن "فصل" :

- (١)
قال تعالى : { انه لقول فصل . وما هو بالهزل } .
والمراد بنعت القرآن الكريم بالفصل لا يخرج عن معنيين :
أولهما : أنه جد حق لقوله { وما هو بالهزل } أى باللعب والمعنى أن القرآن أنزل بالجد ، ولم ينزل باللعب ثم قال :
{ وما هو بالهزل } والمعنى أن البيان الفصل قد يذكر على سبيل الجد والاهتمام بشأنه وقد يكون على غير سبيل الجد وهذا
(٢)
الموضع من ذلك .

(١) سورة الطارق : ١٤، ١٣

(٢) تفسير الرازى ١٣٣/٣١ .

وقد رأى أحد المفسرين في مجيء قوله تعالى : {وما هو
بالهزل} عقب الثناء على القرآن وذلك رداً على المشركين إذ
كانوا يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بهزل ،
فالهزل على هذا الوجه هو ضد الجد أى هو المزح واللعب ،
ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا
إرادة التعريف والا كانت تقصيراً في المدح لاسيما إذا سبقتها
محمدة من المحامد العظيمة .^(١)

ثانيهما : أنه حكم ينفصل به الحق عن الباطل ومنه فصل
الخصومات وهو قطعها بالحكم ويقال هذا قول فصل أى قاطع
للمراء والنزاع .^(٢)

والاخبار بالمصدر للمبالغة ، أى أنه لقول فاصل .^(٣)
وقد جاء في السنة المطهرة هذا النعت للقرآن الكريم ،
عن علي بن أبي طالب قال : أما انى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : "انها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج
منها يارسول الله . قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر
ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل الذى ليس بهزل ، من
تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله
الله ... " .^(٤)

ومصدق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فالقرآن
حق وحكم عدل .

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٦٧/٣٠ .
(٢) تفسير الرازى ١٣٣/٣١ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢٦٧/٣٠ .
(٤) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب فضائل القرآن ، باب
ما جاء فى فضل القرآن ١٧٢/٥ مع اختلاف فى اللفظ .

القرآن مهيمن

المعنى اللغوى لهيمن :

جاء فى القاموس المحيط :

هيمن : قال آمين كامن والطائر على فراخه رفرف وعلى كذا صار رقيباً عليه وحافظاً . والمهيمن وتفتح الميم الثانية من أسماء الله تعالى فى معنى المؤمن من آمن غيره من الخوف وهو مؤامن بهمتين قلبت الهمزة الثانية ياء ثم الأولى هاء أو بمعنى الأمين أو المؤتمن أو الشاهد .^(١)

وفى اللسان عن ابن الأنبارى فى قوله : ومهيمناً عليه قال : المهيمن القائم على خلقه ، وأنشد :
ألا ان خير الناس بعد نبيه

مهيمنه التالىة فى العرف والنكر

قال معناه القائم على الناس بعده ، وقيل القائم بأمور الخلق ، قال وفى المهيمن خمسة أقوال :
قال ابن عباس : المهيمن : المؤتمن .
وقال الكسائى : المهيمن : الشهيد .
وقال غيره : هو الرقيب يقال هيمن يهيمن هيمنة إذا كان رقيباً على الشيء .
وقال أبو معشر : ومهيمناً عليه معناه قبَّاناً عليه وقيل قائماً على الكتب .^(٢)

(١) القاموس المحيط مادة (هـ ي م ن) .
(٢) اللسان مادة (هـ م ن) .

القرآن مهيمن :

ورد لفظ المهيمن فى القرآن الكريم فى موضعين أحدهما اسم لله تعالى ، والموضع الآخر نعتا للقرآن الكريم .
 فى قوله تعالى : {الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن^(١) العزيز} .

وقوله : {وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه^(٢)} .

تأملات بيانية فى الآيتين :

فالمراد بالمهيمن فى قوله تعالى : {الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن^(٣)} الله تعالى فهو الرقيب الحافظ لكل شئ وهو على وزن (مفعِل) من الأمن بقلب همزته هاء وتحقيقه أن أيمن على وزن فاعِل مبالغة من أمن العدو للزيادة فى البناء فالله تعالى أمن كل شئ سواء سبحانه على خلقه وملكه لاحاطة علمه وكمال قدرته واستعمال مجرد الدلالة بمعنى الرقيب والحفيظ على الشئ من غير ذكر المفعول بلا واسطة^(٤) للمبالغة وكمال الحفظ كما قال تعالى : {ومهيمنا عليه} وجعله بمعنى الرقيب أولى من جعله من الأمان نظرا الى أن الأمان على الشئ حافظ له اذ لا ينهب عن المبالغة ولا عن شمول العلم والقدرة^(٥) .

وفى الآية الثانية وهى قوله تعالى :

-
- (١) سورة الحشر : ٢٣
 (٢) سورة المائدة : ٤٨
 (٣) سورة الحشر : ٢٣
 (٤) سورة المائدة : ٤٨
 (٥) روح المعانى ٦٣/٢٨ .

{وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه} .

فالقرآن الكريم (مهيمن) رقيب على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصححة والثبات .

والقرآن (مهيمن) بفتح الميم الثانية أى هيمن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال تعالى : {لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه} والذى هيمن عليه هو الله عز وجل أو الحفاظ - بتوفيق الله - فى كل بلد بحيث لو حرف منه حرف أو حركة أو سكون لتنبه كل أحد ولاشمازوا رادين ومنكرين .

وفى التفريق فى التعريف بين لفظة (الكتاب) الاولى فى قوله تعالى : {وأنزلنا اليك الكتاب} ولفظة (الكتاب) الثانية فى قوله {لما بين يديه من الكتاب} .

فالاولى تعريفها للعهد لأنه عنى به القرآن والثانية تعريفها للجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ، ويجوز أن يقال هى للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى (١)
القرآن .

وفى قوله تعالى عند نعت القرآن بالمهيمن نلاحظ سبق هذا النعت بنعت للحق تعالى وهو (المؤمن) ومن معانى هذا النعت هو أن المؤمن هو المصدق لنفسه ولرسله عليهم السلام فيما بلغوه عنه سبحانه اما بالقول أو بخلق المعجزة ، وفى الثانية سبق قوله تعالى {ومهيمننا عليه} بقوله نعتا للقرآن (مصدقا) وفى هذا ارتباط بين بين سياق النعتين فى الآيتين وترتيبهما .

(١) تفسير الكشاف ٦١٨/١ .

القرآن "قيم"

معنى "قيم" اللغوى :

القاف والواو والميم أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على جماعة ناس وربما استعير فى غيرهم ، والآخر على انتصاب أو عزم .^(١)

وقيم الأمر : مقيمه . وأمر قيم مستقيم . والقيم : السيد وسائنس الأمر . وقيم القوم : الذى يقومهم ويسوس أمرهم .

وفى حديث الدعاء : "ولك الحمد أنت قيّام السموات والأرض" وفى رواية قيّم .

وفى أخرى : قيوم وهى من أبنية المبالغة ، ومعناها القيام بأمور الخلق وتدبير العالم فى جميع أحواله .^(٢)

ورود "قيم" فى القرآن الكريم :

جاء لفظ "قيم" فى ثمانية مواضع ستة منها نعتا للدين واثنين نعتا للقرآن الكريم ومواضع نعت الدين بالقيم هى :

- (١) {قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ديننا قيما ملة
(٣)
ابراهيم حنيفا} .
(٤)
(٢) {ذلك الدين القيم} .

(١) المقاييس مادة (ق و م) .
(٢) اللسان مادة (ق و م) .
(٣) سورة الانعام : ١٦١
(٤) سورة التوبة : ٣٦

- (١)
(٣) {ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} .
(٢)
(٤) {ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} .
(٣)
(٥) {فأقم وجهك للدين القيم} .
(٤)
(٦) {وذلك دين القيمة} .

معنى "القيم" و"القيمة" :

تعددت أقوال اللغويين والمفسرين فى معنى "قيم" فمنهم

من يرى أن قيم هو :

- (٥)
* الثابت المقومٌ لأُمور معاشهم ومعادهم .
(٦)
* قيام الدين على سنن السداد .
(٧)
* المستقيم الذى لازيغ فيه ولا ميل عن الحق .
(٨)
* الذى لا عوج فيه .

* للمبالغة فى القيام بالأمر وهو مرادف القيوم ،
فيستعار القيام للكفاية بما يحتاج اليه والوفاء بما فيه
صلاح المقوم عليه ، فالاسلام قيم بالامة وحاجتها يقال فلان قيم
على كذا ، بمعنى مدبر له ومصلح ، ومنه وصف الله تعالى
(٩)
بالقيوم .

-
- (١) سورة يوسف : ٤٠
(٢) سورة الروم : ٣٠
(٣) سورة الروم : ٤٣
(٤) سورة البينة : ٥
(٥) مفردات الراغب ص ٤١٧ .
(٦) بمائر ذوى التمييز ٣٠٩/٤ .
(٧) اللسان مادة (ق و م) .
(٨) تفسير الرازى ١٢٠/٢٥ .
(٩) تفسير التحرير والتنوير ١٩٩/٨ .

معنى "القيمة" :

(١) * القيمة هنا اسم للامة القائمة بالقسط المشار اليهم
بقوله : {كنتم خير أمة} (٢) ، وقوله : {كونوا قوامين
(٣)
بالقسط} .

* دين القيمة ، أى دين الامة القيمة بالحق ، ويجوز
(٤)
أن يكون دين الملة المستقيمة .

القرآن "قيم" :

* نعت القرآن بقيم فى موضعين هما :

(١) {الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له
(٥)
عوجا قيما} .

* "قيما" أى قيما بمصالح العباد ومالابد لهم منه من
الشرائع . فهو وصف له بأنه مكمل لهم ، بعد وصفه بأنه كامل
فى نفسه .

(٦)
* أو قيما على الكتب السالفة مهيمنا عليها .

* أو متناهيها فى الاستقامة والاعتدال . فيكون تأكيدا
(٧)
لما دل عليه نفي العوج .

(٨)
(٢) {رسول من الله يثلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة} .

-
- (١) مفردات الراغب ص ٤١٧ .
(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٣) سورة النساء : ١٣٥ .
(٤) اللسان مادة (ق و م) .
(٥) سورة الكهف : ٢٠١ .
(٦) تفسير القاسمى ٦/١١ .
(٧) تفسير القاسمى ٦/١١ .
(٨) سورة البينة : ٣ .

معنى "كتب قيمة" :

تعددت كذلك أقوال اللغويين والمفسرين فى معنى "قيمة" فهى :

- (١) * مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان .
- * اشارة الى ما فى القرآن من معانى كتب الله تعالى
- فان القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة . (٢)
- * المستقيمة ، أى شديدة القيام الذى هو هنا مجاز فى الكمال والصواب وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها بالقائم لاستعداده للعمل النافع ، وضده العوج قال تعالى :
- {الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما} (٣)
- أى لم يجعل فيه نقص الباطل والخطأ ، فالقيمة مبالغة فى القائم .
- (٤) وتأنيث الوصف لاعتبار كونه وصفا لجمع .

(١) اللسان مادة (ق و م) .
(٢) مفردات الراغب ص ٤١٧ .
(٣) سورة الكهف : ٢،١
(٤) تفسير التحرير والتنوير ٣٠/٤٧٧، ٤٧٨ .

القرآن "حكيم"

دلالة اللفظ لغويا :

حكم : الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع .
وأول ذلك الحكم ، وهو المنع من الظلم وسميت حكمة الدابة
لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها . ويقال : حكمت
السفيه وأحكمته ، اذا أخذت على يديه .

قال جرير :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم

انى أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة هذا قياسها ، لأنها تمنع من الجهل ، وتقول :
حكمت فلانا تحكيما منعه عما يريد . وحكم فلان فى كذا ، اذا
جعل أمره اليه . والمحكم : المجرب المنسوب الى الحكمة .
قال طرفة :

ليت المحكم^١ والموعوظ موتكما

(١)

تحت التراب اذا ما الباطل انكشفا

وفى اللسان ، من أسماء الله تعالى الحكم والحكيم
وهما بمعنى الحاكم ، وهو القاضى فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو
هو الذى يحكم الأشياء ويتقنها ، فهو فعيل بمعنى مُفَعِّل .
وقيل : الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل
الأشياء بأفضل العلوم . ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات
ويتقنها : حكيم ، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل

(١) المقاييس مادة (ح ك م) .

(١)

قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم .

وعند الراغب : الحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء
وايجادها على غاية الاحكام . ومن الانسان معرفة الموجودات
وفعل الخيرات .

فاذا قيل فى الله تعالى حكيم فمعناه بخلاف معناه اذا
وصف به غيره ومن هذا الوجه قال الله تعالى : {ليس الله
بأحكم الحاكمين} .^(٢)

(٣)

واذا وصف به القرآن فلتفمنه الحكمة نحو {الر تلك
آيات الكتاب الحكيم} .^(٤)

معانى لفظ "حكيم" :

ورد لفظ حكيم فى سبعة وتسعين موضعا من كتاب الله
الكريم فيها واحد وتسعون موضعا نعنا للحق تعالى ، والستة
مواضع الاخرى خمسة منها نعنا للقرآن الكريم وموضع واحد
نعنا للامور المقضية على وجه الحكمة ، ومعانى ورودها
كالآتى :

- (١) نعنا لله تعالى كما فى قوله تعالى : {وهو العليم
الحكيم} ، وقوله تعالى : {وكان الله عزيزا حكيما} .^(٥)
^(٦)
(٢) نعنا للقرآن الكريم كما فى قوله تعالى : {يسن
والقرآن الحكيم} .^(٧)

- (١) اللسان مادة (ح ك م) .
(٢) سورة التين : ٨
(٣) مفردات الراغب ص ١٢٧ .
(٤) سورة يونس : ١
(٥) سورة التحريم : ٢
(٦) سورة النساء : ١٥٨
(٧) سورة يس : ٢٠١

- (١) وقوله تعالى : {الر تلك آيات الكتاب الحكيم} .
- (٣) نعتنا للأمور المقضية على وجه الحكمة فى قوله تعالى :
(٢) {فيها يفرق كل أمر حكيم} .

نعت الله بالحكيم واقتترانه بغيره من النعوت :

تتفاوت النعوت فى ورودها فى القرآن مقترنة مع غيرها من حيث الكثرة والقلة .

فاقتتران حكيم بعليم جاء فى خمسة وثلاثين موضعا وحكيم مع عزيز فى سبعة وأربعين موضعا بينما اقتتران نعت الحكيم بغير هذين النعتين قليل كما فى اقتتران حكيم مع خبير فقد جاء فى أربعة مواضع وقد يجىء النعت مع حكيم فى موضع واحد كما فى قوله تعالى : {وأن الله تواب حكيم} ، وقوله تعالى (٣)
(٤) {وكان الله واسعا حكيما} .

ولو أردنا أن نجد لهذه الظاهرة التى لاحظناها تعليلا فهو أننا برجعنا لدلالة لفظى "عليم" و"عزيز" المعجمية والتى تشير الى أن :

عليم : من أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها (٥)
دقيقها وجليلها على أتم الامكان .

(٦) وأما العزيز فهو القوى الغالب كل شيء .
هذه الإحاطة الشاملة التامة وهذه القوة الغالبة

-
- (١) سورة يونس : ١
(٢) سورة الدخان : ٤
(٣) سورة النور : ١٠
(٤) سورة النساء : ١٣٠
(٥) اللسان مادة (ع ل م) .
(٦) اللسان مادة (ع ز ز) .

تدعمها معرفة بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام كما يتضمن
نعت الحق بحكيم .

ثم مانجده بعد ذلك من نعوت تقترب بنعت الحكيم مثل :

* اقتران الحكيم بالحميد كما فى قوله تعالى :

(١)

{تنزيل من حكيم حميد} .

* اقتران الحكيم بالعلى فى قوله تعالى :

(٢)

{انه على حكيم} .

* اقتران الحكيم بالخبير فى قوله تعالى :

(٣)

{من لدن حكيم خبير} .

* اقتران الحكيم بالتواب فى قوله تعالى :

(٤)

{وان الله تواب حكيم} .

* اقتران الحكيم بالواسع كما فى قوله :

(٥)

{وكان الله واسعا حكيما} .

فهى داخله تحت الاحاطة الشاملة التامة الدال عليها

"عليم" والقوة الغالبة الدال عليها "عزيز" .

القرآن "حكيم" :

الآيات الواردة فيها نعت القرآن بحكيم :

(٦)

(١) {ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم} .

(٧)

(٢) {الر تلك آيات الكتاب الحكيم} .

(١) سورة فصلت : ٤٢

(٢) سورة الشورى : ٥١

(٣) سورة هود : ١

(٤) سورة النور : ١٠

(٥) سورة النساء : ١٣٠

(٦) سورة آل عمران : ٥٨

(٧) سورة يونس : ١

- (١)
(٣) {الم. تلك آيات الكتاب الحكيم} .
(٢)
(٤) {يسن. والقرآن الحكيم} .
(٣)
(٥) {وانه لدينا في أم الكتاب لعلى حكيم} .
- وقد تعددت أقوال المفسرين في المراد بحكيم نعتا للقرآن ، فالزمخشري يرى أن (الحكيم) ذو الحكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحى ، أو لأنه كلام حكيم فوصف بمصفة (٤) المتكلم .
- ويرى القرطبي أن الحكيم المحكم حتى لا يتعرض لبطلان أو تناقض كما قال : {أحكمت آياته} وكذلك أحكم في نظمه (٥) ومعانيه فلا يلحقه خلل . (٦)
- أو أن (الحكيم) وصف أما بمعنى فاعل ، أى الحاكم على الكتب بتمييز صحيحها من محرفها ، مثل قوله {ومهيمننا عليه} (٨)
(٧)
وقوله : {وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} . (٩)
- وقد نعت القرآن بالحكيم في السنة النبوية بقوله صلى الله عليه وسلم : "... وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولاتلتبس به (١٠) الألسنة ... " .

-
- (١) سورة لقمان : ٢٠١
(٢) سورة يس : ٢٠١
(٣) سورة الزخرف : ٤
(٤) الكشاف ٣/٣١٤ .
(٥) سورة هود : ١
(٦) تفسير القرطبي ٥/١٥ .
(٧) تفسير التحرير والتنوير ١١/٨٢ .
(٨) سورة المائدة : ٤٨
(٩) سورة البقرة : ٢١٣
(١٠) سنن الترمذى كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن ٥/١٧٢ .

القرآن "بلاغ"

المدلول اللغوى لبلاغ :

بلغ :

الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول الى الشيء
تقول بلغت المكان اذا وصلت اليه . وقد تسمى المشاركة
بلوغا بحق المقارنة قال تعالى : { فاذا بلغن أجلهن
(١)
فامسكوهن بمعروف } . ومن هذا الباب قولهم أحقق بِلْغ وْبَلْغ ،
أى أنه مع حماقته يبلغ ما يريد .

والبلغة ما يتبلغ به من عيش ، كأنه يراد أنه يبلغ
رتبة المكش اذا رضى وقنع .

وكذلك البلاغة التى يمدح بها الفصيح اللسان ، لأنه
يبلغ بها ما يريد ، ولى فى هذا بلاغ أى كفاية .

وقولهم بلغ الفارس يراد به أنه يمد يده بعنان فرسه
ليزيد فى عدوه .

وقولهم تبلغت القله بفلان ، اذا اشتدت ، فلأنه تنأهيا
(٢)
به ، وبلوغها الغاية .

وعند الراغب : البلوغ والبلاغ الانتهاء الى أقصى

المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور
(٣)

المقدرة ... والبلاغ : التبليغ ، نحو قوله تعالى : { هذا
(٤)

بلاغ للناس } .

(١) سورة الطلاق : ٢
(٢) المقاييس (بلغ) .
(٣) المفردات ص ٦٠ .
(٤) سورة ابراهيم : ٥٢

وفى اللسان : البلاغ : ما يتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب . والبلاغ ما بلغك والبلاغ : الكفاية ، ومنه قول الراجز :

تَزَجَّ من دنياك بالبلاغ وباكراً المعدة بالدُّبَاغ
والبلاغ : الابلاغ . وفى التنزيل : {الا بلاغا من الله
(١)
ورسلاته} .

أى لا أجد مَنْجى الا أن أَبْلُغَ عن الله ما أرسلت به .
والابلاغ : الايصال ، وكذلك التبليغ ، والاسم منه البلاغ وبلغت
الرسالة يقال بلغت القوم بلاغا اسم يقوم مقام التبليغ .
(٢)
وقد وردت كلمة (بلغ) ومشتقاتها فى سبعة وسبعين موضعاً
وأريد بها القرآن فى ثلاثة مواضع ، وجاءت هذه الكلمة بصيغ
متعددة هى :

الفعل الماضى وهو أكثر هذه الصيغ وروداً من مثل قوله تعالى :

(٣)
{ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً} .
(٤)
{قد بلغت من لدنى عذراً} .

{ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت
(٥)
لنا} .

ثم يليه الفعل المضارع من مثل قوله تعالى :
(٦)
{لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا} .

-
- | | |
|-----|--------------------|
| (١) | سورة الجن : ٢٣ |
| (٢) | اللسان (بلغ) . |
| (٣) | سورة يوسف : ٢٢ |
| (٤) | سورة الكهف : ٧٦ |
| (٥) | سورة الانعام : ١٢٨ |
| (٦) | سورة الكهف : ٦٠ |

- (١)
{انك لن تخرق الأرض ولن تبلى الجبال طولا}
(٢)
{ولاتحلّقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله} .

ثم المصدر "بلاغ" كما فى قوله تعالى :

- (٣)
{وان تولوا فانما عليك البلاغ}
(٤)
{ماعلى الرسول الا البلاغ} .

ثم اسم الفاعل كما فى قوله تعالى :

- (٥)
{قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين}
(٦)
{أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة} .

ثم الفعل الامر حيث لم يأت الا فى موضعين هما قوله

تعالى :

- (٧)
{ياايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك}
(٨)
{فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه} .
ثم صيغة المبالغة والمصدر الميمى حيث جاء كل منهما

مرة واحدة فى قوله تعالى :

- (٩)
{فأعرض عنهم وعظّم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً}
(١٠)
{ذلك مبلغهم من العلم} .

(١)	سورة الاسراء :	٣٧
(٢)	سورة البقرة :	١٩٦
(٣)	سورة آل عمران :	٢٠
(٤)	سورة المائدة :	٩٩
(٥)	سورة الأنعام :	١٤٩
(٦)	سورة القلم :	٣٩
(٧)	سورة المائدة :	٦٧
(٨)	سورة التوبة :	٦
(٩)	سورة الناس :	٦٣
(١٠)	سورة النجم :	٣٠

القرآن "بلاغ" :

وقد جاءت هذه الكلمة مراداً بها القرآن فى ثلاثة مواضع وكلها بصيغة المصدر "بلاغ" والوصف بالمصدر فيه مبالغة ، قال تعالى :

- (١)
{ هذا بلاغ للناس ولينذروا به } .
(٢)
{ بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون } .
(٣)
{ ان فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين } .

فبلاغ مصدر بمعنى اسم الفاعل أى هذا القرآن مُبَلِّغٌ وموصل لرضا المولى تعالى ومرتب بصاحبه فى الجنة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها" .
(٤)

وقد اتفقت الآيات الثلاث فى مجيئها نكرة منونة وفى هذا تعظيم لحق هذا البلاغ وهو القرآن الكريم .
وقد سبق هذا البلاغ فى آيتين منهما باسم الإشارة وفى ذلك اجلال لهذا الكتاب وتذنيه الى ماينبغى أن يكون عليه حال المؤمنين من القرب والتمسك به .

ثم ذلك المحسن البديعى فى قوله تعالى : { هذا بلاغ للناس } وهو رد العجز على المصدر .
(٥) (٦)

-
- (١) سورة ابراهيم : ٥٢
(٢) سورة الاحقاف : ٣٥
(٣) سورة الانبياء : ١٠٦
(٤) سنن الجامع الصحيح للترمذى . أبواب فضائل القرآن ٢٥١/٤ .
(٥) سورة ابراهيم : ٥٢
(٦) حاشية الصاوى على الجلالين ٢٤٥/٢ .

فقد افتتحت هذه السورة بقوله : {كتاب أنزلناه اليك
(١)
لتخرج الناس من الظلمات الى النور} .

وسئل بعضهم هل لكتاب الله عنوان ؟ فقال : نعم ، قيل
وأين هو ؟ قال قوله تعالى : {هذا بلاغ للناس ولينذروا به}
(٢)
الى آخرها .

(٣)
ثم فى قوله تعالى : {ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين}
توكيد على أن هذا البلاغ ما هو الا فى حق العابدين وهم
العالمون العاملون الجامعون بين الامرين ، لأن العلم كالشجر
والعمل كالثمر ، والشجر بدون الثمر غير مفيد ، والثمر
(٤)
بدون الشجر غير كائن .

-
- (١) سورة ابراهيم : ١
(٢) تفسير القرطبي ٣٨٦/٩ .
(٣) سورة الانبياء : ١٠٦
(٤) تفسير الرازى ٢٣٠/٢٢ .

القرآن "برهان"

المعنى اللغوى للفظ "برهان" :

بره : البرهان بيان للحجة وهو فُعلان مثل الرجحان والثنيان . وقال بعضهم هو مصدر بره يبره اذا ابيض ورجل أبره وامرأة برهاء وقوم بره وبرهرة شابة بيضاء . فالبرهان أوكد الأدلة وهو الذى يقتضى الصدق أبدا ، لامحالة وذلك أن الأدلة خمسة أضرب :

دلالة تقتضى الصدق أبدا ، ودلالة تقتضى الكذب أبدا ، ودلالة الى الصدق أقرب ، ودلالة الى الكذب أقرب ، ودلالة هى اليهما سواء ^(١) ، قال تعالى : {قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين} ، وقوله : {قد جاءكم برهان من ربكم} ^(٢) ^(٣) .

وجاء فى اللسان عن هذه المادة :

البرهان : الحجة الفاصلة بينة ، يقال : برهن يبرهن برهنة اذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم ، فهو مبرهن . يقال للذى لا يبرهن حقيقته انما أنت متمن ، فجعل يبرهن بمعنى يبين ، وجمع البرهان براهين . وقد برهن عليه : أقام الحجة وفى الحديث : الصدقة برهان ، البرهان : الحجة والدليل أى أنها حجة لطالب الأجر من أجل أنها فرض يجازى الله به وعليه وقيل : هى دليل على صحة ايمان صاحبها لطيب نفسه باخراجها ^(٤) وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال .

(١) المفردات للراغب ص ٤٥ .

(٢) سورة البقرة : ١١١

(٣) سورة النساء : ١٧٤

(٤) لسان العرب مادة (برهن) .

(١)
أوجه ورود البرهان فى القرآن :

الاول : بمعنى المعجزة ، والولاية : {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ} (٢) .

الثانى : بمعنى الدليل ، والحجة : {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} (٣) ، {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ} (٤) .

الثالث : بمعنى القرآن ، والنبوة : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} (٥) .

ورود لفظ "البرهان" ومشتقاته فى القرآن :

ورد هذا اللفظ فى ثمانية مواضع وبصيغة واحدة هى صيغة "برهان" فقط .

تأملات بيانية فى بعض الآيات القرآنية
الواردة فيها لفظة "برهان" :

قال تعالى :

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} .

والثنوين فى "برهان" للتفخيم .

والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة الى ضمير

المخاطبين لظهار اللطف بهم والايذان بأن مجيء ذلك لتربيتهم

وتكميلهم .

-
- (١) البصائر ٢٤٢/٢ .
(٢) سورة القصص : ٣٢
(٣) سورة البقرة : ١١١
(٤) سورة المؤمنون : ١١٧
(٥) سورة النساء : ١٧٤

واطلاق البرهان عليه لأنه أقوى دليل على صدق من جاء به
(١)
واطلاق النور المبين لأنه بين بنفسه .

ونلاحظ أن القرآن فى مخاطبته للمشركين ومطالبتهم
بالدليل يسند الضمير اليهم وذلك فى أربعة مواضع منها قوله
تعالى :

(٢)
{ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم} .
(٣)
وقوله : {أم اتخذوا من دونه آلهاة قل هاتوا برهانكم} .
" (قل) لهم بطريق التبكيت والقام الحجر (هاتوا
برهانكم) على ما تدعون من جهة العقل المريح أو النقل
المريح فإنه لا يصح القول بمثل ذلك من غير دليل عليه ،
وما فى اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بأن لهم برهانا
ضرب من التهمك بهم ، وقوله تعالى : {هذا ذكر من معى وذكر
من قبلى} انارة لبرهانه واشارة الى أنه مما نطقت به الكتب
الالهية قاطبة وزيادة تهيج لهم على اقامة البرهان لظاهر
كمال عجزهم أى هذا الوحي الوارد فى شأن التوحيد المتضمن
للبرهان القاطع ذكر أمتى وعظمتهم وذكر الأمم السالفة قد
(٤)
أقيمت فآقيموا أنتم برهانكم " .

-
- (١) روح المعانى ٤٣٠٤٢/٦ .
(٢) سورة القصص : ٧٥
(٣) سورة الانبياء : ٢٤
(٤) روح المعانى ٣١/١٧ .

القرآن بينات

المعنى اللغوى "البينات" :

جاء فى المقاييس (بين) الباء والياء والنون أصل واحد وهو بعد الشئ وانكشافه ، وبان الشئ وأبان اذا اتضح وانكشف . وفلان أبين من فلان ، أى أوضح كلاما منه .^(١)

وفى المفردات البينة : الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة وسمى الشاهدان بينة لقوله عليه الصلاة والسلام :
"البينة على المدعى واليمين على من أنكر"^(٢) ، وقال سبحانه وتعالى : {أقمن كان على بينة من ربه} ، وقوله تعالى :
{ولقد جاءتهم رسلكم بالبينات}^(٣) .^(٤)

وقال بعضهم : البيان يكون على ضربين : أحدهما بالتنجيز وهو الأشياء التى على حال من الأحوال من آثار صنعه .

والثانى بالاختبار وذلك إما أن يكون نطقا أو كتابة أو إشارة ، فمما هو بيان بالحال قوله تعالى : {لا يمدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين}^(٥) أى كونه عدوا بين فى الحال . {تريدون أن تمدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين}^(٦) .

ومما هو بيان بالاختبار كما فى قوله تعالى :

-
- (١) المقاييس (ب ي ن) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الاقضية ، باب اليمين على المدعى ٣/١٢ .
(٣) سورة هود : ١٧
(٤) سورة الاعراف : ١٠١
(٥) سورة الزخرف : ٦٢
(٦) سورة ابراهيم : ١٠

{فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر
(١)
وأزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم} .

وسمى الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود اظهره
(٢)
نحو : {هذا بيان للناس} وسمى ما يشرح به المجمل والمبهم من
(٣)
الكلام بياناً كقوله تعالى : {ثم ان علينا بيانه} .
(٤)

أوجه ورود البينات فى القرآن :

وردت كلمة (بينات) لمعان عدة هى :

- (١) البينات : الانجيل كما فى قوله تعالى : {ولما جاء
(٥)
عيسى بالبينات قال قد جئكم بالحكمة} .
- (٢) البينات : الحجج الظاهرة الدالة على التوحيد كما فى
قوله تعالى : {وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد
(٦)
ما جاءتهم البينات} .
وقوله تعالى :
- {قل انى نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما
(٧)
جاءنى البينات من ربى وأمرت ان أسلم لرب العالمين} .
- (٣) البينات : المعجزات الحسية كما فى قوله تعالى :
(٨)
{وآتيناه عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس} .
وقوله تعالى :

-
- | | |
|-----|---------------------|
| (١) | سورة النحل : ٤٤ |
| (٢) | سورة آل عمران : ١٣٨ |
| (٣) | المفردات ص ٦٩، ٦٨ . |
| (٤) | سورة القيامة : ١٩ |
| (٥) | سورة الزخرف : ٦٣ |
| (٦) | سورة البقرة : ٢١٣ |
| (٧) | سورة غافر : ٦٦ |
| (٨) | سورة البقرة : ٨٧ |

- {ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده
(١)
وانتم ظالمون} .
- (٤) بينات من الأمر : أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة
محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى :
(٢)
{وآتيناهم بينات من الأمر} .
- (٥) البينات هي القرآن كما في قوله تعالى : {اتقتلون رجلا
(٣)
أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم} .
- (٦) البينات هي آيات القرآن كما في قوله تعالى : {وكذلك
(٤)
أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد} .
- وقوله تعالى : {بل هو آيات بينات في صدور الذين
(٥)
أوتوا العلم} .
- (٧) البينات هي بعض آياته كما في قوله تعالى : {سورة
(٦)
أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات} .
- {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل
(٧)
يريد أن يمدكم عما كان يعبد آباؤكم} .

القرآن بينات :

وردت كلمة "بينات" مراداً بها القرآن في موضعين هما :
{شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
(٨)
من الهدى والفرقان} .

(١)	سورة البقرة : ٩٢
(٢)	سورة الجاثية : ١٧
(٣)	سورة غافر : ٢٨
(٤)	سورة الحج : ١٦
(٥)	سورة العنكبوت : ٤٩
(٦)	سورة النور : ١
(٧)	سورة سبأ : ٤٣
(٨)	سورة البقرة : ١٨٥

وقوله تعالى :

(١)

{فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين} .

ونقف عند قوله تعالى : {شهر رمضان الذى أنزل فيه

القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} .

فالحق تعالى يمدح شهر الميام من بين سائر الشهور بأن

اختاره من بينهم لانزال القرآن العظيم فيه .

وفى قوله تعالى : {هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان} مدح للقرآن الذى أنزله الله هدى لقلوب العباد

ممن آمن به ومدقه واتبعه ، وهو بينات أى دلائل وحجج بينة

واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من

الهدى المنافى للضلال ، والرشد المخالف للغى ، ومفرقا بين

(٢)

الحق والباطل والحلال والحرام .

ولابى حيان وقفة مستأنية أمام هذه الآية الكريمة .

فهو يرى أن "بينات" من عطف الخاص على العام لأن الهدى

منه خفى ومنه جلى فنص بالبينات على الجلى من الهدى لأن

القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ فعطف

عليه أشرف أنواعه وهو الذى يتبين به الحلال والحرام

والموعظة .

أن القرآن من جملة هدى الله وبيناته ، والهدى

والفرقان يشمل الكتب الالهية فهذا القرآن بعضها .

(١) سورة المص : ٦

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٠٩، ٣١٠ .

أن فى التعبير عن البينات بالفرقان دون الهدى
والبينات فيطابق العجز المصدر ، لأن منه مزيد معنى لازم
للبينات وهو كونه يفرق بين الحق والباطل فمتى كان الشئ
جليا واضحا حصل به الفرق ولأن فى لفظ الفرقان مؤاخاة
للفاصلة قبله وهو قوله شهر رمضان ثم قال الذى أنزل فيه
القرآن ثم قال هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فحصل
بذلك تواخى هذه الفواصل فصار الفرقان هنا أمكن من لفظ
(١)
البينات من حيث اللفظ والمعنى .

(١) تفسير البحر المحيط ٤٠/٢ .

القرآن بيّنة

معانى "بيّنة" فى القرآن الكريم :

- تعددت معانى هذه الكلمة فى كتاب الله تعالى وهى :
- (١) البيّنة : المعجزات الظاهرة كفلق البحر وانزال المن والسلوى ، قال تعالى :
- (١)
{سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة} .
- (٢) البيّنة : الحجة الظاهرة كما فى قوله تعالى :
- {ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حى عن بيّنة وان الله لسميع عليم} .
(٢)
- (٣) البيّنة : البيان كما فى قوله تعالى :
- (٣)
{قل انى على بيّنة من ربى وكذبتهم به} .
(٤)
- وقوله تعالى : {أولم تأتهم بيّنة ما فى الصحف الاولى} .
- (٤) البيّنة : بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى :
- {وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البيّنة} .
(٥)
- (٥) البيّنة : القرآن الكريم كما فى قوله تعالى :
- {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيتهم البيّنة} . رسول من الله يتلو صحفا مطهرة} .
(٦)

-
- (١) سورة البقرة : ٢١١
(٢) سورة الانفال : ٤٢
(٣) سورة الانعام : ٥٧
(٤) سورة طه : ١٣٣
(٥) سورة البيّنة : ٤
(٦) سورة البيّنة : ٢٠١

القرآن بينة :

نعت القرآن الكريم بأنه بينة فى موضعين اثنين من كتاب الله هما :

- (١) {فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة} . (١)
(٢) {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . رسول من الله يتلو صحفا مطهرة} .
نقف عند قوله تعالى : {فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة} لنستجلي فيها من معانيها . (٣)

فقوله تعالى : {فقد جاءكم ...} جواب لشرط محذوف تقديره ان صدقتكم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحسن الحذوف . (٤)
وفى الآية الكريمة قطع لاعتذارهم بانحصار انزال الكتاب على الطائفتين وبكونهم لم ينزل عليهم كتاب ولو نزل لكانوا أهدي من الطائفتين ، فانزل الله القرآن وهو الحجة الواضحة الدالة النيرة حيث نزل عليهم بلسانهم وألزم العالم أحكامه وشريعته . (٥)

ثم ان مصدر هذه البينة (من ربكم) وفيه دلالة على فضلها الاضافى ، كما ان فى تنوينها التفيخيمى دلالة على فضلها الذاتى وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير مزيد تأكيد لايجاب الاتباع .

-
- (١) سورة الانعام : ١٥٧
(٢) سورة البينة : ٢٠١
(٣) سورة الانعام : ١٥٧
(٤) الكشاف ٦٣/٢ .
(٥) تفسير البحر المحيط لآبى حيان ٢٥٨/٤ .

وقد عطف (هدى ورحمة) على بينة وتنوينهما تفخيماً
أيضاً .

التعبير عن القرآن بالبينة :

وذلك ايذاناً بكمال تمكنهم من دراسته ثم هو هدى ورحمة
تنبيهها على أنه مشتمل على ما اشتملت عليه التوراة من هداية
الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة .^(١)
وقد يكون المراد بالبينة أنه من عند الله لاعجازه
بلغاء العرب ، وهو هدى بما اشتمل عليه من الارشاد الى طرق
الخير ، وهو رحمة بما جاء به من شريعة سمحة لاجرج فيها فهي
مقيمة لمصالح الأمة مع التيسير . وهذا من أعجب التشريع وهو
أدل على أنه من أمر العليم بكل شيء .^(٢)

الفرق بين المجيء والاتيان :

للعلماء جهود في استقضاء الفرق بين المجيء والاتيان :
فمن القدماء أبو هلال العسكري فقد قال :
"جاء فلان كلام تام لايحتاج الى صلة وقولك أتى فلان
يقتضى مجيئه بشيء ولهذا يقال : جاء فلان نفسه ، ولا يقال :
أتى فلان نفسه ثم كثر ذلك ، حتى استعمل أحد اللفظين موضع
الآخر" .^(٣)

ثم نرى الراغب في مفرداته يعرض للفروق بين لفظي جاء
وأتى :

فهو يقول :

(١) تفسير أبي السعود ٢٠٢/٣ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٨٢/٨ .
(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٥٥ .

"والمجىء كالأتیان لكن المجىء أعم لأن الاتیان مجىء بسهولة ، والاتیان قد يقال باعتبار القصد وان لم يكن منه الحصول ، والمجىء يقال اعتبارا بالحصول ، ويقال جاء فى الأعيان والمعانى ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره ولمن قصد مكانا أو عملا أو زمانا" .^(١)

ثم مثل لذلك من كتاب الله تعالى :

(٢)

{وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى} .

(٤)

(٣)

{فإذا جاء الخوف} ، {فقد جاءوا ظلما وزورا} أى قصدوا

الكلام وتعدوه فاستعمل فيه المجىء كما استعمل فيه القصد ،

(٥)

قال تعالى : {إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم} .

(٦)

{وجاء ربك والملك صفا صفا} فهذا بالأمر بالذات وهو

قول ابن عباس رضى الله عنهما .

{وجاء بكذا استحضره نحو : {لولا جاءوا عليه بأربعة

(٨)

(٧)

شهداء} وجاء بكذا يختلف معناه بحسب اختلاف المجىء به .

وقال الراغب فى كلمة "أتى" :

{الاتيان مجىء بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه

أتى وأتاوى وبه شبه الغريب فقيل أتاوى . والاتيان يقال

للمجىء بالذات وبالأمر وبالتدبير . ويقال فى الخير والشر

وفى الأعيان والأعراض نحو قوله تعالى : {إن أتاكم عذاب الله

(١) المفردات ص ١٠٣، ١٠٤ .

(٢) سورة يس : ٢٠

(٣) سورة الأحزاب : ١٩

(٤) سورة الفرقان : ٤

(٥) سورة الأحزاب : ١٠

(٦) سورة الفجر : ٢٢

(٧) سورة النور : ١٣

(٨) المفردات ص ١٠٤ .

(١) أو اتتكم الساعة { ، وقوله تعالى : {أتى أمر الله { أى
(٢)
(٣) بالامر والتدبير ، فاستعمال الاتيان منها كاستعمال المجىء
(٤)
فى قوله تعالى : {لقد جئت شيئا فريا } .

وقال صاحب البرهان :

"(جاء) يقال فى الجواهر والأعيان ، و(أتى) فى المعانى
والأزمان وفى مقابلتها ذهب ومضى ، يقال ذهب فى الأعيان
ومضى فى الأزمان ، ولهذا يقال : حكم فلان ماض ، ولا يقال :
ذاهب لأن الحكم ليس من الأعيان" .

(٥)
وقد جاء فى التنزيل : {ذهب الله بنورهم} ولم يقل
(مضى) لأنه يضرب له المثل بالمعنى المفتقرة الى الحال ،
ويضرب له المثل بالأعيان القائمة بأنفسها فذكر الله (جاء)
فى موضع الأعيان فى الماضى و(أتى) فى موضع المعانى والأزمان
ولننظر الى قوله تعالى : {ولما جاءهم كتاب} لأنه عين وقوله
(٦)
تعالى : {وأنتيناك بالحق وأنا لصادقون} حيث لم يكن الحق
(٧)
مرثيا .

ويؤيد هذا أن (جاء) يعدى بالهمزة ، ويقال : أجاهه ،
(٨)
قال الله تعالى : {فأجاءها المخاض الى جذع النخلة} ولم
يرد (أتاه) بمعنى (أثت) من الاتيان ، لأن المعنى لاستقلال له
(٩)
حتى يأتى بنفسه .

-
- (١) سورة الأنعام : ٤٠
(٢) سورة النحل : ١
(٣) مفردات الراغب ص ٩٠٨ .
(٤) سورة مريم : ٢٧
(٥) سورة البقرة : ١٧
(٦) سورة البقرة : ٨٩
(٧) سورة الحجر : ٦٤
(٨) سورة مريم : ٢٣
(٩) البرهان للزركشى ٤/ ٨١٠، ٨٠ .

ومن المعاصرين الدكتور حسن باجودة .

فقد قام باستقراء مواضع ورود الكلمتين : (جاء) و (أتى) فى القرآن الكريم ودراستهما فى السياقات القرآنية فوصل الى أن (جاء) لاتستعمل فى القرآن الا دليلا على القرب سواء أكان مكانيا أم زمانيا أم نفسيا ، وأن جملة (أتى) لاتستعمل فى القرآن الكريم الا دليلا على البعد ، سواء أكان مكانيا أم زمانيا أم نفسيا .

ثم مثل للقرب الزمانى فى (جاء) والبعد الزمانى فى (أتى) بمثل قوله تعالى : {ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا} . {وقال الملك اثتوى به . فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن} .^(١)^(٢)

ان جملة (أتى) أوحى ببعد يوسف عن قصر الملك فقد كان آنذاك لازال فى السجن .

ثم ان هذا القرب الذى يتصل بجملة (جاء) والبعد الذى يرتبط بجملة (أتى) لا يقتصر على الزمان بل يشمل القرب والبعد المكانيين والنفسيين أيضا وفيما يتصل بالقرب المكانى والنفسى لجملة (جاء) قوله تعالى : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم} .^(٣)

وفيما يتصل بالبعد المكانى والنفسى نجد قول الحق

تعالى :

{حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى أثنى} .^(٤)

-
- | | | |
|-----|----------------|-----|
| (١) | سورة مريم : | ٤٣ |
| (٢) | سورة يوسف : | ٥٠ |
| (٣) | سورة التوبة : | ١٢٨ |
| (٤) | سورة الانعام : | ٧١ |

ويتبين مما سبق أن لكلمتي (جاء) و(أتى) إحياءات خاصة
(١)
ولاستطيع احدهما أن تقوم مقام الأخرى .

ولو طبقنا دلالة (جاء) على القرب بأنواعه الثلاثة
الزمانى والمكانى والنفسى على قوله تعالى : {فقد جاءكم
(٢)
بينة من ربكم وهدى ورحمة} .

فإن جاء فى هذه الآية تدل على القرب المكانى والزمانى
فقط أما القرب النفسى وهو الأهم فلانكاد نجده يؤيد هذا سياق
الآيات قبل هذه الآية :

{وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون} أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أننا نزل علينا
الكتاب لكنا أهدي منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى
(٣)
ورحمة} .

فالآيات خطاب لأهل مكة بأنهم قد جاءهم كتاب مبارك
عليهم اتباعه لعلهم يرحموا لئلا يقولوا لولا أنزل علينا
كتاب بلغتنا لكنا آمناء أو لئلا يقولوا لولا أنزل الكتاب
علينا لكنا أهدي منهم لجودة أذهاننا .

فهذا الكتاب بين أيديكم قريب منكم ولكنه بعيد عن
قلوبكم فناسب المجيء هنا ليدل على القرب المكانى والزمانى
دون النفسى وهو الأهم وهذا أبلغ فى توبيخهم حيث تم لهم
كتاب بين أيديهم فلم يؤمنوا فهذا أدل على ضلالهم
وخسرانهم .

(١) تأملات فى سورة الحاقة ص ٤٩-٥٢، ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٧

(٣) سورة الأنعام : ١٥٥-١٥٧

القرآن "مبين" وآيات "مبينات" :

مما جاء فى معنى هذه المادة ، ويقال : بان الحق يبين بياناً فهو بائن ، وأبان يبين فهو مبين ، بمعناه طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الأمة .
وقال الزجاج : بان الشئ وأبان بمعنى واحد : ويقال : بان الشئ وابنته ، فمعنى أنه مبين خيره وبركته أو مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام ومبين أن نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ومبين قصص الأنبياء .^(١)

القرآن "مبين" وآيات "مبينات" :

نعت القرآن الكريم بأنه مبين فى اثنى عشر موضعاً ، وبآيات مبينات فى موضعين منها قوله تعالى :
{ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين }^(٢)
{ قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبيناً }^(٣)
{ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين }^(٤)
{ لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين }^(٥)
{ لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم }^(٦)

وقد جاء "مبين" نعتاً لكتاب فى سبعة مواضع ونعتاً

-
- | | |
|-----|-------------------------|
| (١) | لسان العرب مادة (بين) . |
| (٢) | سورة المائدة : ١٥ |
| (٣) | سورة النساء : ١٧٤ |
| (٤) | سورة الحجر : ١ |
| (٥) | سورة النحل : ١٠٣ |
| (٦) | سورة النور : ٤٦ |

للقرآن فى موضعين والكتاب والقرآن اسمين للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويدلان على الجمع فسمى بالكتاب لانه (١)
اجتمع فيه جميع العلوم وسمى بالقرآن لكونه جامعا لثمرة (٢)
كتب الله تعالى بل لجمعه ثمرة جميع العلوم ففى معنى القرآن معنى الكتاب مع زيادة فى المعنى فجاء النعت بمبين لكلا الاسمين ليدل على ان هذا الجمع للعلوم وهذه الثمرة لها انما كان على وجه الابانة والافصاح ولاعجب فهو تنزيل رب العالمين جلت قدرته ودقت صنعته .

وجاء "مبين" نعتا للسان فى موضعين منهما قوله تعالى (٣)
{بلسان عربى مبين} وقد سبق هذا النعت بنعت آخر وهو (عربى) ودلالة مادة (ع ر ب) ومادة (ب ي ن) تجمعهما الابانة والافصاح وفى هذا غاية التنويه والاشادة بفصل القرآن .
وفى قوله تعالى : {قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا} . (٤)

فالنور المراد فى الآية الكريمة القرآن العظيم فكما ان النور هو الظاهر الذى به كل ظهور فكذلك القرآن ظاهر جلى لكل من قرأه وتدبره .

وهو مظهر لغيره وكذلك القرآن يظهر الحقائق ويجلو (٥)
الدقائق ثم هو بعد كل ذلك مبين ولفظ "مبين" لاينفك عن هذا الغرض الذى هو من خصائص النور فالمبين هو :

"الظاهر وهو من أبان مرادف بان ، أى تلك آيات الكتاب

(١) تفسير الرازى ١٤/٢ .

(٢) المفردات ص ٤٠٢ .

(٣) سورة الشعراء : ١٩٥

(٤) سورة النساء : ١٧٤

(٥) أسماء القرآن فى القرآن لمحمد غازى ص ١٠١ .

الواضح كونه من عند الله لما فيه من المعانى العظيمة
والنظم المعجز واذا كان الكتاب مبينا كانت آياته المشتمل
عليها آيات مبينة على صدق الرسل بها .

ويجوز أن يكون (مبين) من أبان المتعدى ، أى الذى بين
مافيه من معانى الهدى والحق وهذا من استعمال اللفظ فى
معنييه كالمشترك" (١) .

واذا تأملنا آيات أربع من آيات نعت القرآن بمبين وهى

قوله تعالى :

(٢)

{تلك آيات الكتاب المبين} .

(٣)

{ان هو الا ذكر وقرآن مبين} .

(٤)

{قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا} .

(٥)

{بلسان عربى مبين} .

فارتباط هذه النعوت الاربعة بما قبلها من أسماء
للقرآن أو نعوته مما يوجب انعام النظر ومزيد التأمل اذ
ان كتاب وقرآن مبين يدلان على شرف المضمون وذلك استنادا
لمعناهما اللغوى ، ونور مبين يدل على صدقه ، اضافة الى
كونه مرشدا لغيره وهاديا ، ثم هو منسوج على منوال أفصح
لغة وفى كل ذلك دليل على كمال هذا الكتاب من كل جوانبه .

(١) تفسير التحرير والتنوير ٩٢/١٩ .

(٢) سورة الشعراء : ٢

(٣) سورة يس : ٦٩

(٤) سورة النساء : ١٧٤

(٥) سورة الشعراء : ١٩٥

مغزى الجمع بين التسمية بالقرآنية والكتابية

وتقديم أحدهما على الآخر :

قال الله تعالى :

(١)

{الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين} .

(٢)

{طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين} .

فى هذا الشأن يقول صاحب (ارشاد العقل السليم الى

مزايا القرآن الكريم) :

"ولقد فخم شأنه العظيم ما جمع فيه من وصفى الكتابة والقرآنية على الطريقتين احدهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها . والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا فى بابہ خارجا عن دائرة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما أن الإشارة الى امتيازہ عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل فى المدح كيلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازہ عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة " (٣)

ويضيف صاحب (التحرير والتنوير) الى المغزى من تقديم الكتاب على القرآن فى الذكر ، وهو أن سياق الكلام توبيخ الكافرين وتهديدہم بأنه سيجىء وقت يتمنون فيه أن لو كانوا مؤمنين فلما كان الكلام موجها الى المنكرين ناسب أن يستحضر المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعنوانه الاعم وهو كونه كتابا ، لأنهم حين جادلوا ما جادلوا الا فى كتاب فقالوا

(١) سورة الحجر : ١

(٢) سورة النمل : ١

(٣) تفسير أبى السعود ٦٣/٥ .

(١)

{لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم} .

ولأنهم يعرفون ما عند الأمم الآخرين بعنوان (كتاب)
(٢)
ويعرفونهم بعنوان (أهل الكتاب) .

مغزى تقديم "القرآن" على "الكتاب" في قوله تعالى :

(٣)

{طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين} .

وفخم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية
المنبئة عن كونه بديعا في بابها ممتازا عن غيره بالنظم
المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى : {قرآنا عربيا غير ذي
(٤)
عوج} .

ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال
الكتب فكأنه كلها وإنما قدم الوصف الأول هنا نظرا الى تقدم
(٥)
حال القرآنية على حال الكتابية .

وأشار صاحب (التحرير والتنوير) الى مغزى هذا التقديم
بأنه إنما قدم في هذه الآية القرآن وعطف عليه "كتاب مبين"
على عكس ما في بدء سورة الحجر ، لأن المقام هنا مقام
التنويه بالقرآن ومتبعيه المؤمنين ، ثم عطف عليه "كتاب
مبين" ليكون التنويه جامعا لعنوانيه ومستكملا للدلالة
بالتعريف على معنى الكمال في نوعه من المقروءات والدلالة
بالتنكير على معنى تفخيمه بين الكتب كقوله تعالى :
(٦)
{مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه} .

(١) سورة الأنعام : ١٥٧

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٤/١٠٠٩ .

(٣) سورة النمل : ١

(٤) سورة الزمر : ٢٨

(٥) تفسير أبي السعود ٦/٢٧١، ٢٧٢ .

(٦) سورة المائدة : ٤٨

وأما فى أول سورة الحجر فهو مقام التحسير للكافرين
من جراء اعراضهم عن الاسلام فناسب أن يبتدئوا باسم الكتاب
المشتق من الكتابة دون القرآن لأنهم بمعزل عن قراءته ولكنه
مكتوب ، وحجة باقية عليهم على مر الزمان .^(١)

القرآن الكريم "بيان" و"تبيان" :

نعت القرآن العظيم بأنه "بيان" وتبيان فى قوله
تعالى : {هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين} .^(٢)
وقوله تعالى : {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} .^(٣)
وقد تفرد القرآن بنعته (بالبيان ، والتبيان ،
والمبين) دون غيره من الكتب السماوية ، وقد رأيناها تشترك
معه فى بعض النعوت كما فى قوله تعالى فى نعت {ومصدقا لما
بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين} .^(٤)
وكذلك نعتت التوراة بأنها رحمة كما فى قوله تعالى :
{ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة} .^(٥)

معنى البيان :

البيان : الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق مختص
بالإنسان ويسمى ما بين به بيانا .
وسمى الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود اظهاره

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢١٨/١٩ .
(٢) سورة آل عمران : ١٣٨
(٣) سورة النحل : ٨٩
(٤) سورة المائدة : ٤٦
(٥) سورة هود : ١٧

(١)
 نحو : {هذا بيان للناس} وسمى ما يشرح به المجلل والمبهم من
 الكلام بيانا نحو قوله تعالى : {ثم ان علينا بيانه} .
 ويقال بينته وابنته اذا جعلت له بيانا تكشفه نحو {التبيين
 للناس منازل اليهم} .

والبيان : الفصاحة واللسن وكلام بين فصيح .
 (٤)
 والبيان : الافصاح مع ذكاء .

تأملات بيانية في قوله تعالى :

{هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين} .

الفرق بين البيان والهدى والموعظة :

والعطف يقتضى المغايرة وفى معنى هذه النعوت المعطوفة

وجهان :

(الاول) : أن البيان هو الدلالة التى تفيد ازالة
 الشبهة بعد أن كانت الشبهة حاصلة ، فالفرق أن البيان عام
 فى أى معنى كان ، وأما الهدى فهو بيان لطريق الرشد ليسلك
 دون طريق الغى . وأما الموعظة فهى الكلام الذى يفيد الزجر
 عما لاينبغى فى طريق الدين ، فالحاصل أن البيان جنس تحته
 نوعان : أحدهما : الكلام الهادى الى ماينبغى فى الدين وهو
 الهدى .

الثانى : الكلام الزاجر عما لاينبغى فى الدين وهو
 الموعظة .

(الوجه الثانى) : أن البيان هو الدلالة ، وأما الهدى
 فهو الدلالة بشرط كونها مفضية الى الاهتداء .

(١) سورة آل عمران : ١٣٨

(٢) سورة القيامة : ١٩

(٣) المفردات للراغب ص ٦٩ .

(٤) اللسان (بى ن) .

تخصيص البيان والهدى والموعظة للمتقين :

وفيه وجهان :

(الأول) : أنهم هم المنتفعون به فكانت هذه الأشياء فى حق غير المتقين كالمعدومة ، ونظيره قوله تعالى : {انما أنت منذر من يخشاها} .^(١)

(الثانى) : أن قوله تعالى : {هذا بيان للناس} كلام عام ثم قوله {وهدى وموعظة للمتقين} مخصوص بالمتقين ، لأن الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية ، ولاشك أن هذا المعنى لا يحصل الا فى حق المتقين .^(٢)

معنى "التبيان" :

{ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} .

وهو مصدر ولم يجىء من المصادر على وزن تفعال بالكسر الا تبيان وتلقاء وفى الاسماء كثير نحو التمساح والتمثال . وتبياناً أى بياناً شافياً بليغاً ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .^(٣)

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} .

والتبيان مصدر دال على المبالغة فى المصدرية ، ثم أريد به اسم الفاعل فحصلت مبالغتان .

(١) سورة النازعات : ٤٥

(٢) تفسير الرازى ١٣، ١٢/٩ .

(٣) تفسير الصاوى على الجلالين ٢٧٢/٢ .

وفى قوله تعالى : { كل شيء } يفيد العموم ، الا أنه عموم عرّفى فى دائرة مالمثله تجىء الأديان والشرائع : من اصلاح النفوس ، واكمال الأخلاق ، وتقويم المجتمع المدنى ، وتبيين الحقوق ، وماتتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوحدانية ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومايأتى خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية ، ووصف أحوال الأمم ، وأسباب فلاحها وخسارها والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ ، ومايتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم .

وفى خلال ذلك كله أسرار ونكت من أصول العلوم والمعارف صالحة لأن تكون بياناً لكل شيء على وجه العموم الحقيقى ان سلك فى بيانها طريق التفصيل واستنير فيها بما شرح الرسول صلى الله عليه وسلم وماقفاه به أصحاب وعلماء أمته ، ثم مايعود الى الترغيب والترهيب من وصف ما أعد للطائعين وما أعد للمعرضين ، ووصف عالم الغيب والحياة الآخرة فى كل ذلك بيان لكل شيء يقصد بيانه للتبصر فى هذا الغرض الجليل فيؤول ذلك العموم العرّفى بصريحه الى عموم حقيقى بضمنه ولوازمه . وهذا من أبدع الاعجاز .

وخص بالذكر الهدى والرحمة والبشرى لأهميتها ، فالهدى مايرجع من التبيان الى تقويم العقائد والأفهام والانقاذ من الضلال ، والرحمة مايرجع منه الى سعادة الحياتين الدنيا والآخرة ، والبشرى ما فيه من الوعد بالحسنين الدنيوية والآخروية ، وكل ذلك للمسلمين دون غيرهم لأن غيرهم لما أعرضوا عنه حرموا أنفسهم الانتفاع بخواصه كلها .^(١)

القرآن مبارك

دلالة اللفظ اللغوية :

برك : الباء والراء والكاف أصل واحد ، وهو ثبات الشيء ، ثم يتفرع فروعا يقارب بعضها بعضا ... قال الخليل البركة من الزيادة والنماء . والتبريك : أن تدعو بالبركة و (تبارك الله) تمجيد وتجليل . وفسر على (تعالى الله) . قال أبو حاتم طعام بريك أى ذو بركة .^(١)

قال الراغب : والبركة ثبوت الخير الإلهى فى الشيء ،^(٢) قال تعالى : {لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} وسمى بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء فى البركة ، والمبارك مافيه ذلك الخير ، قال تعالى : {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} تنبيها على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية ، وقال تعالى : {وجعلنى مباركا} أى موضع الخيرات الإلهية ، وقوله تعالى :^(٣) {رب أنزلنى منزلا مباركا} أى حيث يوجد الخير الإلهى .^(٤)

ولما كان الخير الإلهى يمد من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة ، وإلى هذه الزيادة أشير بما روى أنه لا ينقص مال من صدقة لآلى النقصان المحسوس .^(٥)

-
- (١) المقاييس مادة (ب ر ك) .
 (٢) سورة الأعراف : ٩٦
 (٣) سورة الأنبياء : ٥٠
 (٤) سورة مريم : ٣١
 (٥) سورة المؤمنون : ٢٩
 (٦) مفردات الراغب ص ٤٤ .

اختصاص لفظ "تبارك" بالله تعالى :

- وكل موضع ذكر فيه "تبارك" فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع "تبارك" والتي لا يشاركه فيها (١)
أحد ، وقد ذكر التعبير ب(تبارك) فى مواضع :
- (٢)
* عند بيان الخالقية {تبارك الله أحسن الخالقين} .
(٣)
* عند بيان الربوبية {تبارك الله رب العالمين} .
- * عند بيان كرم الله وجلاله {تبارك اسم ربك ذي الجلال والاکرام} . (٤)
- * عند بيان الملك {وتبارك الذى له ملك السموات والأرض} . (٥)
- * عند بيان القهر والقدرة {تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير} . (٦)
- * عند بيان بدائع صنع الله {تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا} . (٧)
- * عند بيان نفاذ المشيئة {تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا} . (٨)
- * عند بيان عظمة القرآن وشرفه {تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} . (٩)

-
- (١) مفردات الراغب ص ٤٤ .
(٢) سورة المؤمنون : ١٤
(٣) سورة الاعراف : ٥٤
(٤) سورة الرحمن : ٧٨
(٥) سورة الزخرف : ٨٥
(٦) سورة الملك : ١
(٧) سورة الفرقان : ٦١
(٨) سورة الفرقان : ١٠
(٩) سورة الفرقان : ١

(١)
من مواضع ورود البركة فى القرآن الكريم :

- وقد وردت البركة فى القرآن فى أربعة عشر شيئاً منها :
- الأول : فى الكعبة التى هى قبلة العالمين {الذى بركة
(٢)
مباركا} .
- الثانى : فى المطر الذى به حياة المتنفسين {ونزلنا
(٣)
من السماء ماء مباركاً} .
- الثالث : فى السلام الذى هو شعار المسلمين {تحية من
(٤)
عند الله مباركة طيبة} .
- الرابع : فى أولاد ابراهيم خليل رب العالمين {وباركنا
(٥)
عليه وعلى اسحاق} ، {رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت} .
(٦)
- الخامس : فى أولاد نوح شيخ المرسلين {يانوح اهبط بسلام
(٧)
منا وبركات عليك} .
- السادس : فى الأرض التى هى مقر الأدميين {وبارك فيها
(٨)
وقدر فيها أقواتها} .
- السابع : فى البقعة التى هى محل موسى حيث ناداه رب
(٩)
العالمين {فى البقعة المباركة} .
- الثامن : فى نار موسى ليلة طور سينين {أن بورك من فى
(١٠)
النار} أى فى طلب النار .

-
- (١) البصائر ٢/٢٠٩، ٢٠٨ .
(٢) سورة آل عمران : ٩٦
(٣) سورتى : ٩
(٤) سورة النور : ٦١
(٥) سورة الصافات : ١١٣
(٦) سورة هود : ٧٣
(٧) سورة هود : ٤٨
(٨) سورة فصلت : ١٠
(٩) سورة القصص : ٣٠
(١٠) سورة النمل : ٨

- (١) التاسع : فى شجرة الزيتون {يوقد من شجرة مباركة} .
- العاشر : فى المسجد الاقصى الذى هو ممر سيد الرسل الى
أعلى عليين {الى المسجد الاقصى الى باركنا حوله} (٢) .
- الحادى عشر : فى ليلة القدر التى هى موسم الرحمة
والغفران للعاصمين والمذنبين {انا أنزلناه فى ليلة
مباركة} (٣) .
- الثانى عشر : فى القرآن الذى هو أعظم معجزات المصطفى
على الله عليه وسلم {وهذا ذكر مبارك} (٤) .
- الثالث عشر : فى المنزل الذى قصد ، لأعلى التعيين {رب
أنزلنى منزلا مباركا} أى حيث يوجد الخير الإلهى . (٥)

القرآن الكريم "مبارك" :

- ورد لفظ "مبارك" ومشتقاته فى القرآن الكريم فى اثنين
وثلاثين موضعا ذكر القرآن فى أربع منها سنذكرها متأملين
لبعض ما فيها من وجوه البيان ودقائقه .
- (١) {وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر
أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة وهم على
صلاتهم يحافظون} (٦) .
- والملاحظ أن القرآن الكريم فى كل المواضع الأربعة
الخامة بنعته جاءت صيغة "مبارك" والمبارك هو الذى يأتى من

(١)	سورة النور : ٣٥
(٢)	سورة الاسراء : ١
(٣)	سورة الدخان : ٣
(٤)	سورة الانبياء : ٥٠
(٥)	سورة المؤمنون : ٢٩
(٦)	سورة الانعام : ٩٢

قبله الخير الكثير كما أشار ابن منظور فى حديثه عن هذه
المادة .

وقد رأى أحد الباحثين فى هذا اللفظ أن المقصود به :

- (١) أن الله تعالى قد بارك القرآن أو بارك فيه .
- (٢) بما فضل به ما قبله من الكتب فى النظم والمعنى .
- (٣) وبما يكون من خلوده وثباته وبطائه الى آخر عمر البشر
فى هذه الدنيا .

(٤) بما حواه من هداية وعلوم ومعارف وأحكام فيها خير
وبركة لمن قام بها ودعا اليها ، وعاش تحت لوائها .^(١)
أن صيغة "مبارك" جاءت فى كل المواضع نكرة وفى
التنكير مافيه من دلالة على تعظيم كتاب الله .

وفى الآية {وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين
يديه ...} بدئت باسم الإشارة المفيد تمييز الكتاب أكمل
تمييز ، وبناء فعل "أنزلنا" على خبر اسم الإشارة ، وهو
"كتاب" الذى هو عينه فى المعنى ، لفادة التقوية ، كأنه
قيل : وهذا أنزلناه وجعل "كتاب" الذى حقه أن يكون مفعول
"أنزلنا" مسنداً اليه ، ونصب فعل "أنزلنا" لضميره ، لفادة
تحقيق انزاله بالتعبير عنه مرتين ، وذلك كله للتنويه بشأن
هذا الكتاب .^(٢)

واسناد شرف نزوله الى الله تعالى هنا وفى كل مواضع
نعت القرآن "بمبارك" .

وقال تعالى فى موضع آخر من سورة الانعام :

(١) أسماء القرآن ص ١١٩ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٣٦٩/٧ .

{وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا الله لعلكم
(١)
ترحمون} .

وهنا بعد أن نعت الكتاب بأنه منزل من عند الله
ومبارك جاء الأمر باتباعه لأن ما كان على مثل هذه النعوت
لا يتردد أحد في اتباعه والعمل بما فيه .

وحسن عطف "مبارك" على "أنزلناه" لأن اسم المفعول في
قوة الفعل . والأمر بالتقوى وهي الأخذ بدين الحق والعمل به .
وفى قوله : {لعلكم ترحمون} وعد على اتباعه وتعريض
بالوعيد بعذاب الدنيا والآخرة أن لم يتبعوه .
(٢)

وقال تعالى : {وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له
(٣)
منكرون} .

ونعت القرآن الكريم بالذكر لأن لفظ الذكر جامع لجميع
النعوت المتقدمة في قوله {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرنا للمتقين} ثم تلا تلك النعوت نعت القرآن بالذكر
ثم بالمبارك والقرآن كله خير من جهة بلاغة ألفاظه وحسنها
وسرعة حفظه وسهولة تلاوته ، وهو أيضا خير لما اشتمل عليه
من أفنان الكلام والحكمة والشرعية واللطائف البلاغية ، وهو
في ذلك كله آية على صدق الذي جاء به لأن البشر عجزوا عن
الاتيان بمثله وتحداهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فما
استطاعوا . وبذلك اهتمت به أمة كثيرة في جميع الأزمان
وانتفع به من آمنوا به وفريق ممن حرموا الايمان ، فكان
وصفه بأنه مبارك وافيا على وصف كتاب موسى عليه السلام بأنه

(١) سورة الانعام : ١٥٥

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٧٨/٨ ، ١٧٩ .

(٣) سورة الانبياء : ٥٠

فرقان وضياء .

ثم عقب على تلك النعوت العظيمة للقرآن باستفهام توبيخى تعجبنى من انكارهم صدق هذا الكتاب ومن استمرارهم على ذلك الانكار بقوله تعالى : { أفأنتم له منكرون } ولكون انكارهم صدقه حاصلًا منهم في حال الخطاب جرى بالجملة الاسمية ليتأتى جعل المسند اسما دالا على الاتصاف في زمن الحال وجعل الجملة دالة على الثبات في الوصف وفاء بحق بلاغة النظم .^(١)

وقوله تعالى : { كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب } .^(٢)

ونلاحظ هنا تنكير "كتاب" للتعظيم لأن الكتاب معلوم فما كان تنكيره الا للتعظيم شأنه وهو مبتدأ سوغ الابتداء به وصفه بجملة "أنزلناه" ومبارك هو الخبر . ولنا أن نجعل مافى التنكير من معنى التعظيم مسوغا للابتداء .^(٣)

فهذا الكتاب المنزل المبارك أوجد لتدبر آياته والتدبر التفكير فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة .^(٤)

ثم تلا التدبر بالتذكر وهو استحضار الذهن ما كان يعلمه وهو صادق باستحضار ما هو منسى وباستحضار ما الشأن أن لا يغفل عنه وهو ما يهم العلم به ، فجعل القرآن للناس ليتدبروا معانيه ويكشفوا عن غوامضه بقدر الطاقة فانهم على تعاقب طبقات العلماء به لا يملون الى نهاية من مكنونه ولتذكرهم

(١) تفسير التحرير والتنوير ٩١٠٩٠/١٧ .

(٢) سورة ص : ٢٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢٥١/٢٣ .

(٤) الكشف ٣٧٢/٣ .

الآية بنظيرها وما يقاربها ، وليتذكروا ما هو موعظة لهم
(١) وموقف من غفلاتهم .

ثم نعت الحق هؤلاء المتدبرين المتذكرين بأنهم "أولو
الآلئاب" .

واللب : العقل الخالص من الشوائب وقيل هو ما زكا من
العقل ، فكل لب عقل وليس كل عقل لباً . ولهذا علق الله
تعالى الأحكام التي لا يدركها إلا أصحاب العقول الزكية بأولى
(٢) الآلئاب .

وفى هذا القول "أولو الآلئاب" تعريض بأن الذين لم
يتذكروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول ، وأن التذكر شأن
المسلمين فهم ممن تدبروا آياته فاستنبطوا من المعاني ما لم
يعلموا ، ومن قرأه فتذكر به ما كان علمه وتذكر به حقا كان
عليه أن يرهه ، والكافرون أعرضوا عن التدبر فلاجرم فاتهم
(٣) التذكر .

(١) سورة ص : ٢٥٢

(٢) المفردات ص ٤٤٦ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢٣/٢٥٣ .

القرآن كتاب كريم

الدلالة اللغوية للفظ "كريم" :

"الكاف والراء والميم أمل صحيح له بابان : أحدهما شرف فى الشيء فى نفسه أو شرف فى خلق من الأخلاق . يقال رجل كريم ، وفرس كريم ، ونبات كريم . وأكرم الرجل ، إذا أتى بأولاد كرام . واستكرم : اتخذ عِلْقًا كريما . وَكَّرَمَ السحاب : أتى بالغيث . وأَرْضٌ مَكْرُومَةٌ للنبات ، إذا كانت جيدة النبات . والكَّرَم فى الخُلُق يقال هو المَصْفَح عن ذنب المذنب . قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : الكريم : المصفوح . والله تعالى هو الكريم المصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين .

والأصل الآخر الكَرَم ، وهى القِلادة . وأما الكَرَم فإلِعَبَب أيضا لأنه مجتمَع الشعب منظوم الحب" (١) .

والمراد هو الأصل الأول .

والكرم إذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وأنعامه المتظاهر نحو قوله : {فإن ربى غنى كريم} (٢) وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التى تظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه . قال بعض العلماء : الكرم كالحرية إلا أن الحرية قد تقال فى المحاسن الصغيرة والكبيرة .

والكرم لا يقال إلا فى المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا فى تجهيز جيش فى سبيل الله وتحمل حمالة تُرْقِيءُ دماء قوم .

(١) المقاييس مادة (ك ر م) .

(٢) سورة النمل : ٤٠ .

وقوله تعالى : { ان أكرمكم عند الله أتقاكم } فانما (١)
كان كذلك لأن الكرم الافعال المحمودة وأكرمها وأشرفها
ما يقصد به وجه الله تعالى ، فمن قصد ذلك بمحاسن فعله فهو
التقى فاذا أكرم الناس أتقاهم .

وكل شيء شرف في بابه فانه يوصف بالكرم ، قال تعالى : (٢)
{ فأنبتنا فيها من كل زوج كريم } ، وقوله تعالى أيضا : { وقل
لهما قولا كريما } (٤)

والاكرام والتكريم أن يوصل الى الانسان اكرام أى نفع
لا يلحقه فيه غضاظة أو أن يجعل مايوصل اليه شيئا كريما أى
شريفا ، قال تعالى : { هل أتاك حديث ابراهيم المكرمين } (٥)
وقوله : { بل عباد مكرمون } أى جعلهم كراما ، قال تعالى : (٦)
{ كراما كاتبين } ، وقوله تعالى : { ذو الجلال والاکرام } منظو (٨)
على المعنيين . (٩)

من معانى لفظ "كريم" فى اللغة :

يقول الفيروز ابادى فى البصائر واختلفوا فى معنى (١٠)
الكريم على ثلاثين قولا ولم يشر الى موضع ورودها وانما جاء
فى معجمه منها :

والكريمان الحج والجهاد ومنه خير الناس مؤمن بين

-
- (١) سورة الحجرات : ١٣
(٢) المفردات ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
(٣) سورة لقمان : ١٠
(٤) سورة الاسراء : ٢٣
(٥) سورة الذاريات : ٢٤
(٦) سورة الانبياء : ٢٦
(٧) سورة الانفطار : ١١
(٨) سورة الرحمن : ٢٧
(٩) المفردات ص ٤٢٩ .
(١٠) ٣٤٣/٤ .

كريمين أو معناه بين فرسين يغزو عليهما أو بعيرين يستقى عليهما وأبوان كريمان مؤمنان وكريمتك أنفك وكل جارحة شريفة كالآذن واليد والكريمتان العينان .^(١)

صيغ ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم :

جاءت صيغ الفعل في كل أزمنته ، وأكثرها ورودا الفعل الماضي حيث جاء في أربعة مواضع أما المضارع والامر فكل منهما في موضع واحد .

قال تعالى :

(٢)

{ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر} .

(٣)

وقوله تعالى : {قال أرايتك هذا الذي كرمت على} .

(٤)

وقوله : {كلا بل لا تكرمون الييتيم} .

وقوله : {وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي

(٥)

مشواه} .

أكثر الصيغ ورودا في هذه المادة في القرآن صيغة

المبالغة "كريم" وقد جاءت نعتا للحق تعالى في موضعين

(٦)

اثنين في قوله تعالى : {ومن كفر فان ربي غنى كريم} .

(٧)

وقوله تعالى : {ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم} .

وجاءت صيغة "الكريم" نعتا لألفاظ مختلفة كما في قوله

تعالى :

(١) القاموس المحيط مادة (ك ر م) .

(٢) سورة الاسراء : ٧٠

(٣) سورة الاسراء : ٦٢

(٤) سورة الفجر : ١٧

(٥) سورة يوسف : ٢١

(٦) سورة النمل : ٤٠

(٧) سورة الانفطار : ٦

- (١) {ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم} .
 وقوله تعالى : {أولئك لهم مغفرة ورزق كريم} (٢)
 وبصيغة "فَعَال" "كِرَام" فى ثلاثة مواضع منها قوله تعالى
 {بأيدي سفرة كرام برره} (٣)
 وجاءت "مُكْرَمُونَ" فى خمسة مواضع منها قوله تعالى :
 {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون} (٤)
 وقوله تعالى : {قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى
 ربى وجعلنى من المكرمين} (٥)
 وصيغة (المُكْرَم) فى موضع واحد قال تعالى : {ومن يهن
 الله فما له من مكرم} (٦)
 ثم نرى صيغة اسم التفخيل المعرّفة لاتأتى نعتا الا
 للذات العلية قال تعالى : {اقرأ وربك الاكرم} (٧) فهو الكثير
 الخير الجواد المعطى الذى لاينفد عطاؤه ، وهو صاحب الكرم
 المطلق .
 وتأتى صيغة "الإكرام" فى موضعين من الكتاب العزيز
 نعتا للحق تعالى :
 (٨) قوله تعالى : {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} .
 وقوله : {تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام} (٩)
 وقد أشار الراغب فى مادة "كرم" الى الاكرام والتكريم

(١)	سورة الدخان : ١٧
(٢)	سورة سبأ : ٤
(٣)	سورة عبس : ١٦، ١٥
(٤)	سورة الانبياء : ٢٦
(٥)	سورة يس : ٢٧
(٦)	سورة الحج : ١٨
(٧)	سورة العلق : ٣
(٨)	سورة الرحمن : ٢٧
(٩)	سورة الرحمن : ٧٨

بقوله : "والاكرام والتكريم أن يوصل الى الانسان اكرام أى نفع لايحقه فيه غضاة أو أن يجعل مايوصل اليه شيئا كريما أى شريفا" .

(١)
والاكرام منظو على المعنيين .

نعت القرآن "بكريم" فى الكتاب العزيز :

نعت القرآن "بالكرم" فى موضعين وبنعتين هما قوله تعالى :

{انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون
(٢)
تنزيل من رب العالمين} .

وقوله تعالى : {فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة} (٣)

وكلا النعتين لم يردا الا فى موضعين الا أن نعته بكريم كان صيغة شاركة فيها غيره ، أما "مُكْرَمَة" فقد تفرد القرآن بهذا النعت فلم يرد مع غيره ، "والمُكْرَم" تعنى الكرم وزيادة لأن معناها اللغوى هو أن المُكْرَم الرجل الكريم على كل أحد وهذا النعت ينطبق على كتاب الله تعالى ويليق به .

واذا وقفنا عند قول الحق تعالى السابق :

{انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون
تنزيل من رب العالمين} .

نجد أن هذه النعوت بهذا السياق الفريد قد جمعت للقرآن بين شرف الذات وصون المضمون النفيس من التبديل والتغيير وهذه النزاهة المعنوية مقرونة بنزاهة حسية فلايمسه الا طاهر ، ولابد أن يحف بكل هذا التميز فهو منزل من الله تعالى .

(١) مفردات الراغب ص ٤٢٩ .

(٢) سورة الواقعة : ٧٧

(٣) سورة عبس : ١٣

القرآن أحسن القصص

المعنى اللغوى "القص" :

القاف والماد اصل صحيح يدل على تتبّع الشيء . ومن ذلك قولهم : اقتصمت الاثر اذا تتبعته . ومن ذلك اشتقاق القصاص فى الجراح ، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالاول ، فكأنه اقتص أثره . ومن الباب القصة والقصص ، كل ذلك يتتبع فيذكر .^(١)

والقصة : الخبر وهو القصص . وقصّ عليّ خبره يقمه قصّاً وقصماً : أورده . والقصص : الخبر المقصوص ، بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه . والقصص ، بكسر القاف : جمع القصة التى تكتب .^(٢)

الفرق بين القصص والحديث :

أن القصص ما كان طويلاً من الأحاديث متحدثاً به عن سلف ومنه قوله تعالى : {نحن نقص عليك أحسن القصص} وسمى الخبر الطويل قصصاً لأن بعضه يتتبع بعضاً حتى يطول واذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص .
والحديث يكون عن سلف وعن حضر ويكون طويلاً وقصيراً ، ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التى يتلو بعضها بعضاً ، والحديث يكون عن ذلك وعن غيره ، وهذه قصة الرجل

(١) المقاييس مادة (ق ص) .
(٢) اللسان ، مادة (ق ص ص) .
(٣) سورة يوسف : ٣

يعنى الخبر عن مجموع أمره وسميت قصة لأنها يتبع بعضها بعضا
(١)
حتى تحتوى على جميع أمره .

مواضع ورود هذه المادة فى القرآن :

وردت هذه المادة فى ست وعشرين آية وأكثر ورودها كان

بصيغة الفعل اما مفردا كما فى قوله تعالى :

(٢)
{ورسلا قد قمصناهم عليك من قبل} .
(٣)
{تلك القرى نقص عليك من أنبائها} .

وصيغة الفعل كما هو معروف تدل على التجدد والاستمرار

وهو ما يتلاءم مع المعنى كما فى الآيتين السابقتين .

أو مجيء الفعل مع المصدر كما فى قوله تعالى :

(٤)
{نحن نقص عليك أحسن القصص} .
(٥)
{فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف} .

أما مجيء المصدر وحده فذلك فى سبعة مواضع منها :

(٦)
{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى} .
(٧)
{قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قمصا} .
(٨)
{لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الابواب} .

ولما كان المعنى يتلاءم مع ما يدل على الثبوت والملازمة

جاء بالمصدر فقط كما فى الآيات السابقة .

-
- (١) الفروق اللغوية ص ٣٠٠، ٢٩ .
(٢) سورة النساء : ١٦٤
(٣) سورة الاعراف : ١٠١
(٤) سورة يوسف : ٣
(٥) سورة القصص : ٢٥
(٦) سورة البقرة : ١٧٨
(٧) سورة الكهف : ٦٤
(٨) سورة يوسف : ١١١

القرآن "قصص" و "يقص القصص" :

نعت القرآن بأنه "قصص" و "يقص القصص" فى ثمانية عشر موضعا منها :

- (١) { ألم يأتكم رسل منكم يقيمون عليكم آياتى } .
(٢) { فاقصص القصص لعلهم يتفكرون } .
{ ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون } .
(٣)
بل ان القرآن الكريم هو (القصص الحق) وانه (أحسن القصص) كما فى قوله تعالى :
(٤) { ان هذا هو القصص الحق وما من اله الا الهه } .
(٥) { نحن نقص عليك أحسن القصص } .

التعبير "بالنبي" دون "الخبر" :

لم يستعمل القرآن الكريم مع هذه المادة الا لفظ "النبي" كما فى قوله تعالى :
(٦) { نحن نقص عليك نبأهم بالحق } .
(٧) { كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق } .
ولعل ذلك راجع الى الفرق اللغوى بين اللفظين فالنبي لا يكون الا للاخبار بما لا يعلمه المخبر ويجوز أن يخبر بما

-
- (١) سورة الانعام : ١٣٠
(٢) سورة الاعراف : ١٧٦
(٣) سورة النمل : ٧٦
(٤) سورة آل عمران : ٦٢
(٥) سورة يوسف : ٣
(٦) سورة الكهف : ١٣
(٧) سورة طه : ٩٩

يعلم وبما لا يعلم ولهذا يقال تخبرنى عن نفسى ولا يقال تنبئنى
عن نفسى ، وفى القرآن الكريم :

(١)

{فسياثيهم أنباء ماكانوا به يستهزئون} .

وانما استهزأوا به لأنهم لم يعلموا حقيقته ولو علموا
ذلك لتوقوا العذاب .

(٢)

وقال تعالى : {ذلك من أنباء القرى نقصه عليك} وكان

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف شيئا منها .

وقال على بن عيسى فى النبأ معنى عظيم الشأن وكذلك

(٣)

أخذ منه صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

تأملات بيانية لبعض الآيات :

قال تعالى :

{نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا

(٤)

القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين} .

والمراد بأحسن الاقتصام أنه اقتصر على أبداع طريقة

وأعجب أسلوب ذلك أن هذا الحديث مقتصر فى كتب الأولين وفى

التواريخ ولا يكون اقتصامه فى كتاب منها مقاربا لاقتصامه فى

القرآن .

وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه : نحن نقص عليك أحسن

مايقص من الأحاديث وانما كان أحسنه لما يتضمن من العبر

والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها ، والظاهر أنه

(١) سورة الشعراء : ٦

(٢) سورة هود : ١٠٠

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٩ .

(٤) سورة يوسف : ٣

أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس
(١)
وأفضلهم يراد في فنه .

وفى قوله تعالى : {أحسن القصص} مع بيان الواقع أيهام
لما في اقتصاص أهل الكتاب من القبح والخلل .
وقد يكون المراد بأحسن القصص ما يقص من الأنباء وهو
قصة آل يعقوب عليه السلام ، ووجه أحسنيتها اشتغالها على
حاسد ومحسود ، ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وعاشق
ومعشوق ، وحبس واطلاق ، وخصب وجذب ، وذنب وعفو ، وفراق
ووصل ، وسقم وصحة ، وحل وارتحال ، وعز وذل ، وقد أفادت
أنه لادافع لقضاء الله تعالى ولا مانع مع قدره وأنه سبحانه
إذا قضى لإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العالم اجتمعوا على
دفع ذلك لم يقدرُوا وأن الحسد سبب الخذلان والنقصان . وأن
الصبر مفتاح الفرج ، وأن التدبير من العقل وبه يصلح أمر
(٢)
المعاش .

وفى هذه الآية : {نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا
إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين} .
تكرر ذكر القرآن بالتمريح والاضمار واسم الإشارة ست
مرات وجمع له طرق التعريف كلها وهي اللام والاضمار والعلمية
والإشارة والاضافة .

وفى قوله تعالى : {وان كنت من قبله لمن الغافلين}
والغفلة : انتفاء العلم لعدم توجه الذهن إلى المعلوم
ونكتة جعله من الغافلين دون أن يوصف وحده بالغفلة للإشارة

(١) تفسير الكشاف ٣٠١، ٣٠٠/٢ .

(٢) تفسير روح المعاني ١٧٦، ١٧٥/١٢ .

الى تفضيله بالقرآن على كل من لم ينتفع بالقرآن فدخل فى هذا الفضل أصحابه والمسلمون على تفاوت مراتبهم فى العلم . وفى قوله (من قبله) تعريض بالمشركين المعارضين عن هدى القرآن . قال النبى صلى الله عليه وسلم "مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به " .
(١)
(٢)
وذلك مثل المشركين .

قال تعالى :

{لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل
(٣)
كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} .

الفرق بين اللب والعقل :

اللب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به ، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به فهو مفارق له من هذا الوجه ، ولباب الشئ ولبه خالصه . وأصل اللب الخالص من الشئ ثم أطلق على ما زكا من

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى ٢٠٣/٥ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٢/٢٠٤، ٢٠٥ .

(٣) سورة يوسف : ١١١

العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لب .

وقيل ان اللب هو العقل مطلقا وسمى بذلك لكونه خالص
(١)
مافى الانسان من قواه .

لم يرد لفظ "اللب" فى القرآن الا جمعا :

(٢)
لم ترد لفظة "اللب" مفردة فى القرآن الكريم ،
واستعمل القرآن مكانها مفردا لفظ "القلب" فقال تعالى :
{ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب} ، وذلك لان حرف "الباء"
(٣)
فى لفظ "اللب" شديد مجتمع ، ولايفى الى هذه النتيجة الا من
اللام المسترخية ، فلما لم يكن ثم فصل بين الحرفين يتهىء
معه الانتقال على نسبة بين الرخاوة والشدة لم تحسن اللفظة
مهما كانت حركة الاعراب فيها نمبا أو رفعا أو جرا فأسقطها
القرآن من نظمه .

على أن فى نظم القرآن لفظة "الجب" وهى فى وزنها
ونطقها وذلك لما فيها من حسن الائتلاف بين الجيم والباء ،
فالانتقال من هذه الجيم المضمومة الشديدة الى "الباء" أيسر
من الانتقال فى "اللب" من اللام المسترخية الى الباء
(٤)
الشديدة .

وقد استعملت لفظة "اللب" فى غير القرآن وكانت مضافة
أو مضافا اليها فوقوعها مضافة فى قول الرسول صلى الله
عليه وسلم فى ذكر النساء "مارأيت ناقصات عقل ودين أغلب
(٥)
لذى لب منكن" .

(١) تفسير روح المعانى ٧٣/١٣ .

(٢) الطراز ٤٧/٣ .

(٣) سورة ق : ٣٧

(٤) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى الرافعى ص ٢٣٢
وانظر صفاء الكلمة لعبد الفتاح لاشين ص ٦

(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته للالبانى ١٤٤/٥ .

ووقعها مضافا اليها كقول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به

(١)
وهن اضعف خلق الله أركاناً

ولم يستخدم القرآن الكريم لفظ "اللب" مفردا لأن لفظ

(٢)

الجمع أرق والمقام يستدعيه .

قوله تعالى :

{لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا

يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة

(٣)

لقوم يؤمنون} .

وفى هذه الآية الكريمة تتضح حكمة جليلة من حكم القصص

القرآنى وهى بيان أن الله ينصر أنبياءه فى النهاية ويهلك

المكذبين ، وذلك تثبيتا لمحمد وتأثيرا فى نفوس من يدعوه

الى الايمان .

ولها ثلاثة مواقع عجيبة من النظم المعجز .

فهى من رد العجز على الصدر مرتبطة بجملة "ذلك من

(٤)

أنباء الغيب نوحيه اليك" وهى تتنزل منها منزلة البيان لما

تضمنه معنى الإشارة فى قوله "ذلك من أنباء الغيب" من

التعجيب ، وما تضمنه معنى "وماكنت لديهم" من الاستدلال على

أنه وحى من الله مع دلالة الأمية .

وهى أيضا تتنزل منزلة التذييل للجمل المستطرد بها

(١) ديوان جرير ص ٤٩٢ .

(٢) صفاء الكلمة ص ١٤٧ .

(٣) سورة يوسف : ١١١

(٤) سورة يوسف : ١٠٢

لقصد الاعتبار بالقصة ابتداء من قوله "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" .

وجملة "ماكان حديثا يفترى" الى آخرها تعليل لجملة "لقد كان فى قصصهم عبرة " لأن ذلك القصص خبر صدق مطابق للواقع وماهو بقصة مخترعة . ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل الا اذا كانت خبرا عن امر وقع . لأن ترتب الآثار على الوقائع ترتب طبيعى فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت فى الواقع ، ولأن حصولها ممكن اذ الخارج لا يقع فيه المحال ولا النادر وذلك بخلاف القصص الموضوعية بالخيال والتكاذيب فانها لا يحصل بها اعتبار لاستبعاد السامع وقوعها لأن أمثالها لا يعهد .

وهذه الآية ناظرة الى قوله تعالى فى أول السورة {نحن نقص عليك أحسن القصص} فكما سماه الله أحسن القصص فى أول السورة نفى عنه الافتراء فى هذه الآية .

وقد وقف ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية فى تفسيره . وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ويكذب ويختلق .

(ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب المنزلة من السماء وهو يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير وفيه تفصيل كل شئ من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات ، والنهى عن

المحرمات وما شاكلها من المكروهات ، والاخبار عن الأمور على
الجلية ، وعن الغيوب المستقبلية المجملية والتفصيلية ،
والاخبار عن الرب تبارك وتعالى بالاسماء والصفات ، وتنزيهه
عن مماثلة المخلوقات فلماذا كان القرآن {هدى ورحمة لقوم
يؤمنون} تهتدى به قلوبهم من الفى الى الرشاد ومن الضلالة
الى السداد ويبتغون به الرحمة من رب العباد فى هذه الحياة
الدنيا والمعاد .^(١)

(١) تفسير ابن كثير ٣٤٩/٤ .

القرآن أحسن الحديث

معنى "حديث" فى اللغة :

حدث : الحدوث كون الشئ بعد أن لم يكن عَرَضاً كان ذلك أو جوهرًا وإِخْدَاشُهُ إِيجَادُهُ ، واحداث الجواهر ليس الا لله تعالى والمُحْدَث ما وجد بعد أن لم يكن وذلك اما فى ذاته أو إِخْدَاشُهُ عِنْد مَنْ حَمَلَ عِنْدَهُ نَحْوُ : أَحْدَثْتُ مَلِكًا قَالَ تَعَالَى :
(١)
{ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث} .

ويقال لكل مَا قَرَّبَ عَهْدَهُ مُحْدَثٌ فعلا كان أو مقالا ، قال
(٢)
تعالى : {حتى أحدث لك منه ذكرا} ، وقال تعالى : {لعل الله
(٣)
يجمعكم بعد ذلك أمرا} وكل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع أو
الوحي فى يقظته أو منامه يقال له حديث ، قال تعالى : {واذ
(٤)
أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا} ، وقوله : {وعلمتنى من
(٥)
تأويل الاحاديث} أى ما يحدث به الانسان فى نومه .
(٦)
(٧)
وعند ابن منظور الخبر يأتى على القليل والكثير .

معانى هذه المادة فى القرآن الكريم :

وردت كلمة "حديث" فى القرآن على خمسة أوجه :

- | | |
|---------------------------|-----|
| (١) سورة الانبياء : ٢ | (١) |
| (٢) سورة الكهف : ٧٠ | (٢) |
| (٣) سورة الطلاق : ١ | (٣) |
| (٤) سورة التحريم : ٣ | (٤) |
| (٥) سورة يوسف : ١٠١ | (٥) |
| (٦) مفردات الراغب ص ١١٠ . | (٦) |
| (٧) مادة (ح د ث) . | (٧) |
| (٨) البصائر ٤٣٩/٢ . | (٨) |

الأول بمعنى : الأخبار والآثار ، قال تعالى :
{أتحدثونهم بما فتح الله عليكم} أى تخبرونهم .^(١)

الثانى بمعنى : القول والكلام ، قال تعالى : {ومن
أصدق من الله حديثا} .^(٢)

الثالث بمعنى : القرآن العظيم {فليأتوا بحديث مثله} .^(٣)

الرابع بمعنى : القصص ذات العبر {الله نزل أحسن
الحديث} أى أحسن القصص .^(٤)

الخامس بمعنى : العبر فى حديث الكفار والفجار ، قال
تعالى : {ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور} .^(٥)

القرآن حديث :

وردت لفظة "حديث" ومشتقاتها فى ستة وثلاثين موضعا فقد
جاءت فى صورة الفعل المضارع والأمر واسم المفعول وأكثر
المصغى ورودا هى صيغة المصدر "حديث" فقد وردت فى ثلاثة
وعشرين موضعا شغل عشرة مواضع وقليلًا بصيغة الجمع "أحاديث"
فى خمسة مواضع مرادًا بها غير القرآن .

قال تعالى : {يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها} .^(٦)

وقوله : {وأما بنعمة ربك فحدث} .^(٧)

وقوله : {ما يأتىهم من ذكر من ربهم محدث إلا استعوه
وهم يلعبون} .^(٨)

(١)	سورة البقرة : ٧٦
(٢)	سورة النساء : ٨٧
(٣)	سورة الطور : ٣٤
(٤)	سورة الزمر : ٢٣
(٥)	سورة سبأ : ١٩
(٦)	سورة الزلزلة : ٤
(٧)	سورة الضحى : ١١
(٨)	سورة الانبياء : ٢

(١)

وقوله : {قبأى حديث بعده يؤمنون} .

وقوله : {رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل

(٢)

الاحاديث} .

تأملات بيانية فى بعض الآيات :

قال الله تعالى :

(٣)

{الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها} .

وفى بيان هذه الآية يقول الزمخشري :

"وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم

لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده

الى الله وأنه من عنده وأن مثله لايجوز أن يمدد الا عنه

(٤)

وتنبيه على أنه وحى معجز مباين كسائر الاحاديث" .

وللرازي وقفة عند هذه الآية {الله نزل أحسن الحديث}

يقول :

"(القسم الاول) : أن يكون أحسن الحديث بحسب لفظه وذلك

من وجهين (الاول) أن يكون ذلك الحسن لأجل الفصاحة والجزالة

(الثانى) أن يكون بحسب النظم فى الأسلوب ، وذلك لأن القرآن

ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل ، بل

هو نوع يخالف الكل ، مع أن كل ذى طبع سليم يستطيعه

ويستلذه .

(والقسم الثانى) : أن يكون كونه أحسن الحديث لأجل

المعنى وفيه وجوه (الاول) أنه كتاب منزله عن التناقض كما

(١) سورة المرسلات : ٥٠

(٢) سورة يوسف : ١٠١

(٣) سورة الزمر : ٢٣

(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٤ .

قال تعالى : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} (١) ، ومثل هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كان ذلك من المعجزات (الوجه الثانى) اشتماله على الغيوب الكثيرة فى الماضى والمستقبل (الوجه الثالث) ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جداً " . (٢)

ويجىء الاستفهام الانكارى التعجبى فى قوله تعالى : {فبأى حديث بعده يؤمنون} وقبله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى : {فبأى حديث بعده يؤمنون} فاذا لم يصدقوا بالقرآن مع وضوح حجته فلا يؤمنون بحديث غيره . (٣)

والتعبير ببعده دون غيره للتنبيه على أنه لاحديث يساويه فى الفضل أو يدانيه فضلاً عن أن يفوته ويعاليه فلاحديث أحق بالايمان منه فالبعدية للتفاوت فى الرتبة وكانت الفاء لما أن المعنى اذا كان الأمر كذلك وقد اشتمل القرآن على البيان الشافى والحق الواضح فما بالهم لا يبادرون الايمان به قبل الفوت وحلول الويل وعدم الانتفاع بعسى ولعل وليت . (٤)

-
- (١) سورة النساء : ٨٢
(٢) تفسير الرازى ٢٦٨/٢٦ .
(٣) سورة المرسلات : ٥٠
(٤) سورة الاعراف : ١٨٥
(٥) تفسير التحرير والتنوير ٤٤٧/٢٩ .
(٦) روح المعانى ٢٢٦/٢٩ .

القرآن صحف مطهرة

نعت القرآن الكريم فى سورتين من كتاب الله العزيز
بأنه "صحف مطهرة" .

(١)

قال تعالى : {فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة} .

وقال تعالى : {رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها
(٢)
كتب قيمة} .

وقد تفرد القرآن دون سائر الكتب السماوية بنعت صحفه
بأنها مطهرة .

قال تعالى : {أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم
(٣)
الذى وفى} .

وقال تعالى : {إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم
(٤)
وموسى} .

على أن هذه الصيغة "مطهر" لم تستعمل إلا فى نعت
المؤمنين حال مسهم لكتاب الله ، وفى نعت أزواج المؤمنين
فى الجنة .

(٥)

قال تعالى : {فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون} .

وقال تعالى :

(٦)

{خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله} .

(٧)

{لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا} .

(١)	سورة عبس : ١٣، ١٤
(٢)	سورة البينة : ٢
(٣)	سورة النجم : ٣٦، ٣٧
(٤)	سورة الأعلى : ١٨، ١٩
(٥)	سورة الواقعة : ٧٩
(٦)	سورة آل عمران : ١٥
(٧)	سورة النساء : ٥٧

فالمؤمنون التالون لكتاب الله مطهرون .
وزوجات المؤمنين فى الجنة مطهرات حسيا ومعنويا .
القرآن {فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة} .
فى هذه الآية أربعة نعوت للقرآن العظيم سنتناول
معانيها بالدراسة .

المعنى اللغوى لمحف :

الماد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط فى شئ
وسعة .
يقال ان المحيف : وجه الأرض . والمحيفة : بشرة وجه
الرجل . ومن الباب : المحيفة ، وهى التى يكتب فيها ،
والجمع صحائف ، والمحف أيضا كأنه جمع صحيف .
قال تعالى : {رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب
قيمة} .

قيل أريد بها القرآن وجعله صحفا فيها كتب من أجل
تضمنه لزيادة ما فى كتب الله المتقدمة .
(٢)

الفرق بين الصحيفة والدفتر :

الدفتر لا يكون الا أوراقا مجموعة والصحيفة تكون ورقة
واحدة تقول عندى صحيفة بيضاء فاذا قلت صحف أفدت أنها
مكتوبة ، وقال بعضهم يقال صحائف بيض ولا يقال صحف بيض وانما
يقال من صحائف الى صحف ليفيد أنها مكتوبة وفى القرآن

(١) المقاييس مادة (صحف) .

(٢) المفردات ص ٢٧٥ .

(١)
{واذا الصحف نشرت} وقال أبو بكر : الصحيفة قطعة من آدم
(٢)
أبيض أو ورق يكتب فيه .

ما قيل في المراد بالصحف عند المفسرين :

- (١) قيل اللوح المحفوظ .
- (٢) صحف الأولياء المنزلة .
- (٣) صحف المسلمين فيكون أخبارا بمغيب اذ لم يكتب القرآن
(٣)
في صحف زمان كونه عليه السلام بمكة .

المعنى اللغوي لـ "مكرمة" :

(كرم) الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان :
أحدهما شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق .
يقال رجل كريم وقرص كريم ، ونبات كريم .
وأكرم الرجل ، اذا أتى بأولاد كرام . واستكرم اتخذ
علقا كريما . وكرم السحاب أتى بالغيث وأرض تكرممة للنبات
اذا كانت جيدة النبات . والكرم في الخلق يقال هو الصفح عن
ذنب المذنب . قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : الكريم :
الصفوح والله تعالى هو الكريم الصفوح عن ذنوب عباده
المؤمنين .

والأصل الآخر الكرم ، وهي القلادة .

وأما الكرم فالعنب أيضا لأنه مجتمِع الشعب منظوم²
(٤)
الحب .

(١) سورة التكوير : ١٠
(٢) الفروق اللغوية ص ٢٤١ .
(٣) البحر المحيط ٤٢٨/٨ .
(٤) المقاييس مادة (كرم) .

واذا وصف الله تعالى بالكرم فهو اسم لاحسانه وانعامه
(١)
والمتظاهر نحو قوله تعالى : {فان ربي غنى كريم} واذا وصف
به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحموده التي تظهر منه
ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه .

قال بعض العلماء : الكرم كالحرية الا أن الحرية قد
تقال في المحاسن المغيرة والكبيرة والكرم لا يقال الا في
المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا في تجهيز جيش في سبيل الله
وتحمل حمالة ترقى دماء قوم ، وقوله تعالى : {ان أكرمكم
عند الله أتقاكم} فانما كان كذلك لأن الكرم الافعال
المحمودة وأكرمها وأشرفها مايقصد به وجه الله تعالى : فمن
قصد ذلك بمحاسن فعله فهو التقى ، فاذا أكرم الناس أتقاهم
وكل شيء شرف في بابه فانه يوصف بالكرم قال تعالى : {انه
(٣)
لقرآن كريم} .

(٤)
وقوله تعالى : {كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم} ،
(٥) (٦) (٧)
{وزروع ومقام كريم} ، {وقل لهما قولا كريما} .
(٨)
والمكرم : الرجل الكريم على كل أحد .

المراد "بمكرمة" عند المفسرين :

- (١) قيل مكرمة عند الله .
- (٢) مكرمة في الدين لما فيها من العلم والحكم .

-
- (١) سورة النمل : ٤٠
 - (٢) سورة الحجرات : ١٣
 - (٣) سورة الواقعة : ٧٧
 - (٤) سورة الشعراء : ٧
 - (٥) سورة الدخان : ٢٦
 - (٦) سورة الاسراء : ٢٣
 - (٧) المفردات ص ٤٢٨، ٤٢٩ .
 - (٨) اللسان مادة (كرم) .

- (٣) لأنها نزل بها كرام الحفظة .
(٤) لأنها نازلة من اللوح المحفوظ .
(٥) لأنها نزلت من كريم لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه .
(٦) المراد أن كتب الأنبياء دليله كما في قوله تعالى :
{ان هذا لفي الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى} (٢)

المعنى اللغوى "المرفوعة" :

- الرفع يقال تارة فى الاجسام الموضوعة اذا أعليتها عن مقرها نحو : {ورفعنا فوقكم الطور} وتارة فى البناء اذا طولته نحو قوله تعالى : {واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت} (٤) .
وتارة فى الذكر اذا نوهته نحو قوله تعالى : {ورفعنا لك ذكرك} (٥) .
وتارة فى المنزلة اذا شرفتها نحو قوله تعالى : {ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات} (٦) .
وقوله تعالى : {خافضة رافعة} اشارة الى المعنيين : الى اعلاء مكانه والى ماخص به من الفضيلة وشرف المنزلة ، وقوله تعالى : {وفرش مرفوعة} أى شريفة وكذا قوله : {فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة} (٩) (١٠) .

-
- (١) تفسير القرطبى ١٩/٢١٥، ٢١٦ .
(٢) سورة الاعلى : ١٨، ١٩
(٣) سورة البقرة : ٩٣
(٤) سورة البقرة : ١٢٧
(٥) سورة الشرح : ٤
(٦) سورة الزخرف : ٣٢
(٧) سورة الواقعة : ٣
(٨) سورة الواقعة : ٣٤
(٩) سورة عبس : ١٤
(١٠) المفردات ص ٢٠٠ .

المراد "بمرفوعة" عند المفسرين :

تعددت أقوال المفسرين في المراد بكونها "مرفوعة" فقيل :

- (١) رفيعة القدر عند الله .
- (٢) مرفوعة عنده تبارك وتعالى .
- (٣) مرفوعة في السماء السابعة .
- (٤) مرفوعة الذكر والقدر .
- (٥) مرفوعة عن الشبه والتناقض . (١)

المعنى اللغوي "المطهرة" :

الطاء والهاء والراء أمل واحد صحيح يدل على نقاء وزوال دنس . ومن ذلك الطهر : خلاف الدنس . والتطهر : التنزه عن الذم وكل قبيح ، وفلان طاهر الثياب إذا لم يدنس . (٢)

وفي اللسان مُطهرة تجمع الطهارة كلها لأن مطهرة أبلغ في الكلام من طاهرة وقوله تعالى : {رسول من الله يتلو صحفا مطهرة} من الأدناس والباطل . (٣) (٤)

المراد "بمطهرة" عند المفسرين :

- (١) مطهرة من كل دنس .
- (٢) مصادرة عن أن ينالها الكفار .

(١) تفسير القرطبي ٢١٦/١٩ .
(٢) المقاييس مادة (ط ه ر) .
(٣) سورة البينة : ٢ .
(٤) اللسان مادة (ط ه ر) .

- (٣) مطهرة من أن تنزل على المشركين .
(٤) مطهرة لأن القرآن اثبت للملائكة فى صحف يقرأونها فهى
مكرمة مرفوعة مطهرة .
(١)
(٥) هى مطهرة تجعل التطهير لمن حملها .

تأملات بيانية فى آيات هذه النعوت :

قال تعالى :

{فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة} .
فى هذه الآية الكريمة نعت القرآن العظيم بأربعة نعوت
فهو فى صحف مطهرة معظمة موقرة عالية القدر مطهرة من الدنس
(٢)
والزيادة والنقص .

بايدى كتبة من الملائكة عليهم السلام الذين ينسخون
الكتب من اللوح وهؤلاء الملائكة أتقياء وقيل مطيعون لله
تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر
فى يمينه وهو جمع بر لاغير وأما أبرار فيكون جمع بر كبر
وأرباب وجمع بار كصاحب وأصحاب . واختص على ما قيل الجمع
الأول بالملائكة والثانى بالآدميين فى القرآن والسنة وكان
ذلك لأن الأبرار من صيغ القلة دون البررة . ومتقوا الملائكة
أكثر من متقى الآدميين فناسب استعمال صيغة القلة وان لم
(٣)
ترد حقيقتها فى الآدميين دونهم .

فبررة خص بها الملائكة فى القرآن من حيث انه أبلغ من
أبرار فانه جمع بر ، وأبرار جمع بار وبر أبلغ من بار كما

(١) تفسير القرطبي ٢١٦/١٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٤/٨ .
(٣) تفسير روح المعانى ٥٤٠٥٣/٣٠ .

(١)
أن عدلا أبلغ من عادل ، لأن الوصف ببر أبلغ لكونه من قبيل
الوصف بالمصدر من الوصف ببار ، وأبرار يكون جمع بر كما
يكون جمع بار .

وفى كون الملائكة أحق بالوصف بالأبلغ بالنسبة الى
الآدميين مطلقا بحث وقيل ان الأبرار أبلغ من البررة ان هو
جمع بار والبررة جمع بر وبار أبلغ منه لزيادة بنيته ولما
كانت صفات الكمال فى بنى آدم تكون كاملة وناقصة وصفوا
بالأبرار اشارة الى مدحهم بأكمل الأوصاف وأما الملائكة فصفات
الكمال فيهم لاتكون ناقصة فوصفوا بالبررة لأنه يدل على أصل
الوصف بقطع النظر عن المبالغة فيه لعدم احتياجهم لذلك ،
واشارة لفضيلة البشر لما فى كونهم أبرارا من المجاهدة
وعصيان داعى الجبله وفيه ملايخفى . (٢)

فهؤلاء حملة القرآن من الملائكة خلقهم كريم حسن شريف ،
وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن هاهنا ينبغى لحامل
القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . (٣)

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : "الذى يقرأ القرآن - وهو ماهر به - مع
السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه - وهو عليه شاق - له
أجران" . (٤)

وهذا تنويه بشأن القرآن فرفعة مكانته وقدر مصدره ،
وكرم قراره وطهارته وفضائل حملته ومبلغيه ، ثناء عائد الى
القرآن بطريق الكناية . (٥)

-
- (١) مفردات الراغب ص ٤١ .
(٢) تفسير روح المعانى ٥٤/٣٠ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٤/٨ .
(٤) سنن الجامع الصحيح المغير للترمذى ، باب ماجاء فى
فضل قارئ القرآن ٣٤٤/٤ .
(٥) تفسير التحرير والتنوير ٣٠/

القرآن عَلِيّ

العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو الفا
أصل واحد يدل على السمو والارتفاع ، لايشذ عنه شيء ومن ذلك
العلاء والعلو . ويقولون : تعالى النهار ، أى ارتفع .
قال الخليل : أصل هذا البناء العلو . فأما العلاء
فالرفعة . وأما العلو فالعظمة والتجبر . يقولون : علا
الملك فى الأرض علوا كبيرا . قال الله تعالى : {ان فرعون
علا فى الأرض} (١) . ويقولون رجل على الكعب : أى شريف . ويقال
لكل شيء يعلو : علا يعلو . فان كان فى الرفعة والشرف قيل
عَلِيّ يَعْلُو .

وقال الراغب : قيل ان علا يقال فى المحمود والمذموم ،
وعَلِيّ لا يقال الا فى المحمود قال تعالى : {ولعلا بعضهم على
بعض} (٢) .

والعَلِيّ هو الرفيع القدر من عَلِيّ ، قال تعالى : {ان
الله كان عليا كبيرا} (٣) (٤) .

القرآن "عَلِيّ" :

نعت القرآن الكريم بأنه على فى موضع واحد من كتاب
الله هو :

(٥)
{وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم} .

-
- | | |
|-----|--------------------|
| (١) | سورة القصص : ٤ |
| (٢) | سورة المؤمنون : ٩١ |
| (٣) | المفردات ص ٣٤٥ . |
| (٤) | سورة النساء : ٣٤ |
| (٥) | سورة الزخرف : ٤ |

فالقرآن على أى رفيع القدر والمنزلة وهو شرف له فى ذاته وهو حكيم أى متضمن الحكمة وهذا شرف له فى مضمونه فلهذا ناسب اجتماع هذين النعتين له وقد نعت الحق تعالى نفسه بهذين النعتين فقال تعالى فى موضع واحد من كتابه العزيز : {انه على حكيم} .^(١)

فهو فى الرفعة والشرف لايدانيه أحد وهو حكيم وفى معنى الحكيم ثلاثة أوجه :

أحدها : بمعنى المحكم مثل البديع بمعنى المبدع والسميع بمعنى المسمع .

والآخر ، بمعنى محكم ، وفى القرآن {فيها يفرق كل أمر حكيم} أى محكم .^(٢)

واذا وصف الله تعالى بالحكمة من هذا الوجه كان ذلك من صفات فعله .

والثالث الحكيم بمعنى العالم بأحكام الأمور فالصفة بحكيم أخص من الصفة بعالم واذا وصف الله به على هذا الوجه فهو من صفات ذاته .^(٣)

تأملات بيانية فى قوله تعالى :

{حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم} .^(٤)

أقسم الله تعالى بالكتاب المبين ، والابانة أنه أنزل عليهم بلغتهم وأساليبهم .

(١) سورة الشورى : ٥١
(٢) سورة الدخان : ٤
(٣) الفروق اللغوية ص ٧٧ .
(٤) سورة الزخرف : ١-٤

وقيل الواضح للمتدبرين ، وقيل المبين الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الأمة فى أبواب الديانة .

ثم جاء جواب القسم فى قوله تعالى : { انا جعلناه قرآنا عربيا } .

وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونه من واد واحد .^(١)

وفى هذا دلالة على شرف القرآن وعزته بأبلغ وجه وأدقه لدلالته على أنه ليس عنده شئ أعظم قدرا وأرفع منزلة منه حتى يقسم به كما أنه لأهم عنده من وصفه حتى يقسم عليه قصدا للاهتمام فى اثباته وتحقيقه فأقسم وجعله مقسما به للتنبيه على أنه لاشئ أعلى منه فيقسم به .^(٢)

وفى نعت القرآن بأنه عربى غرضان :

أحدهما : التنويه بالقرآن ، ومدحه بأنه منسوج على منوال أفصح لغة .

وثانيهما : التورك على المعاندين من العرب حين لم يتأثروا بمعانيه بأنهم كمن يسمع كلاما بلغة غير لغته ، وهذا تأكيد لما تضمنه الحرفان المقطعان المفتحة بهما السورة من معنى التحدى بأن هذا الكتاب بلغتكم وقد عجزتم عن الاتيان بمثله .

وفى قوله تعالى : { لعلكم تعقلون } تعريض بأنهم أهملوا التدبر فى هذا الكتاب وأن كماله فى البيان والافصاح يستأهل

(١) الكشف ٤٧٧/٣ .
 (٢) حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوى ٢٨٨/٤ .

العناية به لا الاعراض عنه ، فقلوه : {لعلكم تعقلون} مشعر
(١)
بأنهم لم يعقلوا .

وقوله تعالى : {وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم} .
وأم الكتاب المراد به اللوح المحفوظ كما فى قوله
(٢)
تعالى : {بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ} .
وسمى بأم الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه
(٣)
تنقل وتستنسخ .

(٤)
وفى قوله {لدينا} أى محفوظ عندنا عن التغيير .
(٥)
وفى هذا زيادة تحقيق الخبر وتشريف المخبر عنه .
وقوله تعالى : {لعلى حكيم} والمعنى كونه عاليا عن
وجوه الفساد والبطلان ، وقيل المراد كونه عاليا على جميع
الكتب بسبب كونه معجزا باقيا على وجه الدهر . و(حكيم) أى
محكما فى أبواب البلاغة والفصاحة وقيل حكيم أى ذو حكمة
(٦)
بالغة .

-
- (١) تفسير التحرير والتنوير ١٦١/٢٥ .
(٢) سورة البروج : ٢١
(٣) الكشاف ٤٧٧/٣ .
(٤) تفسير البيضاوى ٥٧/٥ .
(٥) تفسير التحرير والتنوير ١٦٣/٢٥ .
(٦) تفسير الرازى ١٩٤/٢٧ .

القرآن عظيم

"عظم" :

العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كِبَر وقوة .

فَالْعِظْمُ : مصدر الشيء العظيم . تقول : عَظُمَ يَعْظُمُ عِظْمًا وعَظُمَتِه أنا . فإذا عَظُمَ في عينيك قلت : أعظمته واستعظمته . ومُعْظَم الشيء : أكثره . وَعَظْمَةُ الذراع : مستغلظها . وهى العظيمة : النازلة الملحة الشديدة . قال الشاعر :

ان تنج منها تنج من ذى عظيمة والا فانى لاخالك ناجيا
ومن الباب العظم ، معروف ، وهو سمي بذلك لقوته
(١)
وشدته .

وعند الراغب : عَظُمَ الشيء أصله كَبُرَ عظمه ثم استعير لكل كبير فأجرى مجراه محسوسا كان أو معقولا ، عينا كان أو معنى ، قال تعالى : {عذاب يوم عظيم} ، وقوله تعالى : {قل هو نبي عظيم} .
(٢)
(٣)

استعمال العظيم والكثير :

والعظيم اذا استعمل فى الأعيان فأصله أن يقال فى الأجزاء المتملة ، والكثير يقال فى المنفصلة ، ثم قد يقال فى المنفصل عظيم نحو جيش عظيم ومال عظيم ، وذلك فى

(١) المقاييس مادة (ع ظ م) .

(٢) سورة الأنعام : ١٥

(٣) سورة ص : ٦٧

(١)

معنى الكثير .

ومن صفات الله عز وجل العلى العظيم ، والعظيم هو الذى جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته وعظمة الله سبحانه لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشئ ويجب على العباد ان يعلموا انه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفية ولا تحديد .^(٢)

الفرق بين العظيم والكثير :

وهو ان العظيم قد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة ولذلك جاز ان يوصف الله تعالى بانه عظيم وان لم يوصف بانه كثير ، وقد يعظم الشئ من جهة الجنس ومن جهة التفاعف .^(٣)

من الموصوفات بعظيم :

(٤)

وفى هذا الشأن يقول الرازى :

"واعلم انه تعالى سمى نفسه عظيما فقال : {وهو العلى العظيم} ، وعرشه عظيما {وهو رب العرش العظيم} ، وكتابه عظيما {والقرآن العظيم} ، ويوم القيامة عظيما {ليوم عظيم} ، والناس لرب العالمين {والزلزلة عظيمة} ان زلزلة الساعة شئ عظيم {وخلق الرسول عظيما} وانك لعلى خلق عظيم {^(٥)
^(٦)
^(٧)
^(٨)
^(٩)
^(١٠)

-
- (١) المفردات ص ٣٣٩ .
 - (٢) اللسان مادة (ع ظ م) .
 - (٣) الفروق اللغوية ص ١٥٠ .
 - (٤) تفسير الرازى ١٨٠١٧/٢ .
 - (٥) سورة البقرة :
 - (٦) سورة التوبة : ١٢٩
 - (٧) سورة الحجر : ٨٧
 - (٨) سورة المطففين : ٦
 - (٩) سورة الحج : ١
 - (١٠) سورة القلم : ٤

والعلم عظيمًا {وكان فضل الله عليك عظيمًا} (١) ، وكيد النساء
عظيمًا {ان كيدكن عظيم} (٢) ، وسحر سحرة فرعون عظيمًا {وجاءوا
بسحر عظيم} (٣) ، وسمى نفس الثواب عظيمًا {وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيمًا} (٤) ، وسمى
عقاب المنافقين عظيمًا {ولهم عذاب عظيم} (٥) .

(٦)
من أوجه ورودها في القرآن :

فوجه منها :

العظيم بمعنى الجليل كقوله تعالى : {وهو العلى
العظيم} (٧) ، وقوله : {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم} (٨) .

الثاني : العظيم الشديد كما في قوله تعالى : {ولهم
عذاب عظيم} (٩) .

الثالث : العظيم الهائل كما في قوله تعالى : {اليوم
عظيم} (١٠) .

الرابع : العظيم الثقيل كقوله تعالى : {هذا بهتان
عظيم} (١١) .

الخامس : العظيم الرئيس كما في قوله تعالى :

-
- | | |
|------|---|
| (١) | سورة النساء : |
| (٢) | سورة يوسف : ٢٨ |
| (٣) | سورة الاعراف : ١١٦ |
| (٤) | سورة الفتح : |
| (٥) | سورة الجاثية : ١٠ |
| (٦) | اصلاح الوجوه والنظائر ص ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨ . |
| (٧) | سورة البقرة : |
| (٨) | سورة الحجر : ٨٧ |
| (٩) | سورة الجاثية : ١٠ |
| (١٠) | سورة المطففين : ٦ |
| (١١) | سورة النور : |

{وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
(١)
عظيم} .

السادس : العظيم الحسن ، كقوله تعالى : {وانك لعلى
(٢)
خلق عظيم} .

السابع : العظيم يعنى الكبير كما وكيفا ، كقوله
(٣)
تعالى : {والله عنده اجر عظيم} .

الثامن : العظيم الشريف فى قوله تعالى : {قل هو نبي
(٤)
عظيم} يراد بذلك القرآن .

القرآن "عظيم" :

نعت القرآن بعظيم فى ثلاثة مواضع هى قوله تعالى :
(٥)
{ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم} .
(٦)
وقوله تعالى : {قل هو نبي عظيم انتم عنه معرضون} .
وقوله تعالى : {عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم
(٧)
فيه مختلفون} .

ونقف عند قوله تعالى : {ولقد آتيناك سبعا من المثانى
والقرآن العظيم} لنرى دقة القرآن فى اختيار ألفاظه ، فقد
عبر بلفظ آتيناك دون أعطيناك وذلك لفرق دقيق بينهما فقد
جاء عن الجوينى قوله :

"لايكاد اللغويون يفرقون بين الاعطاء والاتيان ، وظهر

(١) سورة الزخرف : ٣١

(٢) سورة القلم : ٤

(٣) سورة التفاين : ١٥

(٤) سورة ص : ٦٧

(٥) سورة الحجر : ٨٧

(٦) سورة ص : ٦٧

(٧) سورة النبأ : ١-٣

لى بينهما فرق انبنى عليه بلاغة فى كتاب الله ، وهو أن
الاتيان أقوى من الاعطاء فى اثبات مفعوله ، لأن الاعطاء له
مطاوع ، يقال أعطانى فعطوت ولا يقال فى الاتيان : آتانى
فاتيت ، وانما يقال آتانى فأخذت والفعل الذى له مطاوع
أضعف فى اثبات مفعوله من الذى لامطاوع له ، لأنك تقول قطعته
فانقطع ، فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول
المحل ، لولاه لما ثبت المفعول ولهذا يصح : قطعته فما
انقطع ولا يصح فيما لامطاوع له ذلك ، فلا يجوز أن يقال ضربته
فانضرب أو ما انضرب ، ولا قتلت فانقتل أو ما انقتل ، لأن هذه
أفعال اذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول فى المحل ،
والفاعل مستقل بالأفعال التى لامطاوع لها ، فالإتياء اذن
(١)
أقوى من الاعطاء " .

ثم ساق أمثلة من القرآن الكريم روى فيها ذلك ، قال
تعالى فى الملك {تؤتى الملك من تشاء} (٢) لأن الملك شيء عظيم
لا يعطيه إلا من له قوة ولأن الملك فى الملك أثبت من الملك فى
المالك ، فإن الملك لا يخرج الملك من يده ، وأما المالك
فيخرجه بالبيع والهبة .

(٣)
وقال تعالى : {يؤتى الحكمة} لأن الحكمة اذا ثبتت فى
المحل دامت .

(٤)
وقال : {آتيناك سبعا من المثانى} لعظم القرآن وشأنه .
(٥)
وقال : {أنا أعطيناك الكوثر} لأن النبى صلى الله عليه

-
- (١) البرهان للزركشى ٨٥/٤ .
(٢) سورة آل عمران : ٢٦
(٣) سورة البقرة : ٢٦٩
(٤) سورة الحجر : ٨٧
(٥) سورة الكوثر : ١

وسلم وأمته يردون على الحوض ورود النازل على الماء ،
ويرتحلون الى منازل العز والانهار الجارية فى الجنان ،
والحوض للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته عند عطش الاكباد
قبل الوصول الى المقام الكريم ، فقال فيه : { انا أعطيناك }
(١)
لانه يترك ذلك عن قرب وينتقل الى ما هو أعظم منه .

وفى الآية نفسها { ولقد آتيناك سبعا من المثانى
والقرآن العظيم } سبق النعت بعظيم بلفظ القرآن وللكتاب
العزیز أسماء ونعوت كثيرة فلماذا آثر التعبير القرآنى هذا
الاسم دون سواه ؟ ولعل الجواب على ذلك ان القرآن هو الاسم
الذى خص به الكتاب المنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه
وسلم فصار له كالعالم كما أن التوراة لما أنزل على موسى
والانجيل لما أنزل على عيسى صلى الله عليهما وسلم .
(٢)

ثم ان معنى قرآن فى اللغة يدل على الجمع يقول صاحب
المقاييس فى مادة (ق ر ي) :

"ويقولون ماقرأت هذه الناقة سلى كأنه يراد أنها
ماحملت قط ومنه للقرآن كأنه سمى بذلك لجمعه مافيه من
الاحكام والقصص وغير ذلك" .

وقد قال بعض العلماء :

"تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه
(٣)
جامعا لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم" .

وفى الموضعين الآخرين سبق نعت القرآن بعظيم بنعت آخر
هو "نبأ" .

(١) البرهان للزركشى ٨٦/٤ .

(٢) مفردات الراغب ص ٤٠٢ .

(٣) مفردات الراغب ص ٤٠٢ .

والنبي هو خبر ذو فائدة عظيمة يحمل به علماء غلبة ظن
ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة
وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعري عن الكذب كالتواتر
وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام .
(١)
فالمناسب لعظيم هو النبأ وهو متميز عن الخبر
فالنعتان لهما من قوة الدلالة ودقتها في هذين الموضعين
ماليس لغيرهما .

(١) مفردات الراغب ص ٤٨١ .

القرآن كتاب عزيز

العزة وأصل اشتقاقها اللغوي :

"عَزَّ : العين والزاء أصل صحيح واحد ، يدل على شدة وقوة وماضاهما من غلبة وقهر .

قال الخليل : "العزة لله جل ثناؤه" وهو من العزيز .

ويقال : عَزَّ الشيء حتى يكاد لا يوجد . وهذا وإن كان صحيحا فهو بلفظ آخر أحسن فيقال : هذا الذى لا يكاد يقدر عليه .

ويقال عَزَّ الرجل بعد ضعف وأعزته أنا : جعلته عزيزا .

واعتز بى وتعزَّز . قال : ويقال عزه على أمره يَعْزُه ذا غلبه (١)

على أمره " .

وعند الراغب :

العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرض عَزَّاز أى صُلْبَة وتعزَّز اللحم اشتد وعَزَّ كأنه حصل فى عزاز يصعب الوصول اليه كقولهم تظلف أى حصل فى ظلف من الأرض ، والعزيز الذى يُقْهَر ولا يُقْهَر ، قال تعالى : {انه هو العزيز الحكيم} ، (٢)

وقوله : {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} فقد يمدح بالعزة تارة كما مر ويذم بها تارة كعزة الكفار قال سبحانه : {بل الذين كفروا فى عزة وشقاق} . (٣)

ووجه ذلك أن العزة التى لله ولرسوله وللمؤمنين هى الدائمة الباقية التى هى العزة الحقيقية ، والعزة التى هى

(١) المقاييس مادة (عز) .
 (٢) سورة العنكبوت : ٢٦
 (٣) سورة المنافقون : ٨
 (٤) سورة ص : ٢

للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل ، وعلى هذا قوله :
{واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا} (١) أى ليتمنعوا
به من العذاب .

(٢)
وقوله تعالى : {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا}
معناه من كان يريد أن يعزَّى يحتاج أن يكتسب منه تعالى العزة
فإنها له ، وقد يستعار العزة للحمية والائفة المذمومة وذلك
في قوله تعالى : {أخذته العزة بالاثم} (٣) .

يقال عزَّ على كذا صعب ، قال تعالى : {عزیز عليه
(٤) (٥) ماعنتم} أى صعب .

أوجه ورود مادة "عزز" في القرآن :

- (١) العزيز المنيع . كما في قوله تعالى : {وكان الله
(٦) عزيزا حكيمًا} ، وقوله : {ذق انك أنت العزيز الكريم}
(٧)
هذا على سبيل السخرية والتهكم .
- (٢) العزيز العظيم . كما في قوله سبحانه : {فبعزتكم
(٨) لأغوينهم أجمعين} ، وقوله تعالى : {وما أنت علينا
(٩) بعزیز} .
- (٣) العزة الحمية ، كقوله تعالى : {بل الذين كفروا في
(١٠) عزة وشقاق} .

-
- | | | |
|------|---------------|----------|
| (١) | سورة مريم : | ٨١ |
| (٢) | سورة فاطر : | ١٠ |
| (٣) | سورة البقرة : | ٢٠٦ |
| (٤) | سورة التوبة : | ١٢٨ |
| (٥) | المفردات ص | ٣٣٣، ٣٣٢ |
| (٦) | سورة النساء : | ١٥٨ |
| (٧) | سورة الدخان : | ٤٩ |
| (٨) | سورة ص : | ٨٢ |
| (٩) | سورة هود : | ٩١ |
| (١٠) | سورة ص : | ٢ |

- (٤) أعزة يعنى غلاظا ، كما فى قوله تعالى : {أعزة على
(١)
الكافرين} .
- (٥) عزيزا يعنى شديدا كما فى قوله تعالى : {عزيز عليه
(٢)
ما عنتم} .
- (٦) عززنا يعنى قويننا كما فى قوله تعالى : {فعززنا
(٣)
(٤)
بثالث} .

الفرق بين العز والشرف :

"العز يتضمن معنى الغلبة والامتناع على ما قلنا فاما قولهم عز الطعام فهو عزيز فمعناه قل حتى لايقدر عليه فشبه بمن لايقدر عليه لقوته ومنعته لأن العز بمعنى القلة ، والشرف انما هو فى الاصل شرف المكان ومنه قولهم أشرف فلان على الشئ اذا صار فوقه ومنه قيل شرفه القصر وأشرف على التلف اذا قاربته ، ثم استعمل فى كرم النسب ف قيل للقرشى شريف وكل من له نسب مذكور عند العرب شريف ولهذا لايقال لله تعالى شريف كما يقال عزيز" (٥) .

أحوال مجىء لفظ "عزيز" فى القرآن :

أكثر ورود لفظ (عزيز) بصيغة المبالغة ونعتا للذات العلية الا فى موضعين وهما قوله تعالى :
(٦)
{ولولا رهطك لرحمتنا وما أنت علينا بعزيز} .

-
- (١) سورة المائدة : ٥٤
(٢) سورة التوبة : ١٢٨
(٣) اصلاح الوجوه والنظائر ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٤) سورة يمس : ١٤
(٥) الفروق اللغوية ص ١٤٨ .
(٦) سورة هود : ٩١

وقوله : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
(١)
ما عنتم} .

والأكثر أن تجيء صيغة فعيل معرفة ولم تأت نكرة إلا في
خمسة مواضع والأكثر أيضا أن يكون هذا النعت مقرونا بكمال
الحكمة فنجد (العزيز الحكيم) نعتين متلازمين ، وإذا عدنا
إلى معنى "حكيم" في معاجمنا اللغوية فإننا نجد صاحب
المقاييس يقول في حكم :

"الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع وأول ذلك
الحكم هو المنع من الظلم" .

وإذا كانت العزة تعنى كما مر بنا الشدة والقوة
والغلبة فإن مجيئها مقرونة بالحكمة التى هى المنع من
الظلم ما يدل على أنها قوة فى انصاف وعدل .

ثم يلى صيغة المبالغة فى كثرة ورودها المصدر (عزة)
(٢)
كما فى قوله تعالى : {فان العزة لله جميعا} ، وقوله :
(٣)
{فبعزتكم لأغوينهم أجمعين} وهو يرد فى عشرة مواضع .

وأما "عز" فتزد مرة واحدة فى قوله تعالى : {واتخذوا
(٤)
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا} ومن الصيغ التى تلى
المصدر صيغة اسم التفضيل أعز فقد ورد ثلاث مرات مرة معرفا
وأخرى نكرة وثالثة جمعا كما فى قوله تعالى : {ليخرجن الأعز
(٥)
منها الأذل} .

(٦)
وقوله تعالى : {قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله} .

-
- | | |
|-----|--------------------|
| (١) | سورة التوبة : ١٢٨ |
| (٢) | سورة النساء : ١٣٩ |
| (٣) | سورة ص : ٨٢ |
| (٤) | سورة مريم : ٨١ |
| (٥) | سورة المنافقون : ٨ |
| (٦) | سورة هود : ٩٢ |

وقوله تعالى : {أذلة على المؤمنين أعزة على
(١)
الكافرين} .

وبصيغة الماضي مرة واحدة وكذلك المضارع كما في قوله
(٢)
تعالى : {إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث} .
(٣)
وقوله تعالى : {وتعز من تشاء وتذل من تشاء} .

القرآن كتاب "عزيز" :

لم يرد هذا اللفظ نعتا للقرآن الكريم الا مرة واحدة
في سورة فصلت في قوله تعالى : {إن الذين كفروا بالذكر لما
جاءهم وأنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
(٤)
خلفه تنزيل من حكيم حميد} .

وفي اجتماع النعوت الثلاثة "الذكر" و"عزيز" و"لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه" تكامل في معانيها ، فالذكر
من معانيه العلاء والشرف كما في المقاييس ، والعزة هي
القوة والغلبة فالقرآن الكريم جمع بين شرف المكان وعلوه
وقوة الذات ومنعتها فليس كل شريف عزيزا وليس كل عزيز
شريفا كما أشار أبو هلال العسكري .

ثم جاءت خاتمة هذه النعوت "لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه" هذا الشريف المنيع مبرا من الباطل ليس
للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال
تعالى : {تنزيل من حكيم حميد} .

-
- (١) سورة المائدة : ٥٤
(٢) سورة يس : ١٤
(٣) سورة آل عمران : ٢٦
(٤) سورة فصلت : ٤٢، ٤١

القرآن عجب

المعنى اللغوى للفظ "عجب" :

العين والجيم والباء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على كِبَر واستكبار للشئ والآخر خِلقة من خَلق الحيوان .
فالاول العُجب ، وهو أن يتكبر الانسان فى نفسه . تقول :
هو معجب بنفسه ، وتقول من باب العَجَب : عَجِبَ يَعْجَبُ عَجِبا ،
وأمر عجيب ، وذلك اذا استكبر واستعظم .
وفى اللسان العُجْب والعَجَب انكار مايرد عليك لقلة
اعتياده وجمع العَجَب : أعجاب وقد عَجِبَ منه يُعَجَبُ عَجِبا ،
وتعَجَّب واستعجب ، والاستعجاب شدة التعجب .

الفرق بين عجب وعجيب وعُجَاب وعُجَاب :

للعلماء آراء فى اختلاف دلالات كل من لفظ عجب وعجيب
وَعُجَاب وعُجَاب .

(٣)
فالخليل يرى أن العجيب والعجب دلالتهما واحدة ، بينما
الراغب فى مفرداته يرى أن العجب يقال للشئ الذى يتعجب
منه وعجيب لما يعهد مثله ، ولكنه عاد فى نفس المادة فقال
{قرآنا عجا} أى لم يعهد مثله ولم يعرف سببه .

لكن الزمخشري فى الكشف يقول :

-
- (١) المقاييس مادة (ع ج ب) .
(٢) مادة (ع ج ب) .
(٣) اللسان مادة (ع ج ب) .
(٤) ص ٣٢٢ .

"وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ماخرج
 عن حد أشكاله ونظائره" (١)
 ونرى الرازى له نفس رأى الزمخشري . (٢)
 ونتفق مع من يرى أن المصدر أقوى فى الدلالة من غيره
 من المشتقات .

أما الفرق بين عَجَب وعَجَاب :

يرى الخليل أن هناك فرقاً بين العجيب والعَجَاب . فأما
 العَجَاب فالذى يجاوز حد العجيب قال وذلك مثل الطويل
 والطوال ، فالطويل فى الناس كثير والطوال الأهوج الطول . (٣)
 وكذلك الفرق بين (عَجَاب وعَجَب) "ففعيل" إذا أريد به
 المبالغة نقل به الى "فَعَال" وإذا أريد به الزيادة شددوا
 فقالوا "فَعَال" ذلك من عجيب وعَجَاب وعَجَاب ، وقرأ أبو عبد
 الرحمن السلمي : "ان هذا لشيء عَجَاب" بالتشديد . (٤)

الوجوه التى وردت فيها هذه المادة :

- (١) للذى لم يعهد مثله ولم يعرف سببه قال تعالى : {أنا
 سمعنا قرآنا عجبا} . (٥)
- (٢) تستعار للمستحسن فيقال أعجبنى أى راقنى . قال تعالى
 {ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا} . (٦)
- (٣) الاعجاب بمعنى الإنكار قال تعالى : {بل عجبوا ويسخرون} . (٧)

-
- (١) ١٦٧/٤ .
 - (٢) تفسير الرازى ١٥٤/٣٠ .
 - (٣) المقاييس مادة (ع ج ب) .
 - (٤) البرهان للزركشى ٥١٤، ٥١٣/٢ .
 - (٥) سورة الجن : ١
 - (٦) سورة البقرة : ٢٠٤
 - (٧) سورة الصافات : ١٢

أى عجبت من انكارهم للبعث لشدة تحققك بامحمد منه
ويسخرون لجهلهم .

وفى قراءة الآية السابقة بضم التاء اسناد العجب الى
الله تعالى وليس معناه من الله كمعناه من العباد ، لأن
الآدمى اذا سلم فعل ماينكره الله جاز أن يقول عجبت ، والله
عز وجل قد علم ماانكره قبل كونه ، ولكن الانكار والعجب
الذى تلزم به الحجة عند وقوع الشيء .^(١)

قال صلى الله عليه وسلم : "عجب ربك من ناس يقادون
الى الجنة فى السلاسل" .^(٢)

وقال أيضا : "عجب ربك من شاب ليست له صبوة" .^(٣)

مادة العجب ومشتقاتها فى القرآن الكريم :

وردت لفظة العجب ومشتقاتها فى سبعة وعشرين موضعا جاء
أكثرها فى صورة الفعل الماضى ثم تلاه الفعل المضارع ولم
يجئ من هذه الميغفة الأمر كقوله تعالى : {أو عجبتم أن
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم} .^(٤)
وقوله : {بل عجبا أن جاءهم منذر منهم} .^(٥)
وقوله تعالى : {أفمن هذا الحديث تعجبون} .^(٦)
وقوله : {قالوا أتعجبين من أمر الله} .^(٧)

-
- (١) لسان العرب مادة (ع ج ب) .
(٢) صحيح البخارى كتاب الجهاد والسير ، باب الأسارى فى
السلاسل ١٧١/٢ .
(٣) مسند أحمد ١٥١/٤ .
(٤) سورة الأعراف : ٦٣
(٥) سورة ق : ٢
(٦) سورة النجم : ٥٩
(٧) سورة هود : ٧٣

أما الصيغ الأخرى فهي :
عَجَابَ فى موضع واحد {أجعل الآلهة لها واحدا ان هذا
(١)
لشئ عجاب} .

وعجب فى خمسة مواضع منها :
{وان تعجب فعجب قولهم انذا كنا ترابا اننا لفى خلق
(٢)
جديد} .

وقوله تعالى : {اكان للناس عجا ان اوحينا الى رجل
(٣)
منهم ان انذر الناس} .

وعجيب فى موضعين هما :
{االد وانا اعجز وهذا بعلى شيئا ان هذا لشئ عجيب} .
(٤)
وقوله تعالى : {بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
(٥)
الكافرون هذا شئ عجيب} .

القرآن "عجب" :

نعت القرآن الكريم فى موضع واحد بالمصدر "عجب" قال
تعالى :

{قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا
(٦)
سمعنا قرآنا عجا} .

وعجب فى دلالتها اللغوية أقوى من عجيب كما عرفنا وفى
استعمالها مبالغة .

-
- (١) سورة ص : ٥
(٢) سورة الرعد : ٥
(٣) سورة يونس : ٢
(٤) سورة هود : ٧٢
(٥) سورة ق : ٢
(٦) سورة الجن : ١

وهى فى دلالتها المعنوية دقيقة ايضا ولاعجب فى ذلك فهو
كلام رب العالمين الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من
خلفه .

وقد شرح الزمخشري هذه اللفظة بما هو دقيق ووجيز فقال
عجبا "بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه
(١)
قائمة فيه دلائل الاعجاز" .

ولا بد لنا من وقفة مع آيات القرآن فى معنى "عجب" فى
صيغ مختلفة لنتبين شيئا من الدقة فى الاستعمال القرآنى
لهذه اللفظة .

فاذا وقفنا عند صيغة "عجاب" وهى أقوى من غيرها من
الصيغ مثل عجيب وعجب وقد وردت فى قوله تعالى :
(٢)
{أجعل الآلهة لها واحدا ان هذا لشئ عجاب} .

فقد جىء بهذه الصيغة لتصوير شدة العجب والانكار من
المشركين لما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
أمرهم بقول لا اله الا الله اذ كيف يسع الخلق كلهم اله واحد .
وفى قوله تعالى حكاية عن زوج ابراهيم عليه السلام :
(٣)
{أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيئا ان هذا لشئ عجيب} فهذا
على سبيل التعجب من مخالفة العادة لامن قدرة الله فان ذلك
(٤)
كفر حاشاها منه فناسب مجيء هذه الصيغة دون سواها من مثل
عجب وعجاب والله أعلم .

(١) تفسير الكشاف ١٦٧/٤ .

(٢) سورة ص : ٥

(٣) سورة هود : ٧٢

(٤) حاشية الماوى على الجلالين ١٨٩/٢ .

القرآن محفوظ

المعنى اللغوى لحفظ :

(حفظ) الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التى بها يثبت ما يؤدى اليه الفهم ، وتارة لضبط فى النفس ويزاده النسيان وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال حفظت كذا حفظا ثم يستعمل فى كل تفقد وتعهد ورعاية ، قال الله تعالى :
(١)
{انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} .
(٢)

وينطبق على القرآن من هذه المعانى الحفظ الذى هو نقيض النسيان ، فالقرآن الكريم حفظه الله تعالى من أى تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان ، والقرآن الكريم محفوظ ومستقر فى قلوب الذين آمنوا ، قال تعالى : {بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم} أى المؤمنين ، وهو قد تولى الله تعالى تفقده وتعهدده ورعايته وهو معنى الآية الكريمة {انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} .

الدقة اللغوية فى استعمال القرآن "الحفظ" دون مرادفه :

الفرق بين الحفظ والرعاية :

أن نقيض الحفظ الإضاعة ونقيض الرعاية الإهمال ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع همل والإهمال هو ما يؤدى الى الضياع فعلى هذا يكون الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا

(١) المفردات ص ١٢٤ .

(٢) سورة الحجر : ٩

(٣) سورة العنكبوت : ٤٩

يهلك والرعاية فعل السبب الذى يصرف المكاره عنه .

والفرق بين الحفظ والكلاءة :

أن الكلاءة هى امالة الشئ الى جانب يسلم فيه من الآفة ومن ثم يقال كلات السفينة اذا قربتها الى الأرض والكلاء مرفأ السفينة فالحفظ أعم لأنه جنس الفعل فان استعملت احدى الكلمتين فى مكان الأخرى فلتقارب معنييهما .^(١)

والفرق بين الحفظ والحماية :

أن الحماية تكون لما لايمكن احرازه وحصره مثل الأرض والبلد نقول هو يحمى البلد والأرض واليه حماية البلد والحفظ يكون لما يحرز ويحصر ونقول هو يحفظ دراهمه ومتاعه ولانقول يحمى دراهمه ومتاعه ولايحفظ الأرض والبلد .

والفرق بين الحفظ والضبط :

أن ضبط الشئ شدة الحفظ له لئلا يفلت منه شئ ولهذا لايستعمل فى الله تعالى لأنه لا يخاف الافلات ويستعار فى الحساب فيقال فلان يغبط الحساب اذا كان يتحفظ فيه من الغلط .^(٢)

القرآن (محفوظ) من الله :

نعت القرآن الكريم بأنه محفوظ من الله تعالى فى موضع واحد من كتابه العزيز ، فقال تعالى :

{انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} .

التعبير "بالذكر" دون سواه من أسماء القرآن الكريم :

واذا عدنا الى ما قاله الراغب فى معنى الذكر فهو كالحفظ الا أن الحفظ يقال اعتبارا باحرازه والذكر يقال

(١) الفروق اللغوية ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(١)

اعتبارا باستحضاره .

والآية الكريمة {انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} قد جمعت بين احرازه واستحضاره .

ثم ان الذكر كما ذكر الراغب أيضا ذكران ذكر عن نسيان وذكر لاعن نسيان بل عن ادامة الحفظ ، وهذه حال المؤمنين^(٢) منهم من يذكر بعد نسيان ومنهم من يديم الحفظ .

ثم ان الرازي كما أشرنا سابقا في حديثنا عن (الذكر) من أسماء القرآن يقول في معنى الذكر :

"وفيه وجهان : أحدهما أنه ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه وأوامره والثاني أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وأنه شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته" .^(٣)

وهو بذلك أعم وأشمل لبيان مكانة القرآن ومنزلته مما سواه من أسماء القرآن على أن كل اسم دقيق في موضعه .

تأملات بيانية في قوله تعالى :

{انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون} .

رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليية له أي نحن بعضم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون ، وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى أنه أمر لامصدر له وفعل لافاعل له .

وفى قوله تعالى : {وانا له لحافظون} من كل ما يليق فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون

(١) المفردات ص ١٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٩ .

(٣) تفسير الرازي ١٥/٢ .

وعيدا للمستهزئين .

ويجوز أن يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفى سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى ، وفى (١)
ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ .

وشمل حفظه الحفظ من التلاشى ، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه بأن يسر تواتره واسباب ذلك ، وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبى صلى الله عليه وسلم فاستقر بين الأمة بمسمع من النبى صلى الله عليه وسلم وصار حفاظه بالغين عدد التواتر فى كل مصر .

وقد حكى عياض فى المدارك : أن القاضى اسماعيل بن اسحاق بن حماد المالكى البصرى سئل عن السر فى تطرق التغيير للكتب السالفة وسلامة القرآن من طرق التغيير له . فأجاب بأن الله أوكل للأخبار حفظ كتبهم فقال تعالى : {بما استحقظوا من كتاب الله} وتولى حفظ القرآن الكريم بذاته تعالى فقال : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} .

وفى هذا مع التنويه بشأن القرآن الكريم اغاظة للمشركين بأن أمر هذا الدين سيتم وينتشر القرآن ويبقى على مر الأزمان . وهذا من التحدى ليكون هذا الكلام كالدليل على أن القرآن منزل من عند الله آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لو كان من قول البشر أو لم يكن آية لتطرقت

(١) تفسير أبى السعود ١٦٨/٥ .

(٢) سورة المائدة : ٤٤

(١)

اليه الزيادة والنقصان ولاشتمل على الاختلاف .

قال تعالى :

{أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا

(٢)

فيه اختلافا كثيرا} .

وقد وقف أيضا صاحب التحرير والتنوير عند ملمحين .

بلاغيين فى قوله تعالى : {أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له

(٣)

لحافظون} فقد جاء نشر الجوابين على عكس المقالين اهتماما

بالابتداء برد المقال الثانى بما فيه من الشبهة بالتعجيز

والافحام ، ثم شنى العنان الى رد تعريضهم بالاستهزاء وسؤال

(٤)

رؤية الملائكة وكان هذا الجواب من نوع القول بالموجب

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٢٠٢١/١٤ .

(٢) سورة النساء : ٨٢

(٣) اللف والنشر فى الاصطلاح أن تذكر شيئين أو أشياء اما

تفصيلا بالنص على كل واحد أو اجمالا بأن تأتى بلفظ

يشتمل على متعدد ثم تذكر أشياء على عدد مذكروته كل

واحد يرجع الى واحد من المتقدم وتفوض الى عقل السامع

رد كل واحد الى مايليق به من غير أن تنص عليه ،

فالاجمالى كقوله تعالى : {وقالوا لن يدخل الجنة الا من

كان هودا أو نصارى} .

وهو ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى : {وجعل

لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله}

فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار .

الثانى : أن يكون على ترتيبه معكوسا كقوله تعالى :

{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم}

الثالث : أن يكون لاعلى ترتيب لاطرذا ولاعكسا ويسمى

المشوش .

من شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى

ص ١١٨ .

(٤) القول بالموجب : وهو ضربان : أحدهما أن يقع مفع فى

كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبتها أنت فى

كلامك لغير ذلك الشيء من غير تعرض لشبوت ذلك الحكم

بذلك الغير أو نفيه عنه كما هو فى الآية المذكورة

{وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر ...} .

الثانى : حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده

مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله :

قلت ثقلت اذا أتيت مرارا قال ثقلت كاهلى بالأيادى

قلت طولت قال لا بل تطولت ت وأبرمت قال حبل ودادى

المصدر السابق ص ١٣١ .

بتقرير انزال الذكر على الرسول صلى الله عليه وسلم مجارة
لظاهر كلامهم والمقصود الرد عليهم في استهزائهم ، فأكد
الخبر ب "انا" وضمير الفصل مع موافقته لما في الواقع
كقوله تعالى :

{قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
(١)
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون} .

ثم زاد ذلك ارتقاء ونكاية لهم بأن منزل الذكر هو
حافظه من كيد الأعداء ، فجملة (وانا له لحافظون) معترضة ،
(٢)
والواو اعتراضية .

وسائل حفظ الكتاب العزيز :

كان القرآن محفوظا عند نزوله من السماء الى الأرض فقد
أوكل الله أمر تبليغه الى جبريل عليه السلام وهو المنعوت
في كتاب الله بقوله : {نزل به الروح الأمين} .
(٣)
(٤)
وقوله تعالى : {مطاع ثم أمين} .

فجبريل كان أمينا حفيظا على الوحي .
ثم بلغه للرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان حريصا
على حفظه ليبلغه الى أمته فوعده الحق تعالى بأنه سيحفظه
عليه فقال تعالى :

{لاتحرك به لسانك لتعجل به. انا علينا جمعه وقرآنه .
(٥)
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم انا علينا بيانه} .

-
- (١) سورة المنافقون : ١
(٢) التحرير والتنوير ٢١، ٢٠/١٤ .
(٣) سورة الشعراء : ١٩٣
(٤) سورة التكويد : ٢١
(٥) سورة القيامة : ١٦-١٩

فأمره الله تعالى بأن يستمع للقرآن المنزل عليه
وتكفل له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه
الذي ألقاه إليه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه ، فالحالة
الأولى جمعه في صدره ، والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره
(١)
وايفاح معناه .

ثم تلقاه المؤمنون فأحسنوا التلقى فكانوا كما جاء في
نعتهم "صدورهم أناجيلهم" ، ولقد تميز هذا الكتاب بخصيمتين
هما : كونه آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور
يتلوه أكثر الأمة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن
معجزات وماكانت تقرأ الا من المصاحف .
(٢)

ويفسر الآية ابن كثير بأن القرآن آيات بينة واضحة في
الدلالة على الحق أمرا ونهيا وخبرا ، يحفظه العلماء ، يسره
الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا كما قال تعالى : {ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} .
(٣)

(٤)
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من الأنبياء
من نبي الا وقد أعطى من الآيات مأمثله آمن عليه البشر وانما
كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي ، فأرجو أن أكون
(٥)
أكثرهم تابعا يوم القيامة" .

-
- (١) تفسير ابن كثير ٣٠٣/٨ .
(٢) الكشف ٢٠٩/٣ .
(٣) سورة القمر : ١٧
(٤) صحيح الجامع وزيادته ١٥٦/٥ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢٩٥/٦ .

المحكم والمتشابه فى القرآن

المحكم فى اللغة :

الحاء والكاف والميم : ولها أصل واحد وهو المنع .
وأول ذلك الحكم ، وهو المنع من الظلم . وسميت حكمة الدابة
بذلك لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها . ويقال :
حكمت السفينة وأحكمتها ، إذا أخذت على يديه .
قال جرير :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم

انى أخاف عليكم أن أغضبا

(١)

والحكمة هذا قياسها ، لأنها تمنع من الجهل .

(٢)

وأحكمه : أتقنه .

الفرق بين الحكم والقضاء :

ان القضاء يقتضى فصل الأمر على التمام من قولك قضاء
(٣)
إذا أتمه وقطع عمله ومنه قوله تعالى : {ثم قضى أجلا} أى
(٤)
فصل الحكم به ، وقال تعالى : {فلما قضينا عليه الموت} أى
فصلنا أمر موته .
وأما الحكم فإنه يقتضى المنع عن الخصومة من قولك
أحكمتها إذا منعتها .

-
- (١) المقاييس مادة (ح ك م) .
(٢) القاموس المحيط مادة (ح ك م) .
(٣) سورة الأنعام : ٢
(٤) سورة سبأ : ١٤

ويجوز أن يقال الحكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع فإذا قيل حكم بالباطل فمعناه أنه جعل الباطل موضع الحق ، ويستعمل الحكم فى مواضع لا يستعمل فيها القضاء كقولك حكم هذا حكم هذا أى هما متماثلان فى السبب أو العلة أو نحو ذلك وأحكام الأشياء تنقسم قسمين حكم يرد الى أصل وحكم لا يرد الى أصل لأنه أول فى بابه .^(١)

المتشابه فى اللغة :

الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا يقال شَبَّهَ وشَبَّهَ وشَبَّهَ . والشَّبه من الجواهر : الذى يشبه الذهب . والمُشَبَّهات من الأمور : المشكلات واشتبه الأمران إذا أشكلا ومما شذ عن ذلك الشبهان .^{(٢) (٣)}

والشَّبه والشبيه حقيقتهما فى المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم وكالعدالة والظلم ، والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشئيين من الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى ، قال : {وأتوا به متشابهها} أى يشبه بعضه بعضا لونا لاطعما وحقيقة ، وقيل متماثلان فى الكمال والجودة .^{(٤) (٥)}

وقوله : {تشابهت قلوبهم} أى فى الغى والجهالة .

الفرق بين الشبه والمثل :

ان الشبه يستعمل فيما يشاهد فيقال السواد شبه السواد ولا يقال القدرة كما يقال مثلها .

-
- (١) الفروق اللغوية ص ١٥٦ .
 (٢) الشبهان : ضرب من العشاء أو من الرياض .
 (٣) المقاييس (ش ب هـ) .
 (٤) سورة البقرة : ٢٥
 (٥) سورة البقرة : ١١٨

وليس فى الكلام شىء يصلح فى المماثلة الا الكاف والمثل
فأما الشبيه والنظير فهما من جنس المثل وبهذا قال الله
تعالى : {ليس كمثله شىء} ^(١) فأدخل الكاف على المثل وهما
الاسمان اللذان جعلاً للمماثلة فنفى بهما الشبه عن نفسه فأكد
النفى بذلك . ^(٢)

المحكم فى القرآن :

هو ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى .
وقد اختلف فى تعيين المحكم والمتشابه على أقوال ،
منها :

(١) المحكم ما عرف المراد منه ، اما بالظهور واما
بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه ، كقيام
الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة فى أوائل
السور .

(٢) المحكم ما وضح معناه ، والمتشابه نقيضه .

(٣) المحكم ما لا يحتل من التأويل الا وجهاً واحداً والمتشابه
ما يحتل أوجهها .

(٤) المحكم ما تأويله تفزيله ، والمتشابه ما لا يدري الا
بالتأويل .

(٥) المحكم الفرائض والوعود والوعيد والمتشابه للقسم
والأمثال .

وعن ابن عباس ، قال : المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه

(١) سورة الشورى : ١١
(٢) الفروق اللغوية ص ١٢٨ .

وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه
(١)
ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به .

القرآن كله محكم :

نعت القرآن بأنه محكم جميعه فى موضع واحد من كتاب
الله هو :

(٢)
{الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} .

تأملات بيانية فى الآية الكريمة السابقة :

وقد أقاض فى معانيها صاحب الكشف فقوله تعالى :
{أحكمت آياته} نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل
كالبناء المحكم المرمف ، ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من
حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً : أى جعلت حكيمه كقوله تعالى
(٣)
{آيات الكتاب الحكيم} .

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل
القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ
والقصص .

أو جعلت فصولاً سورة وسورة وآية وآية .

أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة .

أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد : أى بين ولخص .

وعن عكرمة والضحاك : ثم فصلت : أى فرقت بين الحق

والباطل .

(١) الاتقان ٤،٣/٣ .

(٢) سورة هود : ١

(٣) سورة لقمان : ٢

ومعنى (ثم) فى قوله تعالى : {أحكمت آياته ثم فصلت} ليس التراخى فى الوقت ، ولكن فى الحال كما تقول : هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل ، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل . وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها : أى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور .^(١)

ويرى صاحب التحرير والتنوير أن (ثم) للتراخى فى الرتبة كما هو شأنها فى عطف الجمل لما فى التفصيل من الاهتمام لدى النفوس لأن العقول ترتاح الى البيان والايضاح . وفى قوله تعالى : {من لدن حكيم خبير} أى من عند الموصوف بابداع المنع لحكمته وايضاح التبیین لقوة علمه . والخبير : العالم بخفايا الاشياء وكلما كثرت الاشياء كانت الاحاطة بها اعز ، فالحكيم مقابل (أحكمت) والخبير مقابل (فصلت) وهما وان كانا متعلق العلم ومتعلق القدرة اذ القدرة لاتجرى الا على وفق العلم ، الا أنه روعى فى المقابلة الفعل الذى هو أثر احدى الصفتين اشد تبادرا فيه للناس من الآخر وهذا من بليغ المزاج .^(٢)

القرآن كله متشابه :

{الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تليين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله} .^(٣)

نعت القرآن بأنه كله متشابه فى موضع واحد من كتاب الله الكريم .

(١) الكشف ٢/٢٥٧، ٢٥٨ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١١/٣١٥ .
(٣) سورة الزمر : ٢٣

تأملات بيانية فى الآية :

قال تعالى :

{الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ...} .

نعت القرآن بكونه متشابها فى الصحة والاحكام والبناء
على الحق والصدق ومنفعة الخلق ، وتناسب ألفاظه وتناسفها
فى التخيير والامابة وتجواب نظمه وتأليفه فى الاعجاز
والتبكيث ، ويجوز أن يكون (مثانى) بيانا لكونه متشابها لأن
القصص المكررة لا تكون الا متشابهة .^(١)

وما أشبه هذا بقول العرب فى الوجه الكامل حسنا وجه
متناصف كأن بعضه أنصف بعضا فى القسط من الجمال ، يقول ابن
هرمة :

انى غرضت الى تناصف وجهها

غرض المحب الى الحبيب الغائب

ومن ذلك قولهم وجه مقسم ، أى متمائل الحسن ، كأن
أجزاءه تقاسمت الحسن وتعادلت ، قال أرقم بن علباء
اليشكرى :

ويوما توافينا بوجه مقسم

كأن ظبية تعطو الى وارق السلم
(٢)

أى بوجه قسم الحسن على أجزائه أقساما .

والتشابه يحمل فى أمور :

(١) الكشف ٣/٣٩٥ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٢٣/٣٨٥ .

(أحدها) أن الكاتب البليغ إذا كتب كتابا طويلا ، فإنه يكون بعض كلامه فصيحا والآخر غير ذلك ، والقرآن يخالف ذلك فإنه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه .

(وثانيهما) أن الفصيح إذا كتب كتابا في واقعة بالفاظ فصيحة فلو كتب كتابا آخر في غير تلك الواقعة كان الغالب أن كلامه في الكتاب الثانى غير كلامه في الكتاب الأول ، والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن وكلها متساوية متشابهة في الفصاحة .

(وثالثها) أن كل ما فيه من الآيات والبيانات فإنه يقوى بعضها بعضا ويؤكد بعضها بعضا .

(ورابعها) أن هذه الأنواع الكثيرة من العلوم التى عددناها متشابهة متشاركة فى أن المقصود منها بأسرها ^(١) الدعوة الى الدين وتقرير عظمة الله .

القرآن محكم ومتشابه :

قال تعالى :

{هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن

(٢)

أم الكتاب وآخر متشابهات} .

نعت القرآن بأنه محكم ومتشابه فى آية واحدة من كتاب

الله وقد جاء فى مواضع آخر بأن كله محكم فى قوله تعالى :

(٣)

{الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} .

وفى موضع آخر نعت بأن جميعه متشابه ولاتعارض فى هذه

(١) تفسير الرازى ٢٦/٢٧١، ٢٧٢ .

(٢) سورة آل عمران : ٧

(٣) سورة هود : ١

الاطلاقات ، فالقرآن محكم أى متقن متين لا يتطرق اليه خلل لفظى ولا معنوى ، كانه بناء مشيد محكم يتحدى الزمن ولا ينتابه تصدع ولا وهن .

ومعنى كونه كله متشابها أنه يشبه بعضه بعضا فى احكامه وحسنه وبلوغه حد الاعجاز فى الفاظه ومعانيه .
واما أن بعضه محكم وبعضه متشابه فمعناه أن من القرآن ما اتضحت دلالتة على مراد الله تعالى منه ، ومنه ما خفيت دلالتة على هذا المراد الكريم فالاول المحكم والثانى المتشابه .^(١)

الحكمة من وجود المتشابه فى القرآن :

يرد ابن قتيبة على قول المعاندين ماذا أراد بانزال المتشابه فى القرآن من أراد بالقرآن لعباده الهدى والتبيان ؟

بان القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ، ومذاهبها فى الایجاز والاختصار والاطالة والتوكيد ، والاشارة الى الشئ ، واغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليه الا اللقن ، واظهار بعضها ، وضرب الامثال لما خفى .

ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفاً حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس ، وسقطت المحنة ، وماتت الخواطر ، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة .

(١) مناهل العرفان ٢٧١/٢ .

ويستدل بالحكمة القائلة : عيب الغنى أنه يورث البله
وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة ، وبكلمة أكثم بن صيفى :
مايسرنى أنى مكفى كل أمر الدنيا ، قيل له ، ولم ؟ قال :
أكره عادة العجز .

وهو يرى أنه لو كان كل فن من العلوم شيئا واحدا لم
يكن عالم ولا متعلم ولا خفى ولا جلى ، لأن فضائل الأشياء تعرف
بأضدادها ، فالخير يعرف بالشر ، والنفع بالضر ، والحلو
بالمر ، والقليل بالكثير ، والصغير بالكبير ، والباطن
(١)
بالظاهر .

وقد عرض لهذه المسألة الزمخشري فهو يرى أن القرآن لو
كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما
يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ، ولو
فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لايتوصل الى معرفة الله
وتوحيده الا به .

ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على
الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم
القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد
الجليلة والعلوم الجمّة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن
المعتقد أن لامناقضة فى كلام الله ولا اختلاف فيه اذا رأى فيه
مايتناقض فى ظاهره وأهمه طلب مايقف بينه ويجريه على سنن
واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ، ففتح الله عليه وتبين
مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة فى
(٢)
ايقانه .

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٦، ٨٧ .

(٢) الكشف ١/٤١٢، ٤١٣ .

القرآن مثانى

دلالة لفظ "مثانى" لغويا :

(ثنى) الثاء والنون والياء أمل واحد ، وهو تكرير
الشيء مرتين ، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك
قولك ثنيت الشيء ثنيا .

والمثناة : ما قرئ من الكتاب وكُرِّر . قال الله تعالى
{ولقد آتيناك سبعا من المثانى} أراد أن قراءتها تثنى^(١)
وتكرر .^(٢)

المثانى من القرآن : ماثنى مرة بعد مرة ، وقيل :
فاتحة الكتاب ، وهى سبع آيات قيل لها مثان لأنها يثنى بها
فى كل ركعة من ركعات الصلاة وتعاد فى كل ركعة .
قال أبو الهيثم : سميت آيات الحمد مثانى ، واحدها
مَثْنَةٌ ، وهى سبع آيات .

وقال ثعلب : لأنها تثنى مع كل سورة ، قال الشاعر :

الحمد لله الذى عافانى

وكل خير صالح أعطانى

رب مثانى الآى والقرآن

(٣)

وورد فى الحديث فى ذكر الفاتحة : "هى السبع المثانى"

وقيل : المثانى سور أولها البقرة وآخرها براءة ، وقيل :
ماكان دون المثين ، قال ابن برى : كأن المثين جعلت مبادئ

(١) سورة الحجر : ٨٧

(٢) المقاييس (ثنى) .

(٣) سنن الدارمى ، باب أم القرآن هى السبع المثانى ٣٥٠/١

والتي تليها مثاني ، وقيل : هي القرآن كله ، ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت :

من للقوافي بعد حسان وابنه ؟
ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت ؟
فقد كان نورا ساطعا يهتدى به
يخص بتنزيل المثاني المعظم

وقال أبو عبيد : المثاني من كتاب الله ثلاثة أشياء ،
سمى الله عز وجل القرآن كله مثاني في قوله عز وجل : { الله
نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني } .^(١)

وسمى فاتحة الكتاب مثاني في قوله عز وجل : { ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم } . قال : وسمى
القرآن مثاني لأن الأنبياء والقصص شئت فيه ، ويسمى جميع
القرآن مثاني أيضا لاقتران آية الرحمة بآية العذاب .^(٢)

وجاء عند الراغب قيل للقرآن مثاني لما يثنى ويتجدد
حالا فحالا من فوائده كما روى في الخبر في صفته : " لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعقب ولا تنقضي عجائبه " .^(٣)

ويمح أن يكون ذلك من الثناء تنبيها على أنه أبدا
يظهر منه ما يدعو الى الثناء عليه وعلى من يتلوه ويعلمه
ويعمل به وعلى هذا الوجه وصفه بالكرم في قوله تعالى :
{ انه لقرآن كريم } ، وبالمجد في قوله : { بل هو قرآن مجيد } .^(٤)^(٥)^(٦)

-
- (١) سورة الزمر : ٢٣
(٢) لسان العرب (ثنى) .
(٣) صحيح الجامع وزيادته ٢٠٢/٢ .
(٤) المفردات ص ٨٣ .
(٥) سورة الواقعة : ٧٧
(٦) سورة البروج : ٢١

ورود لفظ (مثنى) فى القرآن الكريم :

ورد هذا النعت فى موضعين الأول :

فى سورة الحجر فى قوله تعالى : {ولقد آتيناك سبعا من المثنى والقرآن العظيم} .

والمقصود بالمثنى فى آية (الحجر) الفاتحة لما أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثنى" .^(١)

وليس فى تسمية الفاتحة بالمثنى ما يمنع من تسمية غيرها بذلك .

والموضع الثانى فى سورة الزمر والمقصود به القرآن الكريم ، قال تعالى : {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثنى} .

وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه ، وتأكيده لاستناده الى الله وأنه من عنده وأن مثله لايجوز أن يصدر الا عنه ، وتنبهه على أنه وحى معجز مبين لسائر الأحاديث .^(٢)

الحكمة من جعل القرآن "مثنى" :

انه مثنى لانه مكرر الأغراض وهذا يتضمن امتنانا على الأمة بأن أغراض كتابها مكررة فيه لتكون مقاصده أرسخ فى

(١) سنن الدارمى ، باب أم القرآن هى السبع المثنى ٣٥٠/١ .

(٢) الكشف ٣٩٤/٣ .

نفوسها ، وليسمعها من فاته سماع أمثالها من قبل .
ويتضمن أيضا تنبيهها على ناحية من نواحي اعجازه وهي
عدم الملل من سماعه وأنه كلما تكرر غرض من أغراضه زاده
تكرره قبولا وحلاوة فى نفوس السامعين فكانه الوجه الحسن
الذى قال فى مثله أبو نواس :

يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظرا

وقد عد القاضى عياض فى كتاب الشفاء من وجوه اعجاز
القرآن : أن قارئه لا يمل منه وسامعه لا يمل منه ، بل الاكباب على
تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ، لا يزال غضا
طريبا ، وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغا
عظيما يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد ، ولذا وصف رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن "بأنه لا يخلق على كثرة
(١)
الرد" .

وذكر القاضى عياض أن الوليد بن المغيرة سمع من النبى
صلى الله عليه وسلم : {ان الله يأمر بالعدل والاحسان} فقال
"والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة" .

وبهذا يعلم أن وصف القرآن هنا بكونه "مثنى" هو غير
الوصف الذى فى قوله تعالى : {ولقد آتيناك سبعا من
المثنى} لاختلاف ما أريد فيه بالتثنية وان كان اشتقاق الوصف
(٢)
متحدا .

(١) الجامع الصحيح للترمذى ، كتاب فضائل القرآن ، باب
ما جاء فى فضل القرآن ١٧٣/٥ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ٣٨٧، ٣٨٦/٢٣ .

القرآن الكريم عربى

نعت القرآن الكريم "بعربى" يدعونا للوقف أمام هذا
اللفظ وقفة تأمل من نواح ثلاث :
أولها : أفضلية هذه اللغة على سائر اللغات .
فقد اختار الحق تعالى لكتابه لغة العرب وفى ذلك دليل
على أفضليتها وتشريف لها ولاهلهما .
يقول ابن فارس فى هذا الصدد :

"قال جل ثناؤه : {وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به
الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين} (١)
فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان .
(٢)
وقال جل ثناؤه : {خلق الانسان . علمه البيان} فقدم جل
ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بانشائه من
شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشاي
المتقنة فلما خص جل ثناؤه اللسان العربى بالبيان علم أن
(٣)
سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه . . . " .

ثم يشير ابن فارس الى بعض خصائص هذه اللغة المصطفاة
ومما أشار اليه سعة مفرداتها وأن سائر اللغات لاتبين
ابانتها ، فلفظ السيف مثلا لانجد له فى الفارسية الا اسما
واحدا بينما هو فى اللغة العربية له صفات كثيرة وكذلك
الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالاسماء
المترادفة .

ثم يذكر مقالته بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من

(١) سورة الشعراء : ١٩٢-١٩٥
(٢) سورة الرحمن : ٤٠٣
(٣) الماحى ص ١٦ .

الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب فى القرآن من تعذر نقل الترجمة للقرآن الى غيره من اللسنة كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية ، لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب .^(١)

ثم يمثل لصعوبة نقل المعانى القرآنية عن طريق الترجمة بقوله تعالى : {واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء} فيقول :^(٢)

"ولم تستطع أن تأتى بهذه اللفاظ المؤدية عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها فتقول : ان كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وآذنتهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على استواء"^(٣) .

ثم يرد ابن فارس على من عساه أن يسأل هل يوجد فى سنن العرب ونظومها مايجرى هذا المجرى ؟

فيجاب عليه بأن كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلى الأعلى ، خالق كل لغة ولسان .

لكن الشعراء قد يؤمئون ايماء ويأتون بالكلام الذى لو أراد مريد نقله لاعتاص وما أمكن الا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ .^(٤)

(١) الماحبى ص ١٦، ١٧ .

(٢) سورة الانفال : ٥٨

(٣) الماحبى ص ١٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨ .

(٢) أن القول بعربية القرآن لا يتنافى مع وجود حروف أصولها أعجمية .

يرى أبو عبيدة أنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، فقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناها واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها .

وأما أبو عبيد القاسم بن سلام فيشير الى ما يروى عن ابن عباس وعن مجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم من قولهم فى أحرف كثيرة : انها بلغات العجم منها : طه ، واليم ، والطور ، والربانيون فيقال : انها بالسيانية .

ومنها قوله عز وجل : المرابط ، والقسطاس ، والفردوس (١)
يقال : انها بالرومية .

والصواب فى رأى ابن سلام تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما هو رأى الفقهاء - إلا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ الى ألفاظها فمادت عربية . ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال بعربيته فهو صادق ، ومن قال بأعجميتها فهو صادق .

(٣) أن تلاوة القرآن باللفظ العربى شرط لصحة الصلاة .

(١) الصحاح ص ٤٣-٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥، ٤٦ .

دلالة لفظ "عربى" اللغوية :

العين والراء والباء ثلاثة أصول : أحدها الإبانة والافصاح ، والآخر النشاط وطيب النفس ، والثالث فساد فى جسم أو عضو . والأول هو المراد .
فأعرب الرجل عن نفسه إذا بين وأوضح . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الشيب يعرب عنها لسانها ، والبكر تستأمر فى نفسها " .
فأما الأمة التى تسمى العرب فليس ببعيد أن يكون سميت عربا من هذا القياس لأن لسانها أعرب اللسنة وبيانها أجود (١)
البيان .

لفظ "عربى" ومشتقاته فى القرآن الكريم :

ورد لفظ "عربى" ومشتقاته فى القرآن الكريم فى اثنين وعشرين موضعا وجاء نعت القرآن بهذا اللفظ فى عشرة مواضع منها .

كما فى قوله تعالى : {وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين} (٢)
وقوله تعالى : {وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها} (٣)

لفظ "عربى" فى سياق الآية منفردا :

وذلك كما فى قوله تعالى : {انا جعلناه قرآنا عربيا

(١) المقاييس مادة (ع ر ب) .
(٢) سورة الأحقاف : ١٢
(٣) سورة الشورى : ٧

لعلكم تعقلون} . والمقصود بوصف الكتاب بأنه عربى غرضان :
أحدهما التنويه بالقرآن ومدحه بأنه منسوج على منوال أفصح
لغة .

وثانيهما التورك على المعاندين من العرب حين لم
يتأثروا بمعانيه بأنهم كمن يسمع كلاما بلغة غير لغته .^(١)
وكذلك يأتى نعت القرآن "عربى" منفردا فى قوله تعالى
{وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن
حولها} .^(٢)

لفظ "عربى" فى سياق نعت أخرى كما فى قوله تعالى :
{نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربى مبين} .^(٣)
ووصف القرآن الكريم بمبين من وجوه : أنه المبين الذى
أنزل اليهم لأنه بلغتهم ولسانهم ، وأنه هو الذى أبان طريق
الهدى من طريق الضلالة وأبان كل باب عما سواه وجعلها مفصلة
ملخصة .^(٤)

والمبين : اسم فاعل من أبان صار ذا ابانة أى زائد فى
الابانة بمعنى الفصاحة والبلاغة .

وفى قوله تعالى {بلسان عربى مبين} يقول ابن كثير :
"هذا القرآن الذى أنزلناه إليك بلسانك العربى الفصح
الكامل الشامل ، ليكون بينا واضحا ظاهرا ، قاطعا للعذر
مقيما للحجة دليلا على المحجة" .^(٥)

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٦١/٢٥

(٢) سورة الشورى : ٧

(٣) سورة الشعراء : ١٩٥

(٤) تفسير الرازى ١٩٣، ١٩٢/٢٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ١٧٢/٦ .

وقوله تعالى : {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون} .^(١)

وفصلت آياته : بينت ، والتفصيل : التبيين والاختلاف من الالتباس ومن كمال تفصيله انه كان بلغة كثيرة المعانى ، واسعة الاثنان فصيحة اللفاظ ، فكانت سالمة من التباس الدلالة ، وانغلاق اللفاظ ، مع وفرة المعانى غير المتنافية فى قلة التراكيب ، فكان وصفه بأنه عربى من مكملات الاخبار عنه بالتفصيل .^(٢)

ومما جاء فيه لفظ "عربى" فى سياق نعوت أخرى قوله تعالى : {قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون} .^(٣)

والعوج بكسر العين أريد به : اختلال المعانى دون الاعيان ، وأما العوج بفتح العين فيشملها ، وهذا مختار أئمة اللغة مثل ابن دريد والزمخشري والزجاج والفيروزأبادى وصحح المرزوقى فى شرح الفصيح أنهما سواء . وهذا ثناء على القرآن بكمال معانيه بعد أن أشنى عليه باستقامة ألفاظه .

ووجه العدول عن وصفه بالاستقامة الى وصفه بانتفاء العوج عنه التوصل الى ايقاع "عوج" وهو نكرة فى سياق ما هو بمعنى النفسى وهو كلمة (غير) فيفيد انتفاء جنس العوج على وجه عموم النفسى ، أى ليس فيه عوج قط ، ولأن لفظ "عوج" مختص باختلال المعانى ، فيكون الكلام نصا فى استقامة معانى القرآن لأن الدلالة على استقامة ألفاظه ونظمه قد استفيدت من

(١) سورة فصلت : ٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٢٤/٢٣٠، ٢٣١ .

(٣) سورة الزمر : ٢٨

(١)

وصفه بكونه عربيا .

(٢)

وقد تخطم الآية بمثل قوله تعالى : {لعلهم يتقون} .

(٣)

وقوله : {لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا} .

والتقوى : الخوف . وهى تستعمل كناية عن الطاعة لله ،

أى فعلنا ذلك رجاء أن يؤمنوا ويطيعوا . والذكر هنا بمعنى

التذكر ، أى يحدث لهم القرآن تذكرا ونظرا فيما يحق عليهم

أن يختاروه لأنفسهم .

وفى التعبير ب "يحدث" إيحاء إلى أن الذكر ليس من

شأنهم قبل نزول القرآن ، فالقرآن أوجد فيهم ذكرا لم يكن

(٤)

من قبل .

وقوله تعالى : {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم

(٥)

يعلمون} .

وقوله تعالى : {أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم

(٦)

تعقلون} .

وقوله تعالى : {أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم

(٧)

تعقلون} .

(١) تفسير التحرير والتنوير ٣٩٨/٢٣ .

(٢) سورة الزمر : ٢٨

(٣) سورة طه : ١١٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٣١٥، ٣١٤/١٦ .

(٥) سورة فصلت : ٣

(٦) سورة الزخرف : ٣

(٧) سورة يوسف : ٢

فالقرآن الكريم كتاب بالعربية ليس كالكتب السالفة
فانه لم يسبقه كتاب بلغة العرب .

وقد افصح عن التعليل المقصود جملة "العلم تعقلون" ،
اي رجاء حصول العلم لكم من لفظه ومعناه ، لانكم عرب فنزوله
بلغتكم مشتملا على ما فيه نفعكم هو سبب لعقلكم ما يحتوى عليه
وعبر عن العلم بالعقل للاشارة الى ان دلالة القرآن على هذا
العلم قد بلغت في الوضوح حدا ان ينزل من لم يحصل له العلم
منها منزلة من لاعقل له ، وانهم ماداموا معرضين عنه فهم في
(١)
عداد غير العقلاء .

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٢/٢٠١، ٢٠٢ .